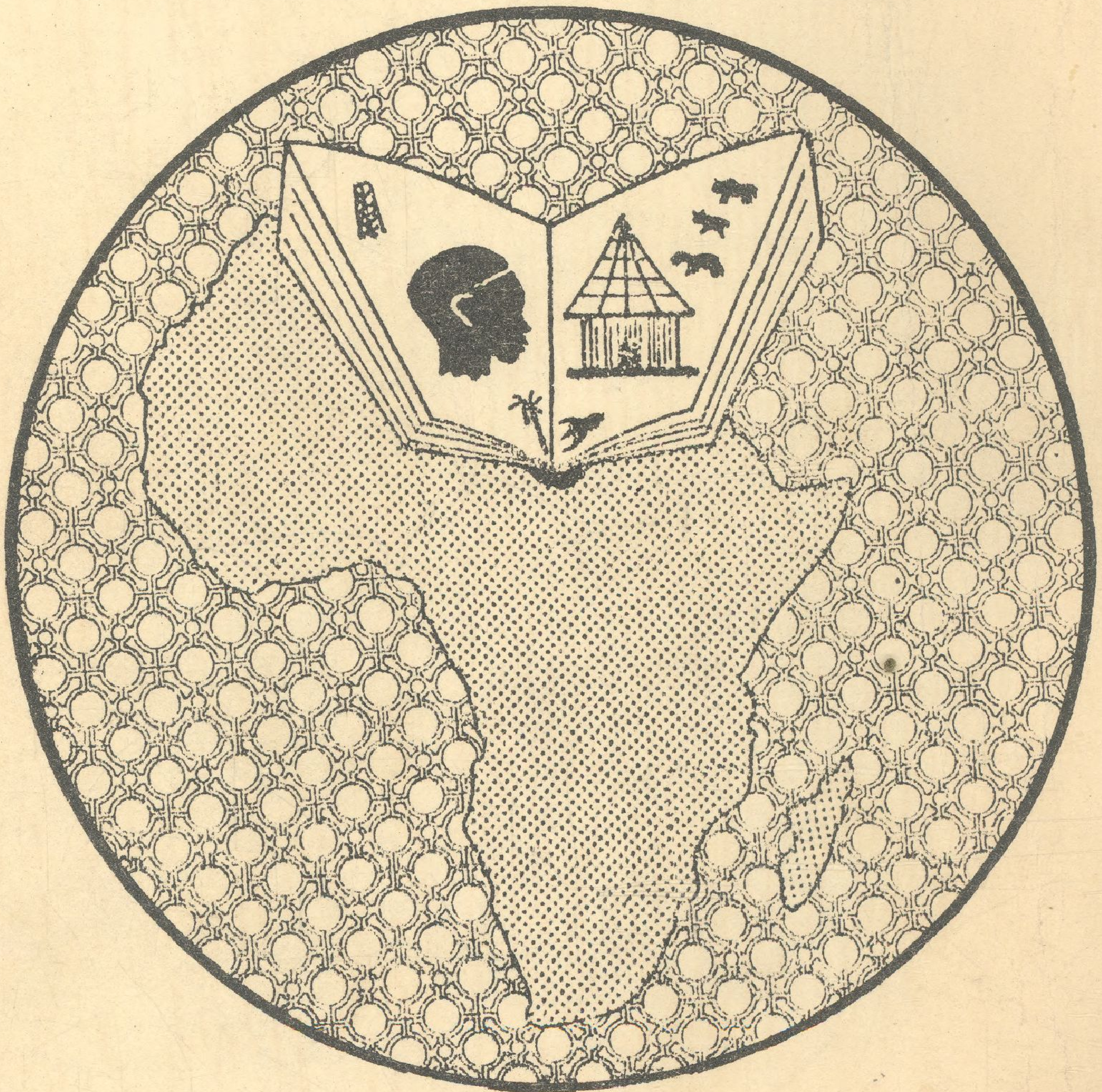
جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا



دكتورة / سعاد على شعبان
أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد

١٩٨٦

جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا



دكتورة / سعاد علي شعبان
أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد

١٩٨٦

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

مدخل لانثروبولوجية افريقيا

مقدمة :

تعد انثروبولوجية افريقيا من اكثر الموضوعات تنوعا وذلك لتعدد الشعوب والسلالات واللهجات فلو صنفت شعوب افريقيا حسب اللغات السائدة سنجد في كل مجموعة من المجموعات اللغوية في افريقيا عددا كبيرا جدا من اللهجات مما يزيد من صعوبة تلك التصنيفات •

صحيح ان بعض علماء الانثروبولوجيا والجغرافيا البشرية حاولوا التمييز بين المجتمعات الافريقية على اساس اختلاف السلالات البشرية ولكن هذه المحاولات وجدت ايضا كثيرا من الصعوبات نظرا لعدم وجود فوارق واضحة وقاطعة بين تلك السلالات المختلفة •

وفي دراسة الانثروبولوجيا لتلك القارة لابد ان نحدد منذ البداية اي فرع من فروع الانثروبولوجيا سوف يطبق في دراستها وماهي المجتمعات او الثقافات التي سوف نتناولها بالدراسة وهذا التحديد يعتبر ضروريا منذ البداية نظرا لتشعب العلوم الانثروبولوجية من ناحية واتساع القارة الافريقية وتعدد الجماعات والثقافات من ناحية اخرى •

قبل ان ندرس انثروبولوجية افريقيا لابد ان نلقي نظرة سريعة على القارة بصفة عامة •

فمساحة القارة تبلغ مثلا ٣٠ مليون كيلومتر مربع وهي بهذا تزيد على مساحة اوربا ثلاثة اضعاف ، وجدير بالذكر ان ثلث ارض افريقيا يغطي بالغابات والصحارى الى جانب بعض المناطق الزراعية ، فافريقيا اذن متعددة الالوان من حيث سكانها وحيواناتها ونباتاتها • اما من حيث الطقس فهو في شمالها يشبه كثيرا جنوب اوربا صيف حار وشتاء ممطر تصحبه في بعض الاحيان تيارات ثلجية ويظهر الاختلاف واضحا في

درجات الحرارة بالنسبة لليل والنهار كلما اقتربنا من الصحراء ، امـــا مساحة الاراضى الصحراوية بالقارة فانـها تبلغ ثمانية ملايين كيلو متر مربع ونجد ان الصحراء اضفت على سكانـها لونا معينا من الشخصية والصفات وذلك نتيجة التغييرات الجوية والجفاف وفقر الارض والتغيير السريــــع لانواع الغذاء الى جانب قسوة الحياة نفسها وبصفة عامة فهنا نـرى ان رجل الصحراء قد اصبح له شخصية مستقلة وهو يوصف بانه جاف ومتوحش بعض الشئ ويقال ان الصحراء كانت فى العصور القديمة احسن بكثـير مما هى عليه اليوم والدليل على هذا تلك الرسوم والنقوش التى عثر عليها على الاحجار وفى الحفريات •

وفى جنوب الصحراء نجد مناطق جافة وهى تلك التى تشغـــل جزءا كبيرا من السودان وشرق وجنوب افريقيا وهذا هو الجزء الاكـــبر الذى فيه استطاعت قوى التاريخ البنائية ان تتطور فى حرية دون عوائـق وهناك الطرق الواسعة التى تساعد على التجول بحثا عن الصيد وتربية الحيوانات ، وفيها تأسست دول وتدمرت دول اخرى عظيمة ولقد كـان الزراع القدامى هنا من امهر الزراع •

وتلى هذه المناطق الحارة والجافة مناطق اخرى خصبة تحيـط بالغابات يزرع فيها انواع مختلفة من الحاصلات الزراعية مثل الشعــير والذرة والفول السودانى والقطن وكذلك النباتات الدرنية ونخيــل الزيت والكاوتشوك •

وتظهر الحشائش كلما ابتعدنا عن الغابات ، تنمو اشجـــار وشجيرات تحمل اوراقا صلبه تسقط وقت الجفاف •

اما الغابات فهى عبارة عن مناطق طاردة لسكانها ومع ذلـك يعيش بداخلها بعض القبائل التى تنتمى الى فصيلة الاقزام كما يعيش بالغابات عنصر سلالى خاص بها مع انها تشجع على العزلة •

ويوجد بالقارة الافريقية عديد من الانهار اهمها النيـــل

والزمبيزى والفال والكنغو والنيجر والسنغال وغيرها كثير • ولهـــــذه الانهار اثر فى تحرك الشعوب ولكن يعتبر بعضها فى الوقت نفسه عائقا حضاريا للشعوب والبعض منها يساعد على تطور الجماعات البشرية •

ويعتبر التاريخ شاهدا عظيما على ان لعنصر الارض اثر كبير على الشعوب فى افريقيا بل وفى العالم بأجمعه •

ولم تكن افريقيا ثابتة الحال كما هى اليوم فهناك تغييرات فـــى منابع المياه وتغييرات فى وجه الارض نتيجة البراكين الى جانب فـــترات الجفاف والامطار المتعاقبة اما فيما يختص بالمرتفعات بالقارة فانهـــــا متوسطة حيث لاتزيد عن الالف متر فيما عدا بعض مرتفعات الساحـــــل الشرقى المحازى للبحر الاحمر وفيما يخص اللغات فان افريقيا متعـــددة اللغات ففى منطقة الشمال لغات حامية مرتبطة بدخول الاسلام اما فـــى الوسط والجنوب فنجد لغات البانتو العديدة مع الاختلاف الوحيد فـــى لغة البشمن والهوتنتوت فى الجنوب الاقصى •

وفى السودان وغينيا وشرق افريقيا وشمالها توجد لغات عديـــدة متداخلة بعضها يقترب من الحامية والبعض الاخر يقترب من البانتـــــو والثالث ليس له اية صله بهذه اللغات •

<u>ويمكن تقسيم افريقيا الى قسمين رئيسيين :</u>

١ ــ افريقيا البيضاء وتشتمل على المنطقة من الشمال الى جنـــــوب الصحراء •

٢ ــ افريقيا السوداء وتشتمل على المنطقة جنوب الصحراء الى جنوب افريقيا •

فكرة عامة عن الانثروبولوجيا

سوف نتناول اولا الانثروبولوجيا بصفة عامة ومفهوم الانثروبولوجيا ثم فروعها وسنركز على الانثروبولوجيا الحضارية بصفة خاصة مع نماذج من ثقافات افريقيا •

اصبح هذا العلم اعنى الانثروبولوجيا بفرعيها (الحضارية والاجتماعية) مستقلا فى الغرب وله اقسامه العديدة والمتطورة ومعظمها يقوم على الدراسات الميدانية والبحوث العلمية •

وبدأ يزداد اهتمام الامة العربية بالعلوم الاجتماعية بجانب اهتمامها بالعلوم الطبيعية وتكونت اقسام فى الجامعات العربية تختص بكل العلوم الاجتماعية ومن بينها الانثروبولوجيا لشدة الحاجة اليها •

ان العلم الوحيد الذى يدرس الحياة الاجتماعية للمجتمعات شبه البدائية والمتخلفة هو الانثروبولوجيا ولقد تقدم هذا العلم فى اوربا وامريكا واصبحت له عشرات الاقسام فى الجامعات الكبرى • والانثروبولوجيا هى العلم الذى يعرفنا بصورة علمية ودقيقة طريقة معيشة تلك المجتمعات اى نظمها الاقتصادية والعائلية والسياسية والدينية واللغوية والفنية وغيرها •

والوطن العربى بما يشمله من بدو وريف وحضر وما يستلزمه من مشروعات للتنمية والتخطيط والتوطين وغيرها من السياسات لن يكتب لها النجاح الا اذا ارتكزت هذه المشروعات وتلك السياسات على دراسات انثروبولوجية علمية تبحث الواقع لتقدم للمخططين والمهندسين الاجتماعيين المادة العلمية الصحيحة التى يمكن ان يبنوا على اساسها ويبلوروا فى ضوءها السياسات الاجتماعية والاقتصادية بانواعها المختلفة •

ومن الواضح ان العوامل المحيطة بمجتمعنا تقتضى منا مزيدا من الجهد فى سبيل تثبيت دعائم الدارسة الميدانية الحقلية للقطاعات

العربية المختلفة ٠

ويهمنا في دراستنا ما قدمه لنا رواد الفكر العربي الاوائل من الفقهاء والمفسرين والرحالة المتجولين وما قدموه من مادة انثروبولوجية غنية عن كثير من الجماعات والمجتمعات الانسانية ولقد ساهموا بذلك في اقامة صرح علم الانثروبولوجيا الحديث امثال هؤلاء "بن جبير" وما تضمنته رحلته من دراسات وصفية عن مصر وعن مدن الكوفة وبغداد والموصل وحلب ودمشق وغيرها كذلك اورد الرحالة "ابن بطوطة" روايات مفصلة عن اخلاق وعادات الشعوب التي كانت تعيش في البيئات التي زارها والتي امتدت من الغرب الى الصين ٠ وحلل العلامة "ابن خلدون" البناء الاجتماعي لقبائل البدو الصحراوية كما حلل الهيكل الاجتماعي لسكان المدن المستقرة ٠ تلك الشواهد وما اليها مما زخرت بها الموسوعات التي تركها لنا علماء الفكر العربي القديم من امثال الخوارزمي واليعقوبي والمسعودي وابن حوقل والبغدادي والبيروني وغيرها من المؤلفات والمخطوطات العربية يمكن ان تعتبر رمزا هاما لمعرفة التطورات الاجتماعية التي مرت بها تلك الجماعات البشرية ٠ وينبغي في هذا المجال ان نشير الى اهمية استخدام اللغات واللهجات الوطنية والمحلية عند القيام بدراسات انثروبولوجية حقلية وهذا يساعد بلا شك على دقة جمع المادة العلمية والى سهولة الاتصال المباشر بين الباحث الانثروبولوجي والمواطن وهذا الاسلوب يجب ان يلجأ اليه الباحثون العرب لا كما يفعل الانثروبولوجيون الاجانب من الاستعانة بالمترجمين والمفسرين لان هذا يؤدى الى فقدان عنصر الاتصال المباشر من ناحية والى عدم دقة المادة الانثروبولوجية من ناحية اخرى ومجتمعنا في اشد الحاجة للدراسات الانثروبولوجية الميدانية للقطاعات والبيئات والجماعات المختلفة وتلك التي تشهد تطورات لتتكيف بالمرحلة التصنيعية التي تتهيأ لها البلاد في الوقت الحالي ٠

الدراسات الانثروبولوجية :

تعتبر هذه الدراسات بمفهومها العام اوسع الدراسات

الاجتماعية نظاما واشملها موضوعا وأغزرها مادة واقدمها عهدا وذلك لان هذه الدراسات الانثروبولوجية يفهم منها الدلالة على كل دراسة تتعلق بنشأة الاجناس البشرية والثقافات والحضارات الانسانية والنظم الاجتماعية والبحوث المتعلقة بالصفات الطبيعية المميزة للعائلة البشرية وكذلك الاراء المستنبطة من مخلفات الكائنات التى عثر عليها في الحفريات والتى ترجع الى عهود تاريخية ساحقة وعصور جيولوجية قديمة فضلا عن النظريات والافكار الشائعة عن عادات وتقاليد واساطير وامزجة الجماعات البدائية والمتأخرة والمتخلفة ومايقال عن طرقها فى التفكير واستعدادها للتثقيف ووسائلها فى التفاهم والتعبير ومدى ارتباطها بظروف البيئة والطبيعة وتأثر حياتها الاجتماعية ونظم معيشتها بمقتضياتها الاقليمية والمحلية •

وهذه النظرة العامة الشاملة جعلت موضوع الدراسات الانثروبولوجية شاملة لكل المظاهر الطبيعية والحيوية والنفسية والاجتماعية للانسان اينما وجد على وجه الارض ولهذا نجد ان علم الانثروبولوجيا يشترك فى الطائفتين الرئيسيتين للدراسات الانسانية (الطبيعية والحضارية) اما كلمة (انثروبولوجيا) Anthropology فقد اشتقت عن اصلين يونانيين الاول : Anthropos ومعناه الانسان ، واما الثانى فهو : Logos ويعنى العلم •

وبذلك تعنى كلمة الانثروبولوجيا حرفيا " علم الانسان " ولما كان الهدف النهائى لمعظم الدراسات الانسانية والعلوم الاجتماعية وخاصة علم النفس وعلم الاجتماع دراسة الانسان ايضا صارت الانثروبولوجيا كعلم مستقل فى حاجة الى تعريف ادق فهى ذلك الفرع من دراسة الانسان الذى ينظر الى الانسان من حيث علاقته بانتاجه •

وتهدف الانثروبولوجيا الى فهم الانسان من خلال دراسة عدة ميادين علمية قد تكون مستقلة ولكنها متصلة بعضها ببعض ايضا يجمعها علم واحد •

وهناك قسمان رئيسيان للانثروبولوجيا هما الانثروبولوجيا الطبيعية والانثروبولوجيا الثقافية ويندرج تحت القسم الثاني ميادين : الاثنوجرافيا والاثنولوجيا • والفلكلور واللغويات والانثروبولوجيا الاجتماعية وتتمتع الانثروبولوجيا برغم تنوع الموضوعات - بتكامل متين وذلك بفضل وحدة هدفها •

ومن فروع الانثروبولوجيا Physical Anthropology الانثروبولوجيه الفيزيقية او الطبيعية وهي تدرس الخصائص الجسمية والتشريحية للانسان وتهتم كذلك بتصنيف الاجناس البشرية ودراسة الملامح الفيزيقية للانسان القديم او الحفرى ومقارنتها بملامح الانسان الحديث مثل قياس الجمجمة وحجم المخ بالاضافة الى دراسة طول القامة ولون البشرة وشكل الشعر •

وتعنى الانثروبولوجيا الطبيعية بتصنيف سلالات العائلة البشرية فمثلا هناك تقسيم عام للاجناس يعتمد على لون البشرة الى جنس ابيض وجنس اسود وجنس اصفر وهنا - تجدر الاشارة الى التفرقة بين دراسة الجغرافيا البشرية ودراسة الانثروبولوجيا الطبيعية فالجغرافيا البشرية ترتكز اساسا على توزيع الاجناس على اقاليم العالم ومناطقة الجغرافية ووحداته السياسية وكثيرون يخلطون بين الاجناس البشرية والشعوب مع ان الشعب الواحد قد يضم عدة اجناس بشرية في وقت واحد كما ان الجنس البشرى الواحد قد يكون موزعا بين عدة شعوب • فعالم الجغرافيا يتتبع انتشار كل جنس من هذه الاجناس في بقاع القارات وتوزيعه على مختلف المناطق وهجراته التاريخية الاولى وفقا للتطورات المناخية والتغيرات الطبيعية التي استلزمت ذلك •

ومن ناحية اخرى نجد ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية يقدمون تصنيفات متعددة لفروع العائلة البشرية اما عالم الجغرافيا البشرية فيعمد الى تتبع انتشار هذه السلالات فنجد مثلا ان اكثر هذه السلالات توزيعا على سطح الكرة الارضية هو الجنس المعروف باسم

الجنس المغولى وهو يوجد بصفة اساسية فى قارة اسيا من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب من جهة الشرق كما يوجد فى امريكا الشمالية والجنوبية ويلى هذا الجنس من حيث اتساع الرقعة التى يحتلها الجنس الزنجى وهو اكثر وجودا فى قارة افريقيا ويشغل تقريبا المساحة الواقعة بين اواسط افريقيا وجنوبها ونجد بعد ذلك الجنس الاسترالى الذى ينتشر بصفة اساسية فى القارة الاسترالية •

وبعد ذلك نجد الجنس المعروف بالجنس النوردى ويستوطن بصفة خاصة اسكندناوة وفنلندا والمانيا ويوجد على الساحل الشرقى للجزر البريطانية وهذا هو الجنس الذى يزعم بعض العلماء من ابنائه انه ارقى جنس بشرى والذى يتميز افراده ببياض البشرة وزرقة العيون واصفرار الشعر وطول القامة •

واخيرا نجد الجنس الالبى او القوقازى الذى ينتشر بين اواسط آسيا وشرقى بحر قزوين ثم يستمر فى الجنوب الشرقى الى شمال الهند •

كما يصف علماء الانثروبولوجيا الطبيعية الجنس بانه مثلا طويل — حسب مقاييس معينة توصلوا اليها او بانه متوسط حجم الرأس وهكذا ... وتدل الدراسات الانثروبولوجية الحديثة على ان هناك ثمة دلائل على حدوث تغيرات على السلالة الواحدة بتغير الظروف البيئية •

هذا وقد تعرضت الانثروبولوجيا الطبيعية خلال العشرين سنة الماضية لقدر من التغير والتخصص فكان الجانب الاكبر منها يقوم فى الماضى على الملاحظات القياسية الموحدة عن الهياكل العظمية وكذلك عن الشعوب المعاصرة واقارب الاقربين من العالم الحيوانى كما كانت تقوم فى تلك المرحلة على استخدام بعض التحليلات الاحصائية البسيطة نسبيا وكانت قامات الافراد واحجام الجمجمة والابعاد الجسمية المختلفة تقاس اما اليوم فقد اصبحت تتناول العلاقات بين بعض العوامل مثل المناخ والارتفاع وتوزيع الموارد وتوزيع السكان وكثافتهم وتأثير العوامل التى تتدخل فى تشكيل الوعاء الوراثى العام للسكان وتدخل

هذه العوامل بدورها تدخلا معقدا مع الظواهر الثقافية والاجتماعية .

واهم ما يميز دارس الانثروبولوجيا الطبيعية ويجعل ميدان دراسته جزءا متصلا من ميدان الدراسة الانثروبولوجية العامة اهتمامه بالنوع البشرى والتكيف وظاهرة الثقافة بالذات فمن الواضح ان الانسان يشترك فى كثير من السمات البيولوجية مع بقية العالم الحيوانى وقد تعرض الانسان واسلافه شأنهم شأن سائر الحيوانات — لبعض التغيرات البيولوجية من اجل التكيف مع الظروف البيئية الجديدة والمتغيرة (١) .

وتنقسم الانثروبولوجيا الطبيعية الى قسمين رئيسيين هما دراسة الانسان كنتيجة لعملية التطور . دراسة الجماعات البشرية وفهم الانسان كنتيجة لعملية التطور يتطلب قدرا من فهم تطور كافة اشكال الحياة وكذلك فهم طبيعة الحياة نفسها مع ان المتخصص فى الانثروبولوجيا الطبيعية يركز الجانب الاكبر من اهتمامه على تاريخ السمات الفيزيقية للانسان القديم . وللانثروبولوجيا الطبيعية وجه آخر هام يتمثل فى دراسة سبل تفاعل الانسان مع البيئة التى يعيش فيها واثار هذا التفاعل على طبيعته البيولوجية وهذا يبين لنا الظروف التى عملت على تنوع الاشكال البشرية .

ومن الميادين الهامة فى الانثروبولوجيا الطبيعية دراسة نمو الانسان من الحمل الى البلوغ وتأثير الظروف البيئية المختلفة على هذا النمو اما احدث الدراسات فهى — اساليب تعديل الصفات الوراثية واساليب تكيف الكائنات البشرية بيولوجيا مع الظروف الجديدة سواء على مستوى الفرد الواحد او على مستوى النوع باكمله وهناك ايضا دراسات حديثة نسبيا فى الانثروبولوجيا الطبيعية تختص بدراسة تطور السلوك (٢) .

---

(١) دراسات انثروبولوجية ص ٢٨ .
(٢) مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ص ١٦ .

ومن فروع علم الانثروبولوجيا :

١ — علم اثار ما قبل التاريخ :

هذا العلم يهتم بدراسة مجتمعات وثقافات ماقبل التاريخ ويتناول اقدم المجتمعات الانسانية كما يدرس مختلف المراحل التطورية لثقافة الانسان ويحدد عالم آثار ماقبل التاريخ معالم تفكير الانسان الاول ويدرس مخلفاته ويتتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالتها البدائية الاولى الى حالتها الراقية وقد يستعين عالم آثار ما قبل التاريخ بعلوم اخرى لدراسة البقايا المادية للهياكل والعظام عن طريق الاستعانة بعلم التشريح المقارن والبيولوجيا الانسانية — اما دراسة الخصائص الجنسية والمعالم الثقافية للشعوب الماضية فان عالم آثار ماقبل التاريخ يستخدم علم الانثروبولوجيا الثقافية وعن طريق الاستعانة بالجيولوجيا يستطيع العالم الاثرى ان يحدد العصر الجيولوجى لاثاره وحفرياته • واذا كان علم اثار ماقبل التاريخ يدرس ثقافات انسان ماقبل التاريخ فان علم الانثروبولوجيا الاجتماعية يدرس مختلف الثقافات البدائية المعاصرة اى ان علم اثار ماقبل التاريخ يدرس الثقافات التى مضت وانقضت اما علم الانثروبولوجيا الاجتماعية يدرس الثقافات الحالية او المجتمعات البدائية الراهنة والقائمة هنا والان على حد تعبير الفلاسفة على اعتبار ان عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية هو " مؤرخ خاص " •

٢ — علم التطور البشرى :

يعتبر هذا العلم امتدادا طبيعيا للدراسات السابقة فهو يعنى بتتبع التطور الفيزيقى والعقلى والنفسى الذى طرأ على النوع البشرى •

٣ — الاثنولوجيا :

الاثنولوجيا هى (علم الانسان ككائن ثقافى) وهى الدراسة

المقارنة للثقافة ولقد اصبحت الاثنولوجيا والانثروبولوجيا الحضارية علما مستقلا متميزا فى موضوعه عن الدراسات الانثروبولوجية واصبح يختص بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والاصول الاولى للنوع الانسانى العاقل ويدخل فى نطاقة دراسة اصول الحضارات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها ولهذا كان هذا النوع مرتبطا بفرع آخر من فروع الانثروبولوجيا يعبر عنه باسم الانثروبولوجيا الحضارية فكانت الجماعات البشرية والمجموعات السلالية تصنف على اساس ثقافتها وكانت عناية العلماء عامة هى تتبع الاصول الاولى للثقافات والحضارات الانسانية وتحليلها ومما هو جدير بالذكر ان الاثنولوجيا هى الاساس العلمى الذى ارتكزت عليه الانثروبولوجيا الحضارية التى اخذت تظهر كعلم مستقل فى الربع قرن الاخير من هذا العصر وقد ظهر بعد ذلك الاتجاه الى فصل الدراسة الاثنولوجية عن الدراسة الانثروبولوجية الاجتماعية وبذلك استقل كل من فرعى الانثروبولوجيا ٠

ويبدو وهناك اختلاف واضح فى المنهج بين فرعى الدراسة الانثروبولوجية فقد يعتمد العلماء على نفس المعلومات الاثنوجرافية عند دراسة ظاهرة من الظاهرات ولكن يختلف عالم الاثنولوجيا عن عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية فى الانتفاع بهذه المعلومات الاثنوجرافية وفى طريقة معالجتها ويذكر لنا ايفانز برتيشارد E. Pritchard مثلا يوضح لنا الفرق بين الدراستين حين يتناول كل منها نفس الظاهرة (مثل عبادة ارواح الموتى او عبادة الاسلاف) ففى حالة الانثروبولوجيا الاجتماعية تؤول العبادة وتفسر فى ضوء النظم الاجتماعية الاخرى المتصلة بها كنظام الاسرة وبناء العائلة ونظام القرابة الى غير ذلك باعتبار انها من عناصر النسق الاجتماعى العام للجماعة التى تنتشر فيها تلك العبادة ٠ اما بالنسبة للعالم الاثنولوجى فانه يدرس هذا النوع من العبادة كجزء من الثقافة العامة ويعنى بدراسة الافعال والعادات والممارسات التى يقوم بها الافراد المعتنقون لهذه الديانة تجاه الارواح التى يعبدونها أو يتقربون اليها بتقديم القرابين ، والمناسبات الدينية والطقوس الجنائزية ٠ ويحاول عالم الاثنولوجيا ارجاع هذه

العناصر الى اصولها الاولى ومعنى ذلك ان الاثنولوجيا تعنى بصياغة حقائقها فى حدود التاريخ وعلم النفس بخلاف الانثروبولوجيا الاجتماعية التى تهتم بتتبع العلاقات الوظيفية التى تربط الظاهرة التى يدرسها بالبيئة الاجتماعية العامة للجماعة ودور هذه الظاهرة من الفاعلية فى الحياة الروحية والمادية والاجتماعية كذلك يلجأ عالم الاثنولوجيا الى تتبع اثار الظاهرة الحضارية فى مختلف الجماعات الانسانية ليتعرف على موطنها الاصلى ومدى انتشارها وسريانها وبذلك تعتبر المدرسة الانتشارية من اهم المدارس الاثنولوجية •

فمثلا نجد أن بعض علماء الاثنولوجيا الانتشارية حينما يدرسون عادة او ممارسة اجتماعية او عقيدة وطقوسا دينية فانهم يتتبعونها او يتتبعون مثيلاتها او اغلب عناصرها فى جماعات متعددة ثم يحللونها الى ابسط اشكالها ويستخلصون من ذلك موطنها الاصلى باعتبار انها توجد فى ابسط مظاهرها فى ذلك الموطن • ونذكر على سبيل المثال لا الحصر نظم المحرمات المقدسة المعروفة اصطلاحيا باسم التابو Tabu والتى بمقتضاها يمتنع افراد الجماعة الواحدة عن رؤية او لمس شخص أو شئ او اتيان عمل من الاعمال او تناول طعام من الاطعمة وهذه النواحى لها صفة القداسة سواء كان مصدرها تقديس ارواح او آلهة وكذلك الشأن بالنسبة لعقيدة التوتمية فانها تسود على اشكال ومراتب مختلفة فى كثير من الجماعات المختلفة والمنعزلة عن تيار الحضارة الانسانية وتتركز هذه العقيدة فى اتخاذ القبيلة او الجماعة البشرية رمزا لها تقدسه وتعتقد انها منحدرة عنه ويكون هذا الرمز المقدس (التوتم) حيوانا او نباتا او جمادا او ظاهرة طبيعية •

ومن العادات الاجتماعية التى حظيت بعناية علماء الاثنولوجيا عادات وأد البنات والثأر والزواج والاغترابى او من خارج الوحدة الاجتماعية(١) •

---

(١) دراسات انثروبولوجية ، الخشاب ، ص ٤٠ •

٤ ـ الاثنوجرافيا :

الاثنوجرافيا هى الاثنولوجيا الوصفية اى ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان وهى تعنى ايضا وصف اوجه النشاط الثقافى كما تبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية . ويعتقد العلماء ان مصطلح اثنوجرافيا قد ظهر فى عام ١٨٠٧ يعنى (وصف الشعوب) وهذا هو المعنى العام للكلمة حتى فى ايامنا هذه[١] .

فالاثنوجرافيا تعنى بالمواضيع المادية التى تصور التقدم التكنولوجى العام الذى يظهر ديناميكية العقل الانسانى فى محاولته للسيطرة على الطبيعة وقد اتخذ العلماء من الادوات والالات التى استخدمها الانسان فى العصور الجيولوجية المتعاقبة دلائل وسمات على التطورات الحضارية فهى تدل على المهارة والمعرفة العلمية فى تلك الازمنة كما انها تعكس النظم الاقتصادية القائمة فى الجماعات التى تستخدمها كوسائل انتاج ومن المألوف تقسيم عصور ما قبل التاريخ الى العصر الحجرى والعصر البرنزى والعصر الحديدى نسبة الى المواد التى كانت تستخدم فى صنع الالات التى استخدمها الانسان على فترات زمنية متعاقبة . هذه الادوات تعبر فى الواقع عن شكل الانتاج وطريقة تنظيمه فمثلا اذا اخذنا (الفأس الحجرى) كدالة حضارية نجد انه يعبر عن الانتاج المنزلى الذى يسود فى الجماعات التى تعيش على مبدأ الكفاية الذاتية فى الانتاج والاستهلاك وهى الجماعات التى تعتمد على الصيد والزراعة ولم تكن هذه الجماعات فى مراحل نشأتها الاولى تعرف التخصص وتقسيم العمل اما الفأس البرنزى فهو يحتاج الى نشاط انتاجى تخصصى بمعنى انه يستلزم توافر عمال متخصصون يعتمدون فى الحصول على مواردهم الغذائية على الفائض مما ينتجه عمال آخرون متخصصون ونادرا مايوجد النحاس والصفيح اللازمين لصناعة الفأس البرونزى وقد يتطلب الحصول عليها تبادلا تجاريا ونشاطا انتقاليا . وكذلك يستخدم العلماء معرفتهم او حصولهم على الادوات التى خلفها

(١) قاموس مصطلحات الاثنولوجيا ، ص ١٥ .

الانسان كوسيلة للكشف عن ظهور الجماعات البشرية وانتشارها فى انحاء الكرة الارضية . وكانت الادوات الاولى تصنع من الخشب والعظم والحجارة واستخدام هذه الادوات يدل على مظهر من المظاهر الحضارية التى تتطلب قدرا معينا من العلم والمعرفة والتجريب والخبرة يسمح له بان يميز بين انواع الحجارة المختلفة ويختار اصلحها لتحقيق اغراضه . وقد ساعد اكتشاف النار على اضاءة الكهوف التى تأوى اليها هذه الجماعات كما انها مكنت الانسان من اتقاء شر الحيوانات الضارية التى كانت تخشى النار التى كانوا يشعلونها بصفة مستمرة دائما كما انها ارشدت بطريق التجربة الاجتماعية ان الاشياء واللحوم التى كان الانسان يتناولها تصبح ميسورة الاكل بعد علاجها بالنار فكان هذا اساسا للاهتداء الى الطهى .

وتطورت هذه الجماعات من جماعات الصيد للاستهلاك الى جماعات رعاة للقطعان بعد ان تعلموا استئناس الحيوان واشتملت هذه الثقافة ايضا على صناعة الفخار والنسيج ويمكننا ان نقرر ان اهتداء الانسان الى استئناس الحيوان والزراعة البدائية وصناعة الفخار قد ساعد على استقراره وكان له عدة نتائج اجتماعية على جانب كبير من الاهمية فقد اصبح الانسان متحكما فى انتاجه الغذائى وقد ادى هذا بالتالى الى زيادة كبيرة فى عدد السكان والى الاستقرار النسبى وزيادة العمران . ويرجع الفضل فى التعرف على هذه المعلومات وخاصة فى الدراسات الاثنوجرافية الحديثة الى مجموعة من رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية من امثال مالينوفسكى ورادكليف براون وايفانز برتشارد وريمولند فيرث ومارجريت ميد ونادل وكثير غيرهم واذا اردنا ان نزيد الامر وضوحا فلابد من الاشارة الى بعثة كمبردج الى مضايق توريز والتى قادت الى اول دراسة اثنوجرافية للتدريب على الملاحظة الميدانية والملاحظة بالمشاركة [1] .

ومما هو ملاحظ ان هذا الفرع من الانثروبولوجيا نشأ فى ثنايا كتابات الرحالة القدامى الذين كانوا يدونون كل مايقع عليه نظرهم عن

---

(١) دراسات انثروبولوجيا . الخشاب . ص ٣٩٣ .

الجماعات المتخلفة فى الحضارة فالى هؤلاء الرحالة يرجع الفضل فى اتساع نطاق الدراسات الاثنوجرافية — ولم تكن دراسة الرحالة تخضع للدراسة المنهجية المنظمة وكذلك لعبت البعثات التبشيرية دورا هاما فى تزويد المكتبة الانثروبولوجية بدراسات وصفية عن الجماعات المتأخرة ومن الواضح ان هذه الدراسات كانت تهدف اساسا الى تحقيق أغراض طبيعية دينية غير انها تضمنت اوصافا شاملة للمظاهر الاثنوجرافية للجماعات المعنية • فالدراسات الاثنوجرافية الخاصة بالجماعات الافريقية مثلا قامت فى اغلبها على ايدى الاساقفة والمبشرين • غير ان هذه الدراسات مالبثت ان تطورت بعد ان تناولها جمهور من الانثروبولوجيين المتفرغين والمتخصصين والذين اتبعوا الدراسة الميدانية •

تطور الانسان وسلوكه :

هناك موضوعان رئيسيان من موضوعات الانثروبولوجيا الفيزيقية يمثلان اهمية محورية بالنسبة لعلم الانثروبولوجيا ككل :

١ — الموضوع الاول :

هو مشكلة اصل الانسان • وهى لاتنطوى على مجرد البحث فى اصله البيولوجى فحسب • وانما تشمل • فضلا عن هذا • تطور خصائصه البشرية المميزة له كانسان وهى الخصائص التى تميز الانسان عن اقرب اقربائه من الحيوانات وهى القردة البشرية • فهذه الخصائص ومنها امتلاك الانسان للغة على سبيل المثال تميز الانسان تمييزا حادا عن سائر الحيوانات الاخرى •

٢ — الموضوع الثانى :

هو طبيعة التنوع البيولوجى عند الانسان ومداه ودلالته وكذلك علاقة هذا التنوع البيولوجى بالتنوع الاكبر فى الثقافات الانسانية وفى تنظيم المجتمعات البشرية •

وهناك بعض الموضوعات الهامة لفهم هذين الموضوعين الكبيرين منها :

١ — ضرورة فهم العلاقة بين الانسان وبين البيئة التى يعيش فيها •

٢ — معرفة كاملة بالعمليات التى تؤدى الى التغير سواء كان بيولوجيا أم ثقافيا •

فاذا نظرنا الى الانسان باعتباره كائنا حيا وجدناه يمثل ثمرة عملية تطورية تنطوى على عمليات تكيف متتابعة مع الظروف البيئية •

ومن الحقائق التى تدعم الاستمرار الجوهرى فى خط التطور العضوى هذا استمرار التطور الثقافى كما يبدو فى تطور المنتجات المادية • وقد كان اسلاف الانسان واقاربه كائنات اجتماعية تعيش فى جماعات تتميز بدرجات متفاوته من التنظيم الاجتماعى • ويبدو ان جانبا من هذا التنظيم الاجتماعى يعتمد على الروابط بين الجنسين او طول فترة حضانة الصغار او القيود التى تفرضها هذه الحضانة الطويلة على نشاط الاناث • وكان يدعم هذا التنظيم ضرورة التعاون فى الدفاع وربما كذلك فى صيد الحيوانات بشكل اكثر كفاية •

وتعد اللغة من سمات التنظيم والتعاون البشرى • ويحدد معظم الانثروبولوجيون نقطة السلسلة التطورية بانها تمت عندما استطاع احد اسلافنا لا ان يطور القدرة على صنع الادوات المتقدمة فحسب وانما عندما اخذ كذلك يستخدم اللغة كوسيلة للاتصال • وهكذا استطاع التفاعل بين الادوات واللغة والتنظيم الاجتماعى المتقدم • وبالاضافة الى العمليات التطورية التى اتاحت ذلك استطاع ان يستهل فترة من التطور الفائق السرعة على الصعيدين العضوى والثقافى فى نفس الوقت [١] •

عصور وحضارات ماقبل التاريخ ومقارنتها بالعصور الحديثة :

تكيف انسان ماقبل التاريخ بالبيئة (يطلق عليها ايكولوجية

---

(١) مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ص ٧٩ •

انسان ماقبل التاريخ) • ان التنوع الواضح والتعقيد الكبير فى الثقافات المعاصرة من شأنه ان يحجب عنا حقيقة بارزة مؤداها ان اصول الثقافة ونمو فئاتها الوظيفية الرئيسية واغلب الحلول التى قدمتها الثقافة لمشكلات التكيف الاساسية قد وجدت جميعا قبل فجر التاريخ وقد بدأت اقدم السجلات التاريخية التى وصلت الينا منذ حوالى خمسة الاف سنة فى بلاد مابين النهرين وبعض اجزاء شرق البحر المتوسط • اما بالنسبة لمعظم بلاد العالم فلم تبدأ عملية التسجيل التاريخى الا منذ بضع مئات من السنين او اقل من ذلك وقد قسم العلماء التاريخ الثقافى للعالم القديم الى عدة عصور منها :

(أ) العصر الحجرى القديم
(ب) العصر الحجرى الحديث
(جـ) العصر البرونزى
(د) العصر الحديدى

ويقوم هذا التقسيم على اساس المواد والاساليب الفنية المستخدمة فى صناعة الادوات كما تتمثل احدى طرق تحليل الثقافة فى النظر اليها كوسيلة للتكيف يستطيع الناس او تستطيع المجتمعات بواسطتها التكيف مع البيئات التى يعيشون فيها •

وقد بدأت الثقافة الانسانية فى العالم القديم منذ اكثر من مليون عام مضت ولا نعرف عن اقدم عصورها سوى بعض انواع الادوات الحجرية التى صنعها الانسان بيديه ولكننا لا نصف تلك الاساليب بانها ثقافات وانما هى تقاليد (او مجموعة اساليب) متوارثة •

ويعتقد ان اولى تجارب العالم القديم فى الزراعة قد بدأت منذ حوالى عشرة آلاف سنة وكان انتشار الزراعة فى القديم بطئ جدا الى ان ظهر اختراع المحراث الذى يجره الحيوان وبذلك امكن لزراعة العالم القديم ان تنتشر بسرعة كبيرة وكثافة واضحة ولذلك يمكن القول باننا اذا استخدمنا لغة التاريخ البشرى فان اسلوب حياة الانسان قد تغير فى

معظم ارجاء العالم القديم بين يوم وليلة من مجموعات منعزلة بالغة الصغر من الصيادين (القناصين) وصيادى الاسماك وجامعى الطعام الى قرى الفلاحين الذين يعيشون فى اتصال مستمر الى حد ما — مع جيرانهم وقد حدث فى بعض المناطق — خاصة الشرق الاوسط — ان تحولت قرى الفلاحين الى مدن ربما بدافع الحاجة الى تنفيذ بعض مشروعات الرى الضخمة الواسعة النطاق وقد هيأ اكتشاف تشغيل المعادن ادوات واوانى افضل وعمل على تنشيط التجارة عبر مسافات اطول من ذى قبل وكان اكتشاف صهر الحديد ايذانا ببدء سلسلة من التغيرات التكنولوجية التى قدر لها فى النهاية ان تؤدى الى الثورة الصناعية التى شهدها الانسان فى تاريخه المعاصر (١) •

من كل ماتقدم نستطيع ان نقول فيما يخص بتصنيف الشعوب أن تصنيف الشعوب غير الزراعية يميل الى تصنيفها الى شعوب تمارس الصيد واخرى تمارس جمع الطعام •

ويكشف الصيادون المعاصرون عن تنوع كبير فى اساليب الحياة والتكنولوجيا حيث يعتمدون على نوع ووفرة الفرائس المتاحة ولقد ظل الاستراليون — الى حد ما — من ملتقطى الطعام ولكن مع قدرتهم على استكمال عناصر طعامهم من خلال الصيد • اما شعب البوشمن بجنوب افريقيا فقد تطلب وجود عدد من الفنون المتخصصة حتى يستطيع البقاء فى منطقة قاحلة الى حد كبير تتناثر مواردها من الحيوانات هنا وهناك وقد استطاع صيادوا السهول فى امريكا الشمالية — بفضل وفرة الفرائس — تشكيل جماعات اكبر وتطوير جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية والدينية • وشعوب الاسكيمو فى الشق الاوسط — وهم الذين يعتمدون اساسا على الثدييات البحرية كمصدر لمعيشتهم — لم يمتلكوا تكنولوجيا صيد متميزة فحسب بل كان عليهم التكيف بشكل خاص مع اقليم شديد البرودة والارجح ان جامعى الطعام قد قاموا باستزراع النباتات وهذا يمثل تغيرا ثوريا فى اسلوب حياة الانسان •

(١) مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ص ٧٣ •

وهناك حقيقة مشتركة لدى جامعى الطعام هى انهم لاينتجون الطعام وان عدد افرادهم يكون اقل من عدد افراد منتجى الطعام .

التحول الى انتاج الطعام :

ظهر انتاج الطعام من خلال استزراع النباتات (استئناس) الحيوانات فى العالم القديم ، والتكنولوجيا الجديدة التى استهدفت استغلال هذا المورد الاقتصادى ومن الواضح ان التفرغ الكامل لانتاج الطعام لم يتطور الا ببطء وقد ادى انتاج الطعام كاسلوب اساسى فى الحياة الى زيادة عدد السكان وتراكم السلع المادية كما انه اتاح الظروف الملائمة لاقامة مستوطنات مستقرة او تنظيم اجتماعى واقتصادى اكثر تطورا وحياة شعائرية معقدة ولكن لايمكن اعتبار انتاج الطعام هو السبب الوحيد فى ذلك اذ ان هناك بعض الشعوب التى تعيش على جمع الطعام قد عرفت مستوطنات مستقرة مشابهة وحياة اجتماعية متطورة وهى شعوب حققت فائضا كبيرا وثابتا من الطعام .

ومن بين التجديدات التكنولوجية المرتبطة اساسا — بانتاج الطعام — نجد النسيج وتشكيل الفخار والادوات المصنوعة من الطين او الحجارة المصقولة والمبانى الدائمة او شبه الدائمة الاكثر تطورا وايضا حدث استئناس الحيوانات واستخدام المحراث الذى تجره الحيوانات فان انتاج الطعام كان كثيفا مهيئا بذلك الظروف لظهور الحضرية والحياة المتمدينة (١) .

انتاج الطعام والحياة الحضرية :

يمثل الفلاحون الذين يعدون الان من اكثر انماط منتجى الطعام شيوعا — جانبا واحدا من جوانب الحضرية ويمثل اسلوب حياة الفلاحين والحضريين جانبين من جوانب الثقافات المركبة وعلى الرغم من ان اسلوب حياة الفلاحين يختلف عن اسلوب الحياة الحضرية الا ان المجتمعين يشتركان فى عناصر بعض النظم المشتركة كما يعتمد كل منهما على بعضهما ان تنشأ المدينة حتى تتحول لان تصبح مركزا

(١) مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ص ٣٦ ، ٣٧ .

للتخصص والادارة والتجديد ولاتزال اسباب الحضرية حتى الان من الامور الغامضة وان كان من الواضح ان المدن تنشأ اولا فى مناطق منتجى الطعام الذين يعيشون فى فرق مستقرة فى كثير من المناطق التى ظهرت فيها المدن اولا • وقد بدأت الحاجة واضحة لبناء وادارة منشآت الرى الضخمة مما ساعد على ظهور الرغبة فى تركيز القوة والسلطة •

وفى العالم القديم نجد المدن الاولية قد ارتبطت ايضا — زمانيا بظهور تشكيل المعادن واساليب النقل الحيوانى المتقدمة واساليب النقل المائى المتطورة •

وعلى الرغم من ان قرى الفلاحين تمثل طريقة شائعة لتنظيم عملية انتاج الطعام فى المجتمعات المتحضرة الا انها لاتمثل الطريقة الوحيدة المكتفة لاقطاعيات الكبيرة التى يمتلكها كبار ملاك الارض — (كالسادة او المنظمات الدينية) — تؤدى دورها فى انتاج الطعام مستعينة بالعبيد والتابعين •

ويمثل نظام المزرعة طريقة اخرى لانتاج الطعام حيث يعمل فيها العبيد والعمال المأجورون او مجموعة مشتركة من المستأجرين والعمال المأجورين وتخصص المزرعة من اجل الانتاج الكبير لمحصول واحد يصدر للسوق العالمى • ولقد ادت الثورة الصناعية وعلى الاخص بما ادت اليه من تطبيق متزايد للتكنولوجيا المستندة الى العلم الى ظهور المزرعة الصناعية وتعتمد هذه المزرعة الصناعية على توظيف كبير لرؤوس الاموال والسعى لتحقيق الانتاج الكبير • ومن الاشكال الاخرى للمزرعة المشتركة المنتشرة فى عديد من مناطق العالم نجد المزارع الجماعية والجمعيات التعاونية وفى كلا هذين النمطين نلحظ ان ادارة العمليات الزراعية تتم دائما بواسطة مديرين وفنيين متخصصين •

اذن تشكيل المعادن وتحسين وسائل النقل لم يكونا بمثابة عاملين اساسيين فى نشأة الحضرية ولكنهما اسهما اسهاما كبيرا فى نشأة التخصص ونمو التجارة وانتشار الحضرية التابعة — لقد ساعدا

على ظهور النزعة الصناعية والمدينة الصناعية والمدينة الضخمة الحديثة وتلك جميعها ظواهر تتغلغل اليوم فى كل اجزاء العالم •

الانثروبولوجيا الحضارية :

ظهرت الانثروبولوجيا الحضارية فى القرن التاسع عشر ولكن رواد الانثروبولوجيا لم يكونوا متخصصين فى هذا العلم لعدم معرفة الانثروبولوجيا فى الجامعات فى ذلك الوقت بل كانوا متخصصين فى علوم اخرى • وكانت دراساتهم فى الانثروبولوجيا نوعا من الهواية • هذا وتعد امريكا المركز الرئيسى للانثروبولوجيا الحضارية فى العالم •

ويطلق اصطلاح الانثروبولوجيا الحضارية على دراسات الاثنوجرافيا التى تهتم بدراسة حضارة معينة بالذات • والاثنولوجيا التى تتميز عن الاثنوجرافيا باهتمامها بالدراسات المقارنة للحضارات المختلفة •

يتضح مما سبق ان موضوع دراسة الانثروبولوجيا الحضارية هى الحضارة ولذلك ارتبطت نشأة هذا الفرع للانثروبولوجيا بظهور أول مفهوم واضح لاصطلاح الحضارة على يد العالم الانجليزى تايلور Tailor فى عام ١٨٧١ وهذا المفهوم يتضمن نواحى عديدة منها : (العادات والعقائد والقوانين والاخلاق والفن وكل القدرات والعادات التى يكتسبها الانسان بوصفه عضوا فى المجتمع) ونقل هذا التعريف من بعده بعض العلماء واطلقوا عليه التعريف الشهير •

ونجد الى جانب تايلور فى انجلترا العلماء مين Maine وماكلينان Maclinane وريفرز Rivers وربرتسون سميث R. Smith وفريزر Frazer •

ومن رواد هذا الفرع فى اميريكا لوى Lowe ومورجان Morgan اما العالم الامريكى فرانزبواز Frans Boas ١٨٥٨ — ١٩٤٢ فكان له اكبر الاثر فى توجيه الانثروبولوجيا الى وجهة جديدة

واليه يرجع الفضل فى نشر الانثروبولوجيا الحضارية فى امريكا بحيث اصبح معظم المتخصصين فى هذا الفرع من الامريكيين ويتمثل اتجاه بواز فى موضوعين :

الاول : الاهتمام بالدراسات التفصيلية لحضارات فردية صغيرة مثل حضارات العشائر والقبائل وتتم دراسة العشيرة او القبيلة فى اطار منطقتها الاقليمية والحضارية وتهدف تلك الدراسات الى اعادة بناء وتصور تاريخ حضارة تلك العشيرة والقبيلة فى الماضى .

الثانى : المقارنة بين تواريخ مجموعة من القبائل التى درست لتحقيق الغرض النهائى للانثروبولوجيا الحضارية كما يحدده بواز ، وهو الوصول الى قوانين عامة لنمو الحضارات .

وكان بواز يهتم بالموضوع الثانى اكثر من الموضوع الاول ومع ذلك فقد اهمل تلاميذه ذلك الهدف ولذلك نجد ان تلاميذ بواز اتجهوا الى الدراسات التفصيلية لمجتمعات صغيرة لتحديد عناصر وتاريخ وتطور حضاراتها ونتج عن ذلك دراسات ميدانية كثيرة متعلقة بالقبائل الهندية فى امريكا وكانت تلك القبائل فى طريقها الى الانقراض مما ادى الى تلهف علماء الانثروبولوجيا على تسجيل حضاراتها ومن امثلة العناصر الحضارية التى اهتم بها العلماء الوسائل المستخدمة فى الصيد وفى الطهى والزينة والمواد المستخدمة فى بناء المنازل واساليب بناء المنازل هذا بالاضافة الى النظم الاجتماعية كنظام القرابة واصطلاحات القرابة ونظم الزواج ونظم تربية الابناء والنظام الدينى بعناصره المختلفة والنظام السياسى .

وقد نضج العلم فى خلال العشرين سنة الاولى من القرن الحالى وتتميز هذه الفترة بكثرة الابحاث والمناقشات فى الانثروبولوجيا الحضارية واخذت تتركز دراسات هذا العلم فى امريكا واصبح معظم بحاثه من الامريكيين وازدهرت المدرسة التى انشأها بواز ولكن بعد ادخال بعض التعديلات فى مبادئها وقد ظهر فى تلك الفترة من

(١٩١٥ — ١٩٣٠) الكثير من العلماء مثل وايسلر Wissler ولوى Lowe وكروبر Kroeber والعالمة الامريكية بيندكت Benedict وقاموا بابحاث ممتازة •

وفى الفترة المعاصرة انتشرت الانثروبولوجيا الحضارية فى الجامعات الامريكية والاوروبية وكذلك فى جامعات المجتمعات النامية بافريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ولم تقتصر الدراسة فى هذه الفترة على الحضارات شبه البدائية فى ابحاث الانثروبولوجيا الحضارية ولكن انتقلت الى دراسة حضارات المجتمعات المتمدينة مثل الصين والهند وجنوب شرق آسيا •

ومن اهم الابحاث الحديثة فى الانثروبولوجيا الحضارية الاتجاه التخصصى وهو اتجاه ذو جوانب متعددة فقد يتخصص العالم فى دراسة منطقة حضارية محددة او فى دراسة حضارة معينة بالذات او فى خصائص ومبادئ الانثروبولوجيا الحضارية مثل المنهج وطرق البحث او تسجيل تاريخ هذا العلم •

وترتب على انتشار الاتجاه التخصصى ان اتضحت الفرق بين الانثروبولوجيا الحضارية والانثروبولوجيا الاجتماعية واصبحا فرعين مختلفين للانثروبولوجيا •

لقد سبق ان اشرنا الى ان الانثروبولوجيا تهتم بدراسة حضارات المجتمعات البدائية او ثقافات المجتمعات البدائية • هذه العبارة تتضمن بعض الاصطلاحات التى تحتاج الى توضيح من الناحية الانثروبولوجية فمثلا " كلمة " (بدائى) لاتعنى ابدا ان المجتمعات التى توصف بتلك الصفة اسبق فى الزمن او فى المنزلة — من انواع المجتمعات الاخرى فمن المعروف ان لتلك المجتمعات تاريخا طويلا قد يماثل فى طوله تاريخ المجتمعات الاوروبية ذاتها وانه اذا كانت هذه المجتمعات لم تتطور فى بعض النواحى بنفس النسبة التى تطور بها المجتمع الاوربى فانها تفوقت تطورا فى الواقع فى نواحى اخرى •

ويكفى فى هذه المرحلة ان نقول ان الانثروبولوجيين حيـــــن يستخدمون هذه الكلمة فانهم يقصدون بها الاشارة الى المجتمعـــات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان او المساحة اوتشعب العلاقـــات الاجتماعية والتى تمتاز ببساطة الفنون الالية والاقتصاد وقلة التخصص فى الوظيفة الاجتماعية اذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة •

وهناك سبب آخر من دراسة المجتمعات البدائية فى الوقـــت الحالى وهو ان هذه المجتمعات تتبدل وتتغير بسرعة تستوجب المبادرة الى دراستها قبل فوات الاوان •

بعض الاراء عن البدائيـــة :

نحن نتكلم عن الشعوب " البدائية " ، عن شعوب الارض اللاكتابية* فماذا نعنى عندما نستخدم هذا الاصطلاح ؟ نعنى ان هذه الشعوب هي بالمقارنة مع مانحن عليه غير متطورة • وهذا من عدة وجوه ، صحيح • فهو يصح مثلا فى حالة القراءة والكتابة ، وفى حالة التقدم التكنولوجى ، ولربما صح ايضا بدرجات متفاوتة فى عدة ثقافات على بعض جوانب تطـــور الاخلاق والموءسسات • لكن لابد من الاشارة الى ان هذه الثقافات هى من بعض الوجوه اشد تطورا من اكثر الثقافات المتمدنة • وهى لهـــذا " افضل " من الثقافات المتمدنة حسب المعايير التقويمية السائدة حول هذه الامور فى المجتمعات المتمدنة •

فمثلا يتصف الاسكيمو والاستراليون الاصليون — ان شئنا الاكتفاء بمثالين مما يدعى بالثقافات " البدائية " المعروفة لدى علماء الانثروبولوجيا بالكرم والود والتعاون اكثر من اتصاف غالبية اعضاء المجتمعات المتمدنة بهذه الخصال ، لذلك يكون الاسكيمو والاستراليون الاصليون ، بمعاييرنا نحن حول هذه الامور ، افضل منا • ان اعضاء هاتين الثقافتـــين البدائيتين مخلصون ، مرحون ، شجعان ، يعتمد عليهم الى حـــدود

---

* المقصود باللاكتابية الشعوب التى جاءت قبل عصر الكتابة •

لاترقى اليها الا قلة من المتمدنين . فمن هم الاكثر تطورا فى هـذه المجالات ؟ اولئك الذين يدعون بالسنتهم اتباع هذه الخصال او اولئك الذين يمارسونها فى حياتهم ؟

من الافتراضات الشائعة الاخرى ان الشعوب " البدائية " هى " اقرب " الى الانسان القديم واكثر شبها به من تلك الشعوب التى يقال انها " متقدمة " . ولكن هذا الافتراض موضع شك كبير . فالحقيقة هى ان للشعوب اللاكتابية تاريخا لايقل طولا عن تاريخ الشعوب المتمدنـة . ومهما شطح بنا الخيال ، ورغم كل مايقال عن "المتحجرات الحية" ، فانه لايحق لنا ان نعتبر اى تجمع سكانى بشرى من المتحجرات . ذلك لان كل المجتمعات الانسانية تتغير . ولا شك ان معدلات التغير تتفـاوت ويكون بطوءها فى اماكن اشد من بطئها فى اماكن اخرى الا ان التغيرات لابد حاصلة : تحصل فى اللغة والدين والعادات والتكنولوجيا ، ولابـد ان تتأثر هذه التغيرات بالتجارب المختلفة التى يتعرض لها كل مجتمع . فالمجتمعات المنعزلة عن مجرى التغير الثقافى الرئيسى تتغير ببطء . اما تلك التى تتعرض للتأثيرات المخصبة الناجمة عن تبادل التأثـيرات الثقافية مع الشعوب الاخرى فانها تتغير بسرعة .

ما اكثر مانوحد مابين " الانسان البدائى " وبين الشعـوب اللاكتابية المعاصرة بدون وجه حق ، بينما لايصح استعمال تعبـير " الانسان البدائى " الا لوصف انسان ماقبل التاريخ . ولكن هنا كبعض المزالق فى استخدام اصطلاحات مشحونة بالافكار الخاطئة حتى فى هذا المجال ايضا . فالانسان البدائى ، اى انسان ماقبل التاريخ غالبا ما يتصوره الناس وحشا غائر الجبهة ، صغير الدماغ ، ضخم الرقبة ، خائـر الركبتين ، متصفا بتلك العادة القبيحة — عادة جر النساء من شعورهن والمحزن فى الامر ان هذه الافكار انتشر بين عامة الناس .

ان فى الاعمال الفنية التى انتجها انسان ماقبل التاريخ الذى عاش مابين ١٥٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠ سنة خلت اوضح دليل على ان هـذا الانسان بوصفه فنانا قد بلغ من الرقى مابلغه اى انسان عاش بعـده .

وعندما نتذكر ان هذه الاعمال لم تخلق كاعمال فنية بل كجزء من الطقوس السحرية الدينية التى قصد منها تحقيق النجاح فى الصيد وان الظروف التى خلقت هذه الاعمال فيها كانت من اصعب الظروف ، سواء حين كانت ترسم على اعالى الجدران او على السقوف بينما يستلقى الفنان على ظهره ويعمل تحت الضوء الباهت المنبعث من لهيب الزيت الداخن ، عندما نتذكر ذلك فان تلك الانجازات لابد ان تثير فينا العجب . وليس من شك فى ان الافراد القادرين على استخدام مثل تلك المهارات كانوا يتميزون بدرجة من الذكاء لاتقل روعة عن تلك التى يملكها الانسان المتمدين المعاصر . ولما كانت كلمة " بدائى " لاتؤدى الى طمس هذه الحقيقة فحسب ، بل الى حجب قدرتنا على فهم المغزى الحقيقى للوقائع ، فمن الواضح ان علينا التحلى باقصى درجات الحيطة اذا اردنا استخدامها .

معانى مصطلح " البدائية " :

١ — يشير المصطلح بوجه عام الى الفجاجة وانعدام التطور والخشونة ، وتدنى النوعية .

(أ) وفى بعض السياقات يعنى المصطلح ايضا عدم كفاية الوسائل بالنسبة للاهداف سواء منها الصريحة او المفهومة ضمنا . ولهذا علاقة بالمجال التكنولوجى خاصة ، ولكن ايضا بالظروف الموجودة داخل مجتمع ما وبالمفاضلة بين الثقافات فالعصا التى تستخدم للحفر — مثلا — بدائية ، بالمقارنة مع اله مثل التراكتور ، والمضخة التى تشغل باليد " بدائية " بالمقارنة مع شبكة للمياه تستخدم الانابيب والحنفيات والخيمة او الكوخ " بدائيان " ، بالمقارنة مع " البيت " والنار العادية او الطباخ الذى يستخدم الخشب " بدائيان " بالنسبة لالات الطبخ الغازية اوالكهربائية وهذه الاخيرة ربما توصف بالبدائية يوما عندما تقارن بالات تستخدم الطاقة الشمسية او الذرية وهكذا ، والطرق البدائية

للنقل متعبة وبطيئة بالمقارنة مع تلك التى تتصف بالسرعة وبتوفير اقصى درجات الراحة للمسافرين •

(ب) ويستخدم المصطلح احيانا ليؤدى معنى " البساطة " او " عدم التمايز " او للتعبير عن النقيض العام " للتعقيد " • وعلى العكس من ذلك قد يفيد معنى " التعقيد " اى ضد " البساطة " وللتعبير عما يتصف بالتمايز فيما يتعلق بصفات معينة تقوم سلبها واللغة هى اوضح مثال على ذلك (انظر ر • ر • ماريت ١٩١٢/١٩٢٣ : ١٣٩ — ١٤٥ ، م • ر • كوهين وى • ناجل ١٩٤٣ — ١٩٤٩ : ٣٨٩ ، هـ • غد ١٩٥٨ : ١٧ — ١٨) ففقدان العلامات الاعرابية فى اللغة الانكليزية ينظر اليه احيانا باعتباره حركة باتجاه الوضوح (اى ان البساطة هنا تقوم ايجابيا) ، وذلك فى مقابل الاحتفاظ بالعلامات الاعرابية فى لغات كاللاتينية والالمانية •

٢ — قد تعنى الكلمة ، طبقا لاشتقاقها اللغوى نقطة فى الزمان " مبكرة " او " اولى " • واحيانا تستعمل للدلالة على ما هو " اصلى " او " قديم " او " من المنبع الصافى " اى انها تتصل ببدايات الاشياء بفجر المجتمع الانسانى • كما انها تشير ضمن الاطار الفكرى الذى يؤمن بسير التطور الانسانى فى خط مستقيم (وهو اطار مايزال واسع الانتشار) ، الى مجتمعات سحيقة فى القدم لايمكن التعرف عليها الا من خلال الحفريات الاثرية وكذلك الى مجتمعات معاصرة يقال انها تشبه القديمة فى عدد من الامور المهمة كاستخدام الالات الحجرية والاقتصاد القائم على الصيد والزراعة — اقتصاد " اقطع — واحرق " ، ان جاز التعبير •

وهذه المجتمعات تؤخذ من ثم كمثلة " للانسان الاول " وكأمثلة واضحة كل الوضوح على ما كان عليه المجتمع والثقافة فى فترة ماقبل التاريخ (انظر بحث فون فيرر — هيمند ورف المنشور فى الكتاب الذى حرره (• ل • توماس ١٩٥٥ : ١٤٩ — ١٦٨) • ومن تفرعات هذه النظرة

التى لم تختف حتى فى ايامنا هذه مايدعى بنظرية التلخيص ، وهى التى تقول ان تطور المجتمع الانسانى عبر التاريخ يوازيه تطور الافراد من عهد الطفولة الى عهد النمو الجسمانى والاجتماعى ، وقد اشير احيانا الى " طفولة الجنس البشرى " والى " يفاعة " انسان ماقبل التاريخ وانداده الاحياء والى تناولهم الساذج غير الراشد لعالم الواقع (*) .

تعنى " البدائية " فى كل تلك الحالات استمرار بعض الصفات عبر حقب زمنية طويلة ، مع اقل مايمكن من التغيير . وهى بهذا المعنى تتصف بصفة " لازمانية " بحيث تبدو الشعوب التى توصف بها وكأنها خارج الزمن . صحيح ان من يتصورون تلك الشعوب على هذا الشكل يعترفون انها — باعتبارها احياء طبيعية — معاصرة لنا ، الاان ذلك فى نظرهم شذوذ عن القاعدة . انها تعيش فى زمننا ولكنها ليست منه لانها تنتمى الى عالم آخر ، هو عالم الماضى .

(*) تتحدث س . لانغر (١٩٤٢ — ١٩٥٤ : ١٢١) عن توقف التطور فى مرحلة " المراهقة " انظر كذلك أ . ل . كروبير (١٩٥٢ : ٢٢٤) الذى يعقد مقارنة بين " الثقافة البدائية " وبين لعب الاطفال بل لقد قيل فى سياق آخر ان الشعوب البدائية يجب عليها خلال عملية تمدنها ان تشخص السلطة (اى تنظر اليها نظرتها الى شخص معين او من وجهة نظر شخصية) قبل وصولها الى هذا الهدف . تماما مثلما يفعل الاطفال فى المجتمعات المتمدينة قبل ان يبلغوا مرحلة النضج الاجتماعى . انظر فرايز (١٩٥٩ : ٥٠) .

اعادة النظر في مصطلح " البدائية "

ان كان هناك اصطلاح يرتبط بالانثروبولوجيا دائما فهو اصطلاح " البدائية " الذي يستعمل لوصف معلومات وجدها الانثروبولوجيون في مختلف بقاع العالم . فهناك علم بدائي ، ودين بدائي ، واقتصاد بدائي وعقلية بدائية ، وشعوب بدائية ، ومجتمعات وثقافات بدائية . وفي قاموس وبستر تعرف كلمة " بدائي " كما يلي : " مايتعلق بالبداية ، او الاصل ، حتى العصور الاولى ، او مايتصف بصفات العصور الاولى او ببساطتها اوفجاجتها ، الخ ، قديم الطراز ، كما في تعبير : الات بدائية . ولا شك ان فكرة التدني كانت هي ما دار في ذهن أ . ب . تايلور ، اول انثروبولوجي كبير في العالم ، عندما تحدث عن التطور الثقافي ذي المراحل الثلاث في كتابه " الانثروبولوجيا " Anthropo-logy (١٨٨١) الذي نشر لاول مرة بعد عشرة اعوام من نشر كتابه " الثقافة البدائية " Primitive Culture (١٨٧١) وتلك المراحل هي : (١) المرحلة الوحشية التي تتميز بالعيش على النباتات والحيوانات البرية واستعمال الات العصر الحجري . (٢) المرحلة البربرية التي تتميز بظهور الزراعة والالات المعدنية ونوع من الحياة الجماعية في القرى والحواضر ، (٣) المرحلة " المتمدينة " التي بدأت عندما اكتشف الانسان فن الكتابة " تايلر ١٨٨١ : ١٨-١٩ " .

لكن ربما كان التعريف الذي قدمه الكساندر غولد نوايزر لاصطلاح " البدائية " في كتابه " المدنية القديمة " Early Civilization (١٩٢٢ : ١١٧ - ١١٨) اوجز التعريفات واوضحها . فهو من ناحية يربط " البدائية " بالصغر ، والعزلة ، الخ ، ويستعمل الكلمة من الناحية الثانية ، بشكل يساويها من دون شك بفكرة التدني . يقول غولد نوايزر في كتاب لاحق هو " الانثروبولوجيا : مدخل الى الثقافة البدائية " Anthropology: An Introduction to Primitive Culture. (١٩٣٧) مايلي :

" الناس عموما والبداثيون بشكل خاص لايفكرون بثقافتهم أو يحللونها بل يعيشونها ولايخطر ببالهم مطلقا ان يركبوا مايعيشون أو يسطوه الى ابسط اشكاله ان جاز التعبير " •

ويقول : " ان من المظاهر المؤسفة للحدود السيكولوجية التى عجزت المدنية الغربية عن تخطيها فى محاولتها ان تنتشر فشلها الذريع فى ترك البدائيين وشأنهم وعجزها عن رفعهم الى مستواها " • (١٩٣٧ : ٤٧ ، ٤٩٠) •

لقد ظل الايحاء بالتدنى وغير ذلك من الصعوبات مصدر قلق للكثير من العلماء منذ وقت طويل • ولذلك جرت محاولات للاصلاح اتخذت مسارين : فمن الناحية الاولى اقترح بعض العلماء استخدام انواع اخرى من التقسيم لتحل محل التقسيم الذى يضع البدائيمقابل التمدين • ومن هذه الاقتراحات استخدام سابير (١٩٢٥) لاصطلاح الثقافة الاصيلة فى مقابل الثقافة الزائفة ، واقتراح ردفيلد (١٩٤١) ، لاصطلاح الثقافة الشعبية فى مقابل الثقافة الحضرية •

اما هرسكوفتز فقد اقترح بصراحة احلال مصطلح " اللاكتابية " محل " البدائية " وكان بذلك اول من عبر عن هذه الحاجة تعبيرا بليغا • فبعد ان اوضح ان كل من ندعوهم بدائيين او متوحشين اكثر تنوعا فى صفاتهم الثقافية من تنوع الجماعات التى ندعوها " متمدينة " قال :

" لاتعنى كلمتا " بدائى " و " متوحش " فى الكتابات الانثروبولوجية " والكتاب الانكليز لايكادون يستعملون ثانيتهما الاكمراد ف للاولى) ما تعنيانه فى كتابات كاتب كتوينبى او غيرها من الكتابات غير الانثروبولوجية • اما كلمة " بربرى " فان غالبية الانثروبولوجيين لايستخدمونها اطلاقا • ولايستخدم الانثروبولوجيون كلمتى " بدائى " و " متوحش " الا للدلالة على الشعوب التى تقع خارج مجرى الثقافة الاوروبية الامريكية وهى الشعوب التى ليست لديها لغات مكتوبة • وقد

كان الامل ان تفقد الكلمة بتكرار هذا المعنى كل معانيها الاخرى ، وان تتوقف عن الايحاء بالبساطة او السذاجة اوعن ان تستعمل ككلمة عامة تصف مدنيات تختلف عن بعضها اختلاف رعاة الرنة السايبيريين عن رعايا امبراطورية لواندا على نهر الكونغو اللهم الا فى حالة غياب الكتابة فقط " (١٩٥٨ : ٧٥) * .

ثم يمضى هرسكوفتز الى اقتراح استعمال كلمة " لاكتابى " بدل كلمة " بدائى " لان الكلمة الاولى " لا لون لها وتعنى ماتقول بدون غموض وتنطبق على المعلومات التى تريد ان تحددها وهى لهذا افضل الكلمات التى بحثناها " (١٩٤٨ : ٧٥) .

لكن هناك من الباحثين من يصرون على استخدام الكلمة ، انما بقدر اكبر من الدقة وقد اسهم رادن (١٩٥٣) اسهاما عظيما فى هذا المجال ، بينما فعل ستانلى دايمند (١٩٦٣) اكثر مما فعل غيره لايجاد مايسميه " تعريفا ايجابيا " لاصطلاح " البدائية " يقول :

" كل الشعوب البدائية هامشية بالنسبة لمجرى التاريخ المعاصر وذلك بسبب " امور عرضية " تتعلق بالموطن بالدرجة الاولى . وبهذا المعنى يمكن روئية البدائيين المعاصرين باعتبارهم اجدادنا المعاصرين السابقين على المدنية . (دايمند ١٩٦٣ : ٧٩) .

ثم يمضى دايمند الى تعداد عشر سمات للبدائية ، بدءا من القاعدة الاقتصادية الجماعية ، وانتهاء بدور " الدراما الشعائرية " باعتبارها " وسيلة مفهومة ثقافيا للتعبير الجماعى او الفردى فى الفترات الحرجة من دورة الحياة الاجتماعية أو الشخصية .. " والهدف النهائى

---

* اغلب الظن ان المقصود هنا سنة ١٩٤٨ ، فليس من بين مراجع الكتاب كتاب لخرسكوفتز بتاريخ ١٩٥٨ ، وسيكرر الكاتب الخطأ فيما بعد . (المترجم) .

من تعريف دايمند الجديد هذا ربما يتبين من السمة العاشرة ، وهى : " ان كان تحقيق الذات واظهار الشخصية الانسانية ضمن خلفيـــــة اجتماعية وطبيعية وفوق الطبيعية (تعلو على الذات) مقياسا يصح دائما لتقويم الثقافة فان المجتمعات البدائية متفوقة علينا " ومن قوله : أننــــا لا نستطيع التخلى عن البدائية ولن نتخطاها الا بتركها تنمو داخلنا " (دايمند ١٩٦٣ : ١٠٣ ، ١١١) .

الشعوب "البدائيـة"

لقد استعملت مصطلح "البدائية" مثل كثيرين غير من الانثروبولوجيين بشعور متزايد من عدم الرضا . ويضم كتاب مدرسى نشرة سيرفس بعنوان "ملامح الثقافات البدائية" A Profile of Primitive Cultures . "عام ١٩٥٨ وصفا لشعوب الارنتا ، والباهغان ، والاندامان ، والاسكيمو ، والتنغو ، والشايان ، والنوير والنافاهو ، والخيفارو ، والنوتكا ، والتروبرياند ر ، والتاهيتيين ، والكالنغا ، والمايا ، والانكا ، والاشانتى ، ولقرى فى يوكاتان ، وبراكش ، والصين ، والهند . ويبدو ان هذا المصطلح فى ذلك الكتاب وفى غيره من الكتب التى سبقته ، مثل "معاصرونا البدائيون" Our Primitive Contemporaries "ميردك ١٩٣٤) لايعنى الا "الشعوب التى يدرسها الانثروبولوجيون" . اذن لماذا اختير هذا المصطلح دون غيره ؟

ليست المسألة مسألة اختلاف حول ظلال المعانى . ففى الرحلات التى قمت بها حديثا اتضح لى ان تغاضينا عن هذا المصطلح سيلحق الضرر بعلم الانثروبولوجيا . ان الانثروبولوجى يعرف بانه "من يدرس الشعوب البدائية" لكن المعانى القاموسية لكلمة "بدائية" لاتشير الى وجود جماعات من هذا النوع ، او على الاقل ، ليست الشعوب التى ندرسها بدائية بالمعنى الذى تفهم به هذه الكلمة ، ففى عالم اليوم غدا العلماء الذين يدرسون الجماعات "البدائيـة" بلا موضوع يدرسونه .

كنت اخذت على عاتقى مهمة كتابة بحث حول هذا الموضوع لاجتماع الجمعية الانثروبولوجية للولايات الامريكية الوسطى الذى كان سيعقد فى بلومنغتن بولاية انديانا فى الولايات المتحدة فى آيار ١٩٦٠ ، وطلبت من مساعدة البحث لوس مدنك ان تعد لى بعض المعلومات حول استعمالات مصطلح البدائية فى علم الانثروبولوجيا

وسأنقل هنا نص مذكرتها لما لها من فائدة عامة .

وقد اتضح لي في غضون ذلك ان سبب عجزنا عن الاستعاضة عن ذلك المصطلح بغيره ـ مثل قبل ـ كتابية ، او وطنية ، الخ ـ هو ان الاستعمال الانثروبولوجي لكلمة البدائية لايعبر عن مفهوم صحيح يستحق مصطلحا واحدا اذ نحن نحشر معا كل شعوب العالم ماضيها وحاضرها فيما عدا تلك التي تشكل جزءا من المدنية الغربية واسلافها القدماء .. لكن يجب على الانثروبولوجيين قبل غيرهم ان يعرفوا ان هذا التصنيف غير مقبول فاذا ماتطلبت شجرة البلوط مصطلحا يغطي كل الاشجار الاخرى باستثناء شجر البلوط فهل نستغرب الا نجد جوابا شافيا ؟ ليس بين الشعوب التي ندعوها بدائية ، في الحقيقة ، عامل مشترك لاتشاركها فيه كل المجتمعات والثقافات البشرية الاخرى . اذ لابد لسمة كتلك ان تكون (١) صفة تميز بنفس الدرجة الاندامان ، والارنتا ، والاشانتي ، والشايان ، والصين ، والاسكيمو ، والانكا ، والهنود ، والخيفارو ، والكالنغا ، والمايا القدماء والمعاصرين ، والمراكشيين ، والنافاهو ، والنوتكا ، والنوير ، والتاهيتيين ، والتروبرياندر ، والتنغو ، والياهغان ، وان تكون (٢) مميزة لكل هؤلاء عن مصر اخناتون ، واثينا بركليس ، وفلورنسه جليني ، وانكلترا شيكسبير ، واوربا نابليون .

ونحن لم نكتشف اية سمة في هذا النوع بل استنتجنا ان مثل هذه السمة لاوجود لها . ولكننا نمضي مع ذلك في استعمالنا للكلمة وصفا للمجموعة الاولى لان شعوبها غدت موضوع دراستنا الخاصة (فالمجموعة الثانية معروفة لدينا بشكل جيد) .

ورغم ان اية كلمة مفردة لن تكون مناسبة الا ان الكلمة التي اخترناها ـ اي البدائية ـ كانت اسوأ من غيرها بالنظر لما لها من ظلال المعاني . ومن المفارقات الغريبة ان المؤمنين بالنسبية الثقافية استعاضوا عن المصطلحات السيئة القديمة (متوحشة ، بربرية ، متمدينة) بأسوأ منها (بدائية) ليطلقوها على اولئك الذين كان

علماء النشوء والارتقاء يدعونهم بالمتوحشين والبرابرة ، واستخدموها ، فضلا عن ذلك ليصفوا بها شعوبا "متمدينة" لم تكن معروفة جيدا من قبل الاوروبيين . أما الانثروبولوجيون فان استعمالهم لمصطلح البدائية في السياقات النظرية (حيث لامدلول لها هناك) يقل عن استعمالهم له في عناوين مقرراتهم الدراسية وكتبهم وفي احاديثهم العادية ، حيث يكون اثرهم على اشده ، وهذه اعجب المفارقات .. نحن نضع المصطلح بين علامات اقتباس ونعرف ان ذلك ليس صحيحا ولكن هل نلوم غيرنا اذا قال ضمن اطار تقسيم العمل ان الانثروبولوجيين هم الاشخاص الذين يدرسون البدائيين ؟ .

نماذج تطبيقية للجماعات البدائية فى افريقيا :

١ ـ شعوب الصيد والقنص :

أ ـ صياد و السافانا (البشمن ، ... ابى ، كديجا وبقايا شعوب اخرى ، برج داما) .

ب ـ صياد و الغابات الاصليين (الاقزام) .

٢ ـ الشعوب التى تمارس الرعى :

أ ـ البجا فى السودان

ب ـ الصومال

٣ ـ الزراع البدائيون فى الغابات الافريقية .

٤ ـ بعض القرى فى جمهورية مصر العربية

أ ـ هورين (بحرى)

ب ـ العشى (قبلى)

(١) مجتمعات الصيد والقنص الافريقيـــة *

وتعتبر هذه المقالة بداية لسلسلة دراسات عن شعوب افريقيـا تعتمد فى تقسيم شعوبها على النشاط الاقتصادى السائد فيها .

وتعرض هذه الدراسة :

١ ـ صياد والسافانا :

(أ) البشـمن
(ب) سانداوى ، كديجا وبقايا شعوب اخرى
(جـ) برج داما

٢ ـ صياد والغابات الاصليين (الاقزام) .

وسيعقب ذلك سلسلة من الدراسات عن شعوب افريقية ** لمـا لها من اهمية كبيرة حيث انه مازال هناك نقص كبير فى المراجع العربية بالنسبة للدراسات الافريقية وبصفة خاصة انثروبولوجية افريقيا .

وتواجه الباحث فى انثروبولوجية افريقيا عدة مشكلات : اولهـا واخطرها هى الندرة غير العادية فى المراجل ، فعلى الرغم مما كتب عن كثير من شعوب القارة وبالرغم من التخصص الدقيق لبعض الكتاب فى شتى فروع الحياة بالنسبة لهذه الشعوب ، الا ان الامر يختلف فيمـا يتعلق بالبشمن والاقزام وبقايا الشعوب الاخرى . فالمادة المتاحة حتى الان عنهم تعالج الموضوع بشكل عام وسريع ، كما ان ندرة المراجـع لاتقتصر على الكتب العربية فقط ، بل تتعداها الى الكتب والمراجـع

---

* انظر نهاية المقال .

** دراسة للدكتورة سعاد على حسن شعبان ، منشورة بمجلـة الدراسات الافريقية ، العدد الثامن ، ١٩٧٩ .

الاجنبية ايضا • وثانيهما : هى تلة الدراسات الحديثة عن البشمن والاقزام • وحتى المراجع الموجودة — مع ندرتها — ترجع الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين • والتى يرجع الفضل فيها ليس الى المتخصصين من الانثروبولوجيين وانما الى الرحالة والمبشرين وقد اخذ عنهم اغلب من كتبوا حديثا * •

(*) اتيحت لى الفرصة ان اطلع على هذه المراجع النادرة والمتوفرة فقط فى المعاهد المتخصصة اثناء دراستى فى المانيا الغربية ومنها :

Schneider, W.: Die Religion der afrikanischen Naturvolker. (Westf.) 1891.

Schmidt, P.W.: Die Stellung der pygmaenvolker in der Entwicklungsgeschichte des Menschen. Stuttgart, 1910.

Baumann, H.: Vaterrecht und Mutterrecht im Afrika. In Zeitschrift fur Ethnologie 1926.

Schapera, I.: The Khoisan Peoples of South Africa. London 1930. p. 57-64.

Schebesta, P.: Bambuti. Leipzik 1932.

Frobenius, L.: Kulturgeschichte Afrikas. Zurich 1933.

Baumann, H.u. Thurnwald, R.u. Westermann, D. Volkerkunde von Afrika. Essen 1940.

Bernatzik, H.A.: Afrika, Handbuch der Angewandten Volkerunde. Hrsg. von H.A.: Bernatzik innsbruck. 1947.

Seligman, C.G., Races of Africa, London 1957.

Murdock, G.P.: Africa, its people and their culture history. New York 1959.

١ — صـــياد والســـافانا

تعتبر حضارة صيادى مناطق السافانا باوروبا وافريقيا اقـــدم حضارة يمكن ان يتحدث عنها علماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا وما قبل التاريخ . وبالنسبة لافريقيا ينتشر صياد والسافانا فى الجزء الجنوبـــى الغربى من القارة فيما بين صحراء ناميبيا جنوبا وزنج الى كونـــين وانجولا . وتقتصر هذه المناطق على البشمن وبعض الهوتنتوت كما تنتشر بقايا بعض شعوب الصيد امثال (سنداوى وكنديجا . وندوروبـــــو (Sandawe, Kindiga, Ndorobo فى شرق افريقيا . (واتا . ودوم وبنى (Wata, Dume, Beni فى الشمال الشرقى . وينضـــم لهذه المجموعة بعض جماعات الصيد ذوى اللون الفاتح مثل (مهالـــبى Mahalbi) بين النيجر وبحيرة تشاد .

ويصف باومان (١) حضارة هذه الشعوب العريقة فى القدم وبصفة خاصة طقوس الصيد وطرقه مثل : اقنعة الصيد . وتسميم اماكن الميـــاه . وعصى الرمى . والخنادق . واخفاء السهام المسممة فى اعشاش النعام وجرح الحيوان . ومطاردة القنيصة والصيد بالكلاب . واخيرا عصــــا الحفر مع الحجر الثقيل . كما يصف ملابسهم بانها عبارة عن مآزر . أو احزمة من الجلد واغطية تستر العورة وعلاوة على ذلك فهم يستخدمون ادوات زينة من بيض النعام او القواقع ويحملون اقواسا وسكاكين ومقاليع ورماحا . والمسكن عبارة عن مصدات رياح واكواخ ذات تركيب بدائية من فروع واوراق الاشجار والحشائش .

وكان التنظيم الاجتماعى قديما يتكون من اعضاء جماعة الصيـــد يرأسهم اكبرهم سنا كقائد . ولكن تلك الجماعة اصبحت تتبع مبدأ آخـــر

---

1. Baumann, H. und Thurnwald, R., und Westermann, D.: Volkerkunde von Afrika, Essen 194.

هو مبدأ الاقوى جسمانيا • وترتبط حفلات التكريس التى يسمح من خلالها للفرد ان يندرج تحت جماعة الصيد بظهور الاشباح فى الادغال حيث يلقن اسرار فن الصيد التى ترتبط بطقوس سحرية مختلفة • يقودها اصغر رجل فى جماعة الصيد • وتعتبر العصا السحرية من ادواتهم المختلفة التى تحمل معنى عقائديا • ولا يعرف صيادو السافانا تقديس الاسلاف والارواح فى معتقداتهم الدينية ويحل محلها فى المقدمة تصورات سحرية عن الميت الذى يتحول الى شبح ويبقى جثمانه — فى نظرهم — حيا • ولديهم ايضا اساطير حيوانية متطورة تتكون من مجموعة من اشكال الحيوانات تتمثل فى الجان واشباح الادغال • ويعتقد اولئك الصيادون فى العاظم كما يقدسون القمر ايضا • وقد ادى هذا التقارب بين الانسان والحيوان والحياة الجماعية المتجاورة والرابطة العميقة بينهم الى تكوين افكار توتمية[1] تؤكد الموقف الروحى لهؤلاء الصيادين فى العصر الحجرى •

(أ) البشمن (*)

لايمكن ان نتوقع ان يقابلنا اليوم ممثلون لشعب من شعوب العصر الحجرى ينتمون الى سلالة نقية وغير مختلطة •

---

(١) التوتم لدى الشعوب البدائية حيوان او نبات أو ظاهرة طبيعية تعتبر رمزا لهم وتشعر الجماعة انها مرتبطة به • انظر :
Der Kleine Brockhaus in zwei Bander,
F.A. Brockhaus, Wiesbaden 1962.
Zweiter Band L-Z. p. 545.

(*) هذا الاسم مشتق من الكلمتين الانجليزيتين Bush-Men ومعناها رجال الادغال • ويستعمل نفس الاصطلاح باللغة العربية لان الاسم الشائع الانجليزى الاصل قد اصبح علما • ويميل الكتاب الى اعتبار البشمن اقدم الاجناس فى القارة الافريقية • وليس له مثيل فى اية قارة اخرى • ولاشك انه كان

فعندما حل للهولنديون فى منتصف القرن التاسع عشر بالاقليم الذى توجد به الان مدينة الكيب ، كان يسكن هذا الاقليم جنسان . احدهما اطول قامة ويعيش على رعى قطعان الماشية وهو مايعرف الان باسم الهوتنتوت اما الجنس الاخر فكان يعيش على الصيد والجمع وقد اطلق عليه الهولنديون اسم البشمن(١) . ويؤدى التشابه الكبير بين البشمن والهوتنتوت الى جمعهما فى سلالة واحدة تسمى سلالة الخواسان Khoisan (٢) وهى كلمة مشتقة من خسوا Khoa وهو الاسم الذى يطلقه الهوتنتوت على انفسهم وسان هو الاسم الذى يطلقونه على البشمن . ويشبه الهوتنتوت البشمن فى معظم صفاتهم

—— اوسع انتشارا من الوطن المحدود الذى يعيش اليوم فى بيئة ليست افضل البيئات لحياة الصيد ، والبقايا الاثرية تشير الى انهم جاءوا من الشمال حيث كانوا منتشرين فى مساحة كبيرة فى الاقاليم المدارية شمال وجنوب خط الاستواء .
Seligman, G.G.: Races of Africa, 1966. p. 11.
سيلجمان ، س . ج : السلالات البشرية فى افريقيا ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢١ .
د . محمد عوض : الشعوب والسلالات الافريقية ١٩٦٥ .

(١) اطلق الهولنديون على البشمن اسم Bosjesman وهو يعنى الذى يسكن خلف الـ Bosjes اى الاكواخ المجدولة من الفروع :
Der Kleine Brockhaus, Erster Band 1961, p. 632.
Bernatzik. 1968, p. 186-199.
Hirschberg, W., 1965, p. 30, 33.

ويقدر عدد البشمن الى عام ١٩٦٥ بحوالى ١٠٠٠٠٠ نسمة .

(٢) Khoisan هو الاسم العلمى العام للهوتنتوت والبشمن حيث يجمعهما وحدة لغوية وحضارية : Seligman 1960 p. 16. محمد عوض ١٩٦٥ ص ٣٧ . سيلجمان ١٩٥٩ . ترجمة يوسف خليل ص ٣٨ .

الفيزيقية ولكن هناك فارقا رئيسيا بينهما وهو طول القامة ، والصفات الزنجية اكثر ظهورا عندهم مما هى عند البشمن ، والرأس اكثر استطالة ويظهر هناك اختلافا آخر فى حضارة الجماعتين ، فالهوتنتوت رعاة يربون البقر والاغنام ويصنعون من الحديد ادوات ورماحا وسهاما ومن الخشب اوانى وصحونا وينسجون الحصير ويستعملون من الجلود قربا للماء واوعية لحفظ اللبن (١) . واوضحت ابحاث اطوال الاجسام التى اجريت على البشمن ان متوسط طول القامة ١٤٤ سنتيمتر ، والبشمن الذين يسكنون الشمال اطول من الجماعات التى تعيش فى الجنوب . وعموما فان لون البشرة لديهم يميل الى الاصفر الباهت او البنى المشوب بالحمرة وكلها صفات تشير الى درجة من الاختلاط مع الزنوج المجاورين ذوى الالوان الداكنة . ومما يلفت النظر فى قسمات وجوههم التجاعيد الشديدة حتى لدى الاشخاص صغار السن ايضا والشعر طفيف ويغطى الرأس واليدين والقدمين شعر اسود قصير لولبى مجعد يبدو كما لو كان مزخرفا ويطلق عليه شعر " مفلفل " ويغلب على النساء دائما بدانة الأرداف وكذلك غلظ الشفاه (٢) . انظر الصور (✱) .

ويعتبر اصطلاح البشمن اسم جنس يضم عددا من جماعات العشائر المختلفة وتقسم تلك المجموعات الى شمالية ووسطى وجنوبية :

تشمل المجموعة الشمالية : الكوين Kauen شمال الواحة وفى الغرب واحة نجامى وتضم " اكوا ، اوزان ، ماكوكاو " . ويطلق عليها عادة اوين او اونين Auin, Aunin وقدر عددهم

---

(١) Seligman .

(✱) محمد عوض ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩ ، سيلجمان ١٩٥٩ ترجمة يوسف خليل ص ٣٠ .

(٢) سيلجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢٢ ، محمد عوض ١٩٦٥ ، ص ٣٠ .

بحوالى من ٥٠٠ — ٦٠٠ نسمة ويمت الكونج Kung فى الشمال اليهم بصلة قرابة قوية • ويقسمون الى : "اجوا واجوا • نوجو وكنجو" (Ogewa, Agau, Nogau, Kungau) ويعيش الى الشمال منهم فى جنوب انجولا : "الجاى كو Gei Ku او اوكو Oku وهذا يعنى "شعب الغابات" • ويسمون غالبا اوكنج O Kung ويسميهم زنوج البانتو باخانكالا او فانكالا Bakhankala, Vankala فى الغرب • وبازوكوفيرا Basukuwera فى الوسط وفسهكلى Veshekeli فى الشرق • وهم ينتمون حاليا الى الاقـــزام • ويوجد اخيرا الهيوم او الهايكوم Heiom, Heikum وهم يتكلمون الناما (لغة الهوتنتوت) وقد تأثروا كثير بالهتنتوت *

وتشمل المجموعة الوسطى : العشائر الموجودة فى الجزء الاكبر من بلاد البتشوا — التى كانت توجد تحت الحماية الاجنبية — وخاصة فى شمال ووسط كلهارى • ويمتد الاقليم المتسع للايكون Aikwe ونارون Naron من زاند فونتين Sandfontein فى الغرب الى غانزى Ghansi فى الشمال الغربى واكوا Okwa فى الجنوب الشرقى • ويتصل بهم بصفة قرابة التسا وكوى Tsaukwe وتسونكوى Tsonkwe وامكوى Amkwe وجكوى Gikwe شمالا وشرقا الى نهر نجامى • والى جانب ذلك توجد ارض المستنقعات اكوانجو التى يسكنها البشمن التانكوى Tannekwe • ويسكن اخيرا فى الشمال على المستنقعات بين نهر اكوانجو وكواند و Okowango Kwande الهوكوى كما يسكن الجاليكوى Galikwe فى الشرق بين كواند و السفلى وزمبيزى وربما الى داخل شمال غرب رود يسيا ايضا • وينتمى ايضا التسريكوى Tserekwe والدوكوى Dukwe والكاباكوى Kabakwe الى المجموعة الوسطى فى الجنـــوب الشرقى من نهر نجامى • ويقطن الى الشرق منهم الاوهكوى Ohekwe او ماتيته ويمت الماهورا Mahura اليهم بصلة قرابة وهـــم ينتشرون على البوتلتلى السفلى وعند نهر كوماد و • ويسمى الهيتشفارا Hiechwara انفسهم مرة اخرى باسم البشمن الذيـــن

* انظر الخريطة المرفقة •

كانوا يعيشون فى منطقة تاتيدى على الحدود الشرقية لبلاد البتشوا وحتى مناطق حدود جنوب روديسيا وهم يعرفون عادة باسم ماسروا Masarwa . (انظر الخريطة) .

واما البشمن الجنوبيون وشمن الكيب فقد انقرضوا اليوم تقريبا(١) وربما ترجع تسمية هذه الجماعات الى اسماء مشتقة من اجداد قدامى ، وتزعم كل جماعة الانتماء الى جد من هؤلاء . ولايوجد لديهم نوع من السلطة المركزية تستطيع ان تفرض اى نوع من القرارات او الاوامر على الجماعة او العشيرة كلها . وتمتلك كل عشيرة مساحة من الارض معترف بها ولها فى داخل هذه المساحة حرية التجول والاستقلال ، وتفصل بين ارض كل عشيرة وما يليها حدود او معالم واضحة ولا يجوز عبور هذه الحدود المحايدة الا من اجل الزيارة النادرة والا اعتبر اجتياز الحدود نوعا من العدوان .

وفيما يخص لغة البشمن فقد جعلها جرينبرج(٢) Greenberg اسرة فريدة لان بها طقطقة لانظير لها فى لغة اخرى وقد سماها أسرة الطقطقات : The Click Family ، ويعرف بشمن الكلهارى سبعة احرف ساكنة بها طقطقة(٣) .

اقتصـاد البشـمن :

يمارس البشم الصيد والقنص والالتقاط وهم لا يزرعون ولا يربون ماشية بل يأخذون حاجتهم من الطبيعة راسا . والعنصر الهام فى حياتهم هو البحث عن الطعام . ويختلف طعامهم حسب البيئة التى

---

1. Hirschberg,W., 1955 p. 33, Bernatzik H.A., 1968, p. 187.

2. Greenberg, J.H. Part II. Vol. XXIX Nr. 1. January 1963.

(٣) Schnalzkonsonant تعنى حرف ساكن به طقة
Hirschberg, W., 1965. p. 24.

يعيشون فيها ، وحسب فصول السنة ولذلك يكون معظم الطعام احيانا من الصيد واحيانا اخرى يكون اكثره نباتا واشياء اخرى تجمع او تلتقط .

ويصيد البشمن الوعول والغزال كما يمارسون الصيد بالمطاردة فيطاردون الفريسة ويتبعونها الى ان ترهق وتقع ثم يقتلونها . وهم يستخدمون غالبا اقنعة الصيد من جلد النعام وفرو الظباء ، ويقترب الشخص بهذا الملبس من الحيوان حتى يتم اصطياده . ويحفرون الخنادق ويسممون السهام كما تدرب الكلاب احيانا على الصيد واما صيد السمك فيلعب دورا ضئيلا جدا لدى البشمن . وبينما يذهب الرجل للصيد تجمع المرأة الجذور والدرنات والابصال الصالحة للاكل وهى تبحث عن الغذاء النباتى بالحفر بواسطة عصا الحفر وما تجمعه المرأة يكون غذاء حيويا بجانب غنائم الرجل التى هى دائما ضئيلة . وهكذا يتعاون الجنسان للحصول على الغذاء . ولديهم وسيلة هامة للصيد عبارة عن عصا طويلة يثبت بطرفها ثقل من الحجر[1] وبالطرف الاخر سنارة حيث تسحب بها الحيوانات من جحورها مثل النمل والقنفذ الكبير والارانب وكذلك بواسطة الدبوس[2]، واحيانا يحتفظ بالفرائس الصغيرة داخل الحفر ثم تستخرج بعد ذلك .

السكن : عبارة عن مصدات ضد الريح او اكواخ شبه دائرية . تقيمها النساء من الحشائش وفروع الشجر بالقرب من منبع ماء غالبا . وتختلف الاكواخ فى الحجم والشكل من عشيرة لاخرى وهى ابسط اشكالها عبارة عن مأوى ارتفاعه نحو متر ونصف المتر . وتعيش العشيرة فى شبه معسكر كبير فى شكل دائرة كبيرة بحيث تكون اكواخ المتزوجين منفصلة بعضها عن بعض ويكون كوخ الزعيم عند بعض القبائل بعيدا عن الدائرة . وفى وسط المعسكر توجد شجرة يجتمع عندها الرجال وتقام

(١) الدكتور محمد عوض ١٩٦٥ ص ٣٤ ، سليجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢٤ .

2. Seligman, 1968 p. 13, Bernatzik, 1968, p. 87, Hirschberg 1965.

حولها الحفلات . ويعيش الاولاد والبنات في كوخ صغير بالقرب من كوخ الابوين الى ان يبلغوا سن الرابعة ثم يفصل الاولاد عن البنات فيما بعد (١) .

الملبس : لا يستعمل البشمن من الملابس الا القليل ويصنعونها من جلود الحيوانات فيلبس الرجل قطعة من الجلد مثلثة الشكل تشد وسطه وتستر عورته ، وترتدى المرأة ازارا صغيرا من الامام وآخر اكبر منه من الخلف ، وتزيد المرأة المتقدمة في السن علاوة على ذلك مئزرة اخرى تتدلى من الكتفين على الظهر وتسمى " كاروس Kaross " وهى عبارة عن عباءة قصيرة من فراء نوع من التياتل تحيكه وتزركشه وتتخذ منه فى النوم غطاء ويلبسه كلا الجنسين وعباءة المرأة اكبر لانها تربطها حول الوسط وتحمل فيها الاطفال والاشياء التى تجمعها من الارض ، واخشاب الوقود واما الاطفال فيسيرون عراة عادة (٢) . ويغرم البشمن بالتزين رغم الفقر الشديد . وتعتبر السلاسل الطويلة المصنوعة من قشر بيض النعام سلعة تجارية قديمة وما زالت حتى اليوم . وعلاوة على ذلك يولع البشمن بحلقات اليد الرفيعة المصنوعة من الخشب وحلقات جلدية اخرى مصنوعة من شرائط من الجلد وغيرها كادوات للزينة . كما تتزين بعض القبائل بمساحيق سوداء وحمراء توضع على الوجه بصفة خاصة ، كما يستخدم الرماد لتضميد الجروح . ويمارس ايضا الوشم كوسيلة للتزين . وفى قبيلة " نارون " يقوم كبار القوم بوشم الصياد الناجح مقابل هدية يقدمها لهم مما اصطاده .

---

(١) محمد عوض ١٩٦٥ ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، سيلجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ، ص ٢٤ .

Seligman, 1968, p. 16, Bermatzik, 1968, p. 199, Hirschberg p. 161.

(٢) Seligman, 1968, p. 14, Bernatzik, 1968, p. 188, Hirschberg.

سيلجمان ١٩٥٩ ، ترجمة يوسف خليل ص ٢٥ ، بيج ، ج : الشعوب البدائية فى وقتنا الحاضر ، ترجمة محمود محمد مرسى .

ومن اوانيهم وادواتهم نجدهم يستخدمون اكياسا من الجلد لحفظ مايجمعونه من الطعام ويضع فيها ايضا ادوات اشعال النار [١] والحبال • ويستعمل بيض النعام المزين برسومات زخرفية لحفظ الماء الذى يتم سحبه من باطن الارض بطريقة خاصة [٢] • وتسحق المرأة الفاكهة المجموعة فى هاون خشبى • ويحفظ البشمن سهامهم المسممة بعناية فى كيس او وعاء من الخشب او الجلد • وهم يستخدمون اساسا اقواسا وسهاما كأسلحة ونادرا مايستخدمون الهراوات كما يستخدمون الرماح المأخوذة عن جيرانهم • ولديهم مايسمى بمسدس البشمن الذى لايستخدم كسلاح ولكنه اداة سحرية يتكون من اقواس وسهام صغيرة مناسبة • اما سهام الصيد واقواسه المسممة فلها طرف من الخشب أو العظم ونادرا ماتصنع من الحديد [٣] • ونذكر بخصوص الالات الموسيقية قوس الموسيقى ومن الالات التى تستخدم فى طقوسهم السحرية العصا الالهية والعصا السحرية وهى تلعب دورا هاما كأداة طقسية فى المراسم الدينية •

وغذاؤهم : عبارة عن الحيوانات الصغيرة التى تصطادها المرأة والخضر والفاكهة التى تجمعها ومما تجمعه النساء ايضا بيض النمل الابيض او ارز البشمن الذى يقلى على النار مع قليل من الدهن •

---

(١) عصى خشبية خاصة لاشعال النار • ويتم توليد النار بطريقة احتكاك هذه العصى وعندمايشعلونها تترك مشتعلة بصفة مستمرة • Seligman , 1968, p. 13 .

(٢) لقد جعلت الحاجة من البشمن مخترعين فهم يستخرجون الماء نقطة بنقطة من الرمال المبتلة بصعوبة بالغة بواسطة مواسير بطرفها مرشح من الحشيش •

(٣) اذا وجدت بعض السهام والاقواس ذات الاطراف الحديدية فتكون قد اخذت عن جيرانهم فالبشمن لايصنعون الحديد • وربما يكون البشمن ايضا قد حاولوا فى بعض الاحيان صناعة الاوانى ولكنها محاولة يائسة •

ويجمعن ايضا الديدان والحشرات والجراد والضفادع والسحالى والثعابين والسلاحف ، كما يجمعن جذور الاعشاب ويحتفظن بها لاستعمالها فى فصل الشتاء ، وتصنع المرأة مايشبه الخبز من لباب نوع من النخيل او من جذور نوع من النباتات ٠

ويقوم الرجال بجانب صيد الحيوانات بجمع العسل ويذهبون فى البحث عنه الى اى مكان غير مبالين بارتفاعه ، ويصنع البشمن من العسل البرى نوعا من انواع الخمر تعلموه من الهوتنتوت(١) ٠

وفيما يخص البناء الاجتماعى للبشمن : فلايوجد لديهم نظام عشائرى واسع ولا يعرف احد ما اذا كان يوجد لديهم غير ذلك فى يوم ما كما لايوجد لديهم ايضا زعيم قبيلة متعلم ، وحتى لو وجد فانه يعتمد على قيادة اجنبية كما هو الحال عند الكونج Kung , والهايكوم Heikum ٠ ويمتلك الاخيرون ايضا صفة مميزة وهى ارتباط زعيم القبيلة بالنار المقدسة التى لايجب ان تطفأ ابدا ٠ وتظهر جماعة الاسرة والجماعة المحلية عند البشمن كوحدة اجتماعية مهمة ٠ ويكون قائد مثل هذه الجماعة هو غالبا اكبرهم سنا ومعرفة ودراية ٠ وتمتلك كل جماعة من هذه الجماعات اقليما معينا للصيد والجمع والتى لايمكن تخطيها الا تحت ظروف معينة ومسبقة فقط ٠ وتستمد الاسرة سلطتها دائما فى الخط الابوى ٠

ويعيش الرجل لدى البشمن غالبا مع زوجة واحدة Monogamy ولكن تعدد الزوجات عندهم Polygamy مسموح به ٠ ولو ظهرت هناك بعض حالات النظام الامومى فانها ترجع الى تأثير اجنبى ٠ ووجود نظام الزواج الخارجى (الزواج من خارج الجماعة Exogamy يرغم الرجال على الزواج بزوجات من جماعة اخرى غير التى ينتمون اليها وليس لديهم حفلات معينة للزواج(٢) ٠

---

1. Meyers Handbuch uber Afrika, 1972, p. 283.
2. Bernatzik, 1968, p. 188, Meyers Handbuch uber Afrika 1962, p. 505.

فاذا اراد احدهم الزواج اختار عروسة من الجماعات المجـاورة وفى يوم الزواج يهديها ازارا من جلد الحيوان وفى بعض القبائل يصيد العريس قنيصة من بقر الوحش او غزالا يقدمه لوالد العروس او للعـروس نفسها لاقامة وليمة العرس . واثناء الاحتفال بالزواج يمسك العريس بعروسه فيهجم عليه ذووها شارعين اسلحتهم وعلى الزوج ان يثبت ويتلقى الضربات ويظل فى الوقت نفسه متشبثا بعروسه لايتخلى عنها . واذا افلح فى ذلك انصرفوا عنه وتم الزواج والافعلية ان يجتاز التجربة نفسها مرة اخرى . وبعد الزواج يقيم العروسان بضعة اسابيع مع اهل العروس ثم ينتقلان معا الى حيث يقيم اهل الزوج . وينتسب الاولاد لابيهم وتتزوج الارامل عادة مرة ثانية ويكون الزوج الثانى مسئولا عن اولادها . فاذا ظلت الارملة بغير زواج فان من المنتظر ان يمد لها أخ الزوج المتوفى يد المساعدة (١) .

وعندما يولد طفل جديد يحتفلون بمقدمه بالغناء والرقـص وكذلك يفعلون فى يوم الاحتفال بتسمية المولود الجديد وتتم ولادة الطفل عموما فى الادغال ثم ترضع الام طفلها حتى الثالثة او الرابعة من عمره فاذا حدث ان ولد طفل آخر قبل فطام الرضيع فان مصير الوليـد الجديد الوأد عادة (٢) ولايعترف ببلوغ الاولاد مبلغ الرجال الا اذا اجتازوا فترة تمرين وتدريب خاص وفى هذه الفترة يتم تشليخ جبين الولد بعلامات خاصة بالاسرة . وتعمل بعض العشائر تكريسا خاصا بالاولاد (تكريس الشباب) وهى ترتبط غالبا بتجارب الشجاعة والقوة . ولقـد عرفوا حفلات التكريس التى يتم فيها ختان الاولاد تحت تأثير اجنبى وتقام للبنات حفلة عائلية صغيرة عند وصولهن سن البلوغ (٣) .

وفى حالات الوفاة : تدفن جثة الميت قرب الكوخ فى وضـع

---

1. Seligman, 1968, p. 14.
2. Seligman, 1968, p. 15.
3. Bernatzik, 1968, p. 188, Hirschberg, W. 1965, p. 177, Meyers Handbuch uber Afrika, 1962, p. 306.

النائم وتوضع معه جميع ممتلكاته ثم توضع الحجارة على القبر لتبعد عنه الحيوان • ويخاف الانسان من الاموات والاشباح ويفر هاربا من اماكن الاموات• وعادة ترك المكان ووضع الاحجار على القبور عادة قديمة ترجع الى عصور ماقبل التاريخ • وتنتشر هذه الاحجار فى كل بلاد الكيب وكلهارى • (مقابر هايتس ايبيب Heitsi Eibib) ومازال البشمن يحتفظون بهذه العادة حتى فى الاماكن الفقيرة بالاحجار • ويستمر الميت فى معتقداتهم كشبح او كجثة حية • ولا يعرف البشمن تقديس السلف • وهو يعامل موتاه بشكل مختلف تماما عما هو عند الزنوج (١) ولا تعود الجماعة الى مثل هذه البقعة الا بعد عامين • وتمارس بعض العشائر نوعا من تحنيط الموتى وذلك بطلاء احمر وتبخر الجثة بعد ذلك وتدفن غالبا فى مكان منخفض •

المعتقدات : ان المعرفة بتفاصيل معتقدات البشمن الدينية ضئيلة جدا وتظهر تلك المعتقدات فى صورة معقدة جدا اذ تختلط تخيلات الاعتقاد فى قوى خفية والاعتقاد فى الارواح بالافكار السحرية • ولكن قد نجد احيانا اثارا لتقديس القمر وغيره من الاجرام السماوية وقد نسجوا حولها سلسلة من الاساطير والخرافات كما يعتقدون فى بعض الكائنات الخرافية التى تختلف مسمياتها بين عشيرة واخرى مثل كانج خو وتورا Kaang Khu, Tera وجوناب Gaunal وفى اعتقادهم ان هذه الكائنات تمثل قوى الطبيعة وهناك مجموعة اخرى من تلك الكائنات تمثل اشباح الغابة والصيد • وجالب الصحة • وآلهة الخلق • وهى تظهر غالبا فى صورة حيوان وتلعب دورا كبيرا فى جلب الارواح الشريرة والرعد والعاصفة والبرق وقتل الناس• ومع ذلك فالسائد عندهم هو العقائد السحرية • والامراض التى يسببها السحر الضار او الارواح الشريرة تعالج بوسائل ومعاملات سحرية بصفة خاصة • ويوجد بينهم من الرجال والنساء من يدعى التطبيب عن طريق السحر • وللمطبب او للساحر مركز مرموق وهو الذى يبادر بانزال المطر ويسحر

---

1. Bernatzik, 1968, p. 188, 199;
   Seligman 1968, p. 13.

الحيوانات وهو يمارس غالبا بقدرته السحرية التى يمتلكها تأثيرات شريرة على الحيوانات وعلى البشر ايضا [1] .

يطرح مايسمى بفن البشمن سؤالا خاصا : يتعلق بالاعداد الهائلة التى خلفها البشمن من الاحجار المنحوته التى وجدت فى جنوب افريقيا . فقد وجدت عليها رسوم لمناظر رائعة . وهى فى الغالب دراسات متعددة الالوان ذات قيمة فنية كثيرة . ولقد كان الاختلاف فى الشكل والعمر مجالا لابحاث عديدة وحتى اذا لم يقبل احد أن ينسب جميع نقوش الاحجار ورسوم الكهوف فى جنوب افريقيا الى البشمن . فانها ربما تكون واحدة منها حتى وان كانت تمثل جزءا ضئيلا فيها . ومن هذه الناحية يمكن أن نتحدث عن فن البشمن . لقد قدم فن البشمن فى اوج تطوره رسوما لحيوانات متوحشة واغارات على الماشية هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى . قدم مناظر دينية سحرية وهى تمثل آدميين تتكرر فى شكل رؤوس حيوانات . وتمثل النقوش من ناحية ثالثة نباتات واشكالا هندسية . وافضل العروض هى التى تصور الطبيعة الكبيرة . وماتمثله تلك الرسوم هو حياة الناس وكذلك الحيوانات التى كانوا يصيدونها ويتغذون على لحومها . وتختفى مثل هذه النقوش الحجرية من مدينة الكيب شمالا الى زمبيرى ومن الجبال المحيطة جنوب غرب افريقيا الى الحدود الشرقية من جنوب روديسيا . ويذكر اوبرمايير Obermaier [2] وهو واحد من احسن العارفين بفن البشمن فى منطقة نهر تنجانيقا . انه فى الوقت الذى يتشابه فيه فن الصور الحجرية لافريقيا الصغرى فى الجزائر مع فن البشمن من ناحية الشكل والمحتوى . نجد فى وسط وشمال افريقيا تعبيرا فنيا شبيها بنمط البشمن . ولكن التوقيت الزمنى ليس بسيطا . لقد وصل فن البشمن فى جنوب افريقيا الذروة فيما يسمى " عصر ولتون " ولقد سميت حضارة ولتون تبعا للمكان الهام اكتشفه ولتون عند مدينة نجراهام وكان حاملوا هذه الحضارة قريبى

---

1. Seligman 1968, p. 15.
2. Obermaier Kuchn: Buschmenkunst. Berlin, 1930.

الشبه بالبشمن منهم جامعو طعام ، وصياد و اسماك وقناصون • وقد استعملوا ادوات حجريةوعظمية مثل ماكان يستخدم في العصر الحجري القديم • وعندما اتى الاوربيون الاوائل الى جنوب افريقيا كان البشمن ما زالوا يعيشون في مرحلة ولتون هذه ، وكان ذلك في القرن السادس عشر الميلادى وتدل جميع هذه المكتشفات دائما على وجود صلة قرابة بالبشمن • ومن هنا نستطيع ان نبحث عن اسلاف البشمن الحاليين بين هذه الجماعات البشرية القديمة جدا • ويكاد لايبقى اليوم من الفن الزخرفي سوى تلك النقوش التي يزينونها بيض النعام الذى يحفظون فيه الماء[1] •

ان هذا الموضوع يتعلق بشعوب تحمل طابع القدم العريق والعظيم • فهم عبارة عن جماعات تمارس الصيد والقنص والجمع والالتقاط ولهم حضارة خاصة وتقاليد معينة استطاع بعض العلماء ان يصفوها ويسجلوها مثل باومان هارتمان وسترمان وشابيرا وسيلجمان
Baumann H., Westermann, Schapera, Seligman
ورغم البساطة والفاقة التي يعيشون فيها نجد لديهم طقوسا معينة يمارسونها وادوات وفنون في طرق الصيد ، وملبسهم يتفق وموارد بيئتهم الطبيعية • ومهما كانت حياة الصيد مجهدة مضنية ، وغير محمودة العاقبة دائما فانها هي الحياة التي يمارسها البشمن • ولايخطر لهم ببال ابدا ان يلجئوا الى الزراعة او الى تربية الماشية كوسيلة من وسائل المعيشة وقد اكتسبوا بتجاربهم مهارة في الصيد وفي معرفة طبائع الحيوانات وتتبع اثارها في الصيد ولهم قدرة على احتمال الجهد والمشقة والجوع ، واستخراج كل شيء تشتمل عليه البيئة •

وهم ما زالوا الى يومنا هذا على معتقداتهم الاصلية من عبادة القمر وتقديس بعض الموجودات الاخرى المرتبطة بحيوان معين اونبات (توتم) •

---

1. Seligman, 1968, p. 16, Bernatzik, 1968, p. 199, Hirschberg, 1965, p. 205, Meyers Handbuch uber Afrika, 1962, p. 332.

ورغم التطور السريع الحادث فى العالم اليوم والانتشار الثقافى بوسائله المختلفة نجد ان هذه الشعوب ما زالت تعيش فى عزلة تامة مما جعلها تبقى على القديم وربما كانت البيئة الطبيعية بغاباتها وانهارها هى التى حالت بينهم وبين العالم الخارجى • هذه الجماعات تعتبر بقايا شعوب لانها فى طريقها الى الانقراض ومن هذه الناحية فهى جديرة بالدراسة والبحث لانها تمثل مرحلة اقتصادية وحضارية هامة بالنسبة لتطور حياة الانسان وينبغى التعرف عليها انثروبولوجيا قبل ان تندثر •

والبشمن نموذج لهذه الشعوب ويدل اسمهم " رجال الادغال " على بيئتهم • ومع ذلك فقد اشتهروا بفنهم الجميل وبصفة خاصة النقش على الصخر فى الكهوف والاركان • ومثل هذا الفن نابع من طبيعتهم • وهذه الموهبة الالهية تحتاج فى عصرنا الحاضر الى تعليم وتدريب خاصين ولها معاهد وكليات متخصصة كما انها تستغرق زمنا طويلا حتى يتقنها الشخص ومع ذلك فقد تعلمها وعرفها رجل الادغال من تلقاء نفسه • هذا الرجل الذى نطلق عليه الرجل البدائى البسيط ولقد هداهم تفكيرهم الى طرق متعددة للتغلب على مصاعب الصيد وللايقاع بالفريسة فحينا يلبسون اقنعة عبارة عن جلد او فرو الحيوان المراد صيده وتارة يطاردونه الى ان يتعب ويقع كما انهم يسممون السهام • ولديهم ايضا تقسيم واضح للعمل فبينما يقوم الرجل بصيد الحيوانات الكبيرة وهذا عمل يحتاج الى خبره ودراية وشجاعة لانه محفوف بالمخاطر تجمع المرأة الجذور والنباتات فالرجل يبحث عن الغذاء الحيوانى • وتبحث المرأة عن الغذاء النباتى وهما عملان يكمل احدهما الاخر • فكلا الجنسين يتعاون للحصول على الطعام • من هذا يتضح ان عامل الغذاء هو العامل الاساسى فى حياتهم اليومية كما يظهر ايضا بوضوح مبدأ التعاون والتكافل •

ورغم الفقر الشديد الذى يعيشونه ورغم الحياة القاسية المحيطة بهم نجدهم ينتهزون الفرص للترويح عن انفسهم حيث يتزينون بما

يتوافر لديهم من مواد فيلبسون سلاسل واساور من قشر بيض النعام ومن الخشب وشرائط من الجلد • ومما هو جدير بالذكر ويدل على ان (الحاجة ام الاختراع) طريقتهم في الحصول على الماء من الرمال المبتلة نقطة نقطة بواسطة مواسير مثبت بطرفها قليل من الحشائش لتنقية الماء • هذا ويوجد لديهم شخصية هامة وذات مركز مرموق هو المطبب او الساحر الذى يؤثر على الجماعة بقدرته السحرية ، فهو الذى يبادر بانزال المطر ويسحر الحيوانات ويقدرته ان يؤذى الحيوانات والبشر • ومن هذا يتضح ان لقوة وسلطانا تفوق قدرة وسلطان الزعيم او رب الاسرة ، مما يجعل الجميع يحترمونه ويخشونه •

ورغم كل ماقيل عن ظروف حياة هذا الشعب وقسوتها ، فانه قانع فخور بها ولانتوقع مهما كان مدى احتكاك البشمن بالوان الثقافات الاكثر تقدما ان يغير من طريقة حياته البدائية تلك او ان يتمثل غيرها من الحضارة الاوربية او من الحضارات الافريقية المجاورة او ان تمارس نشاطا اقتصاديا آخر كالتجارة او استئناس الحيوان او زراعة الارض • والظاهر انه كجنس ليس فى مقدوره الان ان يكيف نفسه بحسب ماتقتضيه ظروفه الجديدة وهو لهذا شعب آخذ فى التناقص السريع ، وربما كان هذا التناقص ايضا راجع الى عادتهم فى الولادة والرضاعة حيث ترضع الام طفلها الى سن الثالثة او الرابعة واذا حدث ان ولد طفل آخر قبل فطام الرضيع فان مصيرة الوأد ومن هنا ندر وجود اسر كبيرة العدد ايضا ، فمتوسط عدد افراد الاسرة لدى البشمن ثلاثة افراد تقريبا • ومما يخشى منه على حياتهم تلاشى قطعان الحيوان البرى التى هى قوام غذائهم وصدور قوانين صارمة تحرم صيد مابقى منها من قبل حكومات الدول التى يعيشون فى ظلها مما اضطر البقية الباقية منهم — وهم اصحاب البلاد الاصليون — الى الاقتصار على غذاء نباتى غير مضمون ، ويعتبر هذا ايضا من العوامل المساعدة على سرعة فنائهم • ولكنى ارى مع ذلك ان مثل هذا الشعب الذى استطاع ان يستمر فى الحياة بهذه الصورة له قوة ارادة وثبات على اسلوب حياة اجداده ،

وله ايضا قوانين صارمة لايحيد عنها وتظهر مثل هذه القوانين واضحة في توزيع الفريسة حيث يتولى الزعيم توزيعها مع مراعاة نصيب الرجل الذى اصطادها وذلك طبقا لعرف محدود صارم وربما كان ذلك تحفيزا للرجال على الاستمرار في الصيد كما ان البشمن ينتفعون بكل جزء من الفريسة ، حتى العظام تحطم ويطهى مابداخلها مع اللحم ، ويستعمل جلد الحيوان الحديث السن في الملابس او صنع حقائب لحمل الطعام والتبغ اما الجلود الكبيرة الحجم فتصنع منها الاغطية والنعال والسيور واوتار القسى .

(ب) سنداوى Sandawe وكنديجا Kindiga
وبعض بقايا شعوب أخرى

ان هناك اقوالا تشير الى ان بعض سكان شرق افريقيا يشبهون الى حد كبير تلك الجماعات التى تعيش في جنوب افريقيا ، ونرى ذلك واضحا لدى بقايا شعوب شرق افريقيا الحاليين مثل مايوجد في نياسالاند ، وفي اقليم تنجانيقا وعلى نهر تنجانيقا عند التوا وابعد من ذلك عند سنداوى وكنديجا في المناطق عديمة الانهار ، وعند منجبتو ، وبارى ولاتوكا وكذلك ايضا عند مادى ونوبا في مديرية منجالا وتكثر بصفة خاصة عناصر الجنس القوقازى لدى السنداوى والكنديجا . ومما يقوى ذلك الانطباع من الناحية اللغوية وجود علاقات السنداوى والهوتنتوت والتى تتشابه من الناحية الحضارية مع البشمن في جنوب افريقيا . وقد جمعت جميع بقايا الشعوب هذه في حضارة البشمن الاصلية كما ذكر ذلك باومان . Bauman, H. (1) .

وتظهر كثير من عادات الصيد المنتشرة لدى البشمن عند جميع

---

1. Meyers Handbuch uber Afrika, 1962, p. 174, Hirschberg, W., 1965, p. 35, Bernatzik, p. 199.

بقايا شعوب شرق افريقيا مثل قناع الصيد وتسميم اماكن المياه المألوفـه لدى البشمن والبج داما (جنوب غرب افريقيا) والصومال • ولايخبى البشمن وحدهم السهام المسممة فى الرمال ولكن ايضا الكاميا والند وروبو فى شرق افريقيا • وتوجد عصى الرمى والهراوات فى اقليم النيل النوبى وكردفان • كما يوجد مسدس البشمن لدى صيادى التشكو فى انجـولا وكذلك بالنسبة لعملية الايقاع بالفريسة لدى بقايا شعوب شرق وجنـوب افريقيا مجتمعة • وهناك ايضا العصا الحجرية واطراف السهـام العظمية ذات الاجزاء العديدة المجتمعة معا • واطراف السهـام المثلثة الشكل لدى بشمن الكيب والهوتنتوت والكنديجا •

ولاتوجد اختلافات اساسية من الناحية الاجتماعية بين البشمن وبين بقايا شعوب المناطق عديمة الانهار • ونذكر فيما عدا السنداوى والكنديجا اوهاتزابى وخاجنى والواهى غرب نهر نيارا وكذلك الـدوم او الدوكو على نهر ستيفانى وكذلك البونى على جوبا السفلى وعلى الجـزء السفلى لتانا ونفس الشيء للند وروبو والسانجا وتشونجى وهى قبائـل صيد صغيرة مبعثرة فى كينيا ولعنصر الجنس القوقازى نصيب كبير لدى جميع هذه الشعوب •

واشكال الخطوبة وعقد الزواج عند السنداوى والكنديجـا بسيطة وهى تتشابه تقريبا فى كلتا الحالتين • ولم تتطور زعامة القبيلـة ابدا كما تشكل جماعة الصيد النظام السياسى الاعلى • ويظهر عندهـم الاعتقاد فى السحر ولكنه ليس بمثل قوته لدى القبائل المجاورة ولايتمتـع المطبب لديهم بعد كل ذلك بمركز كبير • ويرجع الختان و طقـوس التكريس الخاصة به عند السنداوى والكنديجا الى تاثير حديث • كمـا هو الحال كذلك بالنسبة لمرحلة فلاحة الارض وتربية الحيوانات عنـد هذه العشائر فهى ظاهرة تطورية حديثة • وبالنسبة لمعتقداتهـم يصلى الكنديجا لاله • ربما هو غالبا فى منزلة الشمس • وهم يتضرعون اليه بغية ان يحالفهم الحظ فى الصيد او للحماية من الحيوانـات الضارية والامراض وهم يشكرونه ايضا عندما يحصلون على صيد ثمين • ولكن

الكنديجا لايعرفون الاقنعة ولارقصاتها ولايعبدون القمر والنجـــوم •
واحيانا ترجع القرابين التى تقدم للسلف الى تاثير البانتو • ويلعب مفهوم تقديس السلف والارواح عند السنداوى فقط دورا ضئيلا •

يظهر هنا لدى هذه الشعوب نمط جديد متطور بجانب نمــط الصيد التقليدى ، فهم يفلحون الارض ويربون الحيوانات ومما لاشك فيه ان هذا يرجع الى تاثير حضارة مجاورة نتيجة الانتشار الثقافى بطريقــة او باخرى •

ان وجود انماط حضارية لدى هذه الجماعات تتشابه مع حضـارة البشمن والهوتنتوت لايدل على ان هذه الانماط انتقلت او انتشرت من البشمن اليها او ان هناك صلة قرابة بينهما ، ولكن ظهور مثل تلـــك الانماط يدل على ان وجود الانسان فى نفس الظروف يجعله يفكر ويخترع مثل هذه الحضارة فالانسان بطبيعته حيوان مفكر وليس غريبا ان يتحـد فى تفكيره مع انسان آخر امام موقف معين او مشكلة بذاتها • ففكـــــرة الشادوف مثلا كوسيلة لرفع الماء من مكان منخفض الى مكان اكثر ارتفاعا ، قد تخطر على بال اى انسان تواجهه مشكلة رفع المياه ، وهو فى هـذه الحالة ليس فى حاجة الى ان يستعير هذه الفكرة فاذا ظهر الشـادوف فى اكثر من مكان لايمكن الجزم بانه قد ظهر اولا فى مكان بالذات ثـم انتشر منه الى باقى الامكنة الاخرى لان نشأة هذا الاختراع تلقائيا فـى اكثر من مكان ممكنة ومايقال عن الشادوف يمكن ان يقال عن كثير مـــــن المخترعات الاخرى كاستعمال الاسلحة المختلفة واستخدام القوس ولبس الاقنعة وغيرها ، وخاصة ان هذه الجماعات تعيش منعزلة ومنطوية علـى نفســـها •

(جـ) بـرج داما Bergdama

اذا ادرجنا البشمن والقبائل المبعثرة التى تبدو كثيرة الشبه بهم فى شرق افريقيا تحت فئة بقايا الشعوب القوقازية ، فان ذلك ينطبق على شعب البرج داما ــ كثير العدد نسبيا ــ والذى يعتبر الحالة الباقية لعنصر زنجى قديم ٠

ويطلق على البرج داما ايضا الكفر المتوحشين Kaffern (١) وهم يسكنون جبال الاتافى وجبل الماء وبراند برج وجبال الارونجو ومرتفعات خماس وحقل كاوكو فى جنوب غرب افريقيا وهم يمارسون الصيد والجمع ٠ ومنهم من يقتنى الماعز ايضا ٠ولايمكن تحديد اعداد الجماعات التى مازالت تعيش هنا تحديدا دقيقا ٠ وقد اقتبسوا لغتهم من الهتنتوت ٠ويظهر ان شكل سلالتهم معقد بطريقة غير عادية فالزنجية تسود لدى الجميع ومعظمهم سود البشرة ، ويمكن ملاحظة اختلاط الدم جيدا بالنسبة لجيرانهم (البشمن ، الهوتنتوت ، الامبو والهررو) ٠ ويعانى على العموم الذين يربون الماعز من البرج داما من الظروف القاسية اكثر مما يعانيه الصيادون وجامعوا الطعام ٠

ويتشابه البرج داما مع البشمن فى عادات الصيد وفى الاسلحة والاستعدادات وما شابهها ٠ ولقد اخذوا الكثير من جيرانهم وتأقلموا فى حياتهم الخاصة ٠

وعلى هذا تكون حضارة البرج داما صورة طبق الاصل لجيرانهم

---

(١) الكفر عبارة عن اسم قديم يطلق على جنس وحضارة حامية متأثرة بالبانتو فى جنوب شرق افريقيا (تعدادهم حوالى ٦ ــ ٧ مليون نفس) وهم زراع بدائيون ومربو ماشية ٠ *

* Der Kleine Brockhans L.Z.P. 607, 1962, Hirsohberg, 1965, p. 36, Meyers Handbuch uber Afrika 1962, p. 176, Bernatzik, 1968.

من وجهات نظر متعددة مثل وضع القرية الدائرى الذى تتوسطه النار المقدسة ومنها التوصل الى طريقة مغايرة لمرحلة الصيد الاولى وعادة تذوق اللبن بواسطة اكبر شخص فى الاسرة سنا ، وصنع الاوانى ووضع الزبد فى وعاء القرع العسلى واستخدام اللبن الرائب وغير ذلك بين القانون الاموى والقانون الابوى ، كما يظهر هذا بصفة خاصة لدى كثير مما يذكر بعادات شبيهة لدى الهررو ، ولما كانت المرأة تقوم بعبء حيوى كبير فى التغذية من خلال نشاطها فى الجمع فانها تحد من وضع الرجل القوى (كما هو الحال لدى الهتنتوت) وبصرف النظر عما نستطيع ان نستنتجه لدى الامبو والهررو المجاورين من وجود آثار القانون الاموى بصورة واضحة ، ويرث الابن الاكبر الاب ، وترث الابنة الكبرى الام ، ومع ذلك فان البنت ترث اسم اسرة الاب بينما يرث الابن اسم اسرة الام ، ويوجد هذا التذبذب الخاص نتيجة للميول المتشاحنة للشعوب المجاورة ، ويقود الشباب احتفالات تكريس فن الصيد المعروفة ، ويظل المشتركون فى التكريس " كزملاء فى العمر " مرتبطين ببعضهم طوال الحياة وهم يكونون نوعا من طبقة العمر ، وبالعكس بالنسبة للبنات لاتوجد حفلات تكريس جماعية ومن هنا تظهر للوجود سيادة الرجل ،

وتعيش هذه الجماعات فى شكل اسر كبيرة وتسكن كل اسرة قرية دائرية فى اكواخ على شكل قباب ، ويملك الرجل السلطة السياسية والدينية فى اسرته الكبيرة ، وهم لايعرفون زعامة القبيلة ولا اتحادات العشائر ، وتسير مشورة الكبار شئون القرية ، ومن المعتقدات المألوفة لدى البرج داما الاعتقاد فى الاشباح والارواح وتغطية الجثة بالاحجار والابتعاد عن القبر ، وتعتبر كلها صفات مميزة معروفة عند البشمن ، ويغلك يعرف الانسان فى اوقات القحط — تماما عكس الاعتقاد فى الارواح — عبادة السلف وتقديم القرابين لهم على قبر الميت ، ويرى باومان فى هذا الموقف الازدواجى لعبادة الارواح — خليطا نادرا من الخوف والاحترام — نمط حضارة زنجية قديمة جديرة

بالملاحظة [1] ويعطى البيج داما جميعهم خليطا حضاريا منتظما حقا ، فتظهر عناصر الحضارة الفردية فى حاجة شديدة لا نتتوافق مع الحياة الخاصة ، بدون ان تعطى انسجاما ذاتيا لشكل عالى ثابت يتضاءل نموهم الخاص تحت التأثير الشديد جدا لجيرانهم .

تظهر لدى هذه المجموعة بعض العناصر الحضارية المختلطة والتى هى مزيج بين حضارة الصيادين وجامعى الطعام وبين حضارة الزراع البدائيين ومربى الماشية وربما يكون ذلك نتيجة للتجاوب مع هذه الانماط مجتمعة فجماعة البيج داما تسود لديهم الزنجية وهم صيادون وجامعو طعام فى جنوب غرب افريقيا لانهم يجاورون الزنوج والاقزام من الشمال والغرب . والبشمن والهتنتوت من الجنوب فمنهم من يربى الماعز ايضا كما يظهر لديهم آثار للنظام الاموى مختلطا مع النظام الابوى ، ويدل على هذا التذبذب الواضح فى الميراث . كما ان لديهم ايضا نظام طبقات العمر . كل هذه الانماط الحضارية تدل على تداخل عناصر كثيرة مختلفة الاشكال مما يدل على مرونة هذا الشعب وتأثره بالجماعات المجاورة وتأقلمه مع حضاراتها لدرجة انه تمثل كثيرا من عناصرها واصبحت جزءا لايتجزأ من حضارته . ورغم وجود بقايا للنظام الاموى ، الا ان النظام الابوى بدأ يسيطر بقوة اذ يملك الرجل السلطة السياسية والدينية فى عائلته الكبيرة . ومن الجدير بالذكر انه يوجد لدى هذه الجماعة نظام الشورى الذى يوجد عند اكثر المجتمعات تطورا فمشورة الرجال لديهم هى التى تصرف شئون القرية وهذه المجموعة ثبت وجود التأثير الحضارى المتشعب .

---

1. Bernatzik, H.A., 1968, p. 207.

٢ ــ صياد و الغابات الاصليـون
الاقـــزام (١)

—

لقد جذب الاقزام (البامبوتي ــ المفرد مبوتي) الاهتمـــــام الكبير اليهم دون جميع الصيادين الاصليين الذين يسكنون الغابات ، وهم اصغر سلالة في العالم من ناحية حجمهم . فأهم صفة اذن مميزة لسلالة الاقزام هي صغر حجم اجسامهم الملحوظ . واطوالهم فـــــى

---

(١) يطلق على الاقزام باللغات الاوروبية اســم Pygmie بالانجليزية و Pygmaen بالالمانية . وهذا الاصطلاح اصله يوناني ويعني الاصبع **
* Der Kleine Brockhous 1961 L.Z. p. 275

القزمية هي : النقص الشديد في طول القامة وغيرها من ابعـــاد الجسم الاخرى ويرجع عادة الى عوامل وراثية (جينات) ويوجـد للقزمية شكلان رئيسيان :

الاول : يكون فيه النقص في نمو غضاريف العظام ، وهذا النـوع من الاقزام يكون متين البنيان Achondroplasic Form

الثاني : يكون فيه القزم غير مكتمل النمو ويطلق عليه اسم عقلـة الاصبع Ateliotic Form .

وعلى الرغم من المزاعم القائلة بوجود بعض الادلة علـــى نقص نمو الغضاريف في اقزام الكنغو فان ذلك لم يثبت في الواقع كما انه لم تجر دراسات كافية على القامة في اى من جماعـــات الاقزام . ويفترض حاليا ان جينا او جينات طافرة Mutant gene or genes حدثت في كل من هذه الجماعـــات الصغيرة المنعزلة فزاد التكرار الجيني فيها Gene freguency مما ادى الى ظهور جماعة قصيرة ، الا انه لم يتحدد بدقة اى الجوانب التي تأثرت في هياكلهم العظيمة .(*)

* Ashly Montagu: Human Heredity, 1963 pp. 380-383.
World Publishing Company, New York,

المتوسط بالنسبة للرجال ١٤٣ سم ، وبالنسبة للنساء ١٣٦ سم .
والصفة المميزة الهامة الثانية التى عن طريقها يختلف البامبوتيون عن الزنوج هى لونهم الفاتح .وتدل النماذج الداكنة غالبا على اختلاط الدم .

ويوجد انقى ممثل لهذه الشعوب اليوم فى منطقة الغابات الاصلية لايتورى الا على وفروعه الجانبية [١] ويعيش هناك اقزام الايتورى فى ثلاث مجموعات لغوية كبيرة : اكا فى الشمال ، باسو (مع الباكانجو) على الساحل الشمالى للايتورى وايفا فى الشرق (. وعدد كل اقزام الايتورى الذين يعرفون باسم بامبوتى كما يقدرهم باول شبستا Paul Schebesta [٢] بحوالى خمسة وثلاثية الفا من حوالى مائة الف قزم عموما فى وسط افريقيا . ويحتفظ الاقزام فى الجابون وفى جنوب الكميرون بنقاوة اقل . وهناك ايضا بعض الجماعات الصغيرة فى حوض الكنغو فى منطقة لوزامبو Lasambo ومنطقة تشوفا Tschofa . ويمكن القول بان هذه الجماعات تمت بصفة قرابة حقيقية لاقزام الايتورى ولكن

— (ترجمة زكريا فهمى — موسسة فرانكلين للطباعة والنشر . القاهرة — نيويورك ١٩٧٠) .
وينتشر الاقزام فى آسيا وافريقيا ويفرق العلماء بين المجموعة الافريقية والاسيوية بان يسموها فى افريقيا نجرللو Negrillo مستخدمين صيغة التصغير باللغة الايطالية .واما المجموعة الاسيوية فيدعونها نجريتو Negrito مستخدمين صيغة التصغير فى اللغة الاسبانية . وفى كلتا الحالتين تعنى العبارة الزنجى الصغير . والاقزام — اذا لم يختلط بهم دم غريب — قصار القامة جدا بحيث لا يتجاوز ارتفاع الواحد ١٣٥ سم ، والاذرع طويلة جدا بالنسبة للارجل . وقصر الارجل هو السبب الاكبر فى قصر القامة كما ذكر : Seligman, 1968, p. 27

(١) Bernatzik 1968, p. 202.

(٢) Schebesta, R.P.: Die Bambuti-Pygmaen Von Ituri 3. Vols . Brussel 1938-50.

نتيجة لاقتحام قبائل زوجية مختلفة الغابة الاصلية تزحزح هوءلاء الاقزام بعيدا عنهم [1] ويوجد فيما عدا هوءلاء الاقزام مجموعة من الشعوب ليسوا اقزاما اصلا ولكنهم يشابهونهم كثيرا ويتبع هذه الجماعات المختلفة لاشكال الاقزام البابنجا على نهر سانجا والابنجا واللباى فى جمهورية افريقيا الوسطى . ويعيش الباكوى او الباخوى فى جنوب البابنجا الذين يسكنون فى مناطق شمال انهار ليوبولد الثانى الى نهراكلمبا . وهم يسمون انفسهم باتوى . ويكون التوا (باتوا) مجموعات اخرى متفرعة من اشكال الاقزام . ويعيش التوا على منحدرات بركان كيفو فى رواندا واوروندى فى تنجانيقا غرب جبال البرت وفى مستنقعات بانجولو . ومما يستحق الذكر ايضا اننجد " مجموعة تونى " فى منطقة النيل الاعلى (بحر الغزال) واخيرا ايضا مايطلق عليهم " بونى القوقازيون " على الساحل جنوب صوماليا والدوى (دوى) على نهر سيتيفانى . وهناك اختلاف فى اصل الاقزام ولكن شبستا يتمسك بسلالة البامبوتى العريقة فى القدم — مثل دارت — الذى يقول ان هناك علاقة وراثية بين البامبوتيين والقوقازيين . ولقد كان الاقزام معروفين لدى الفراعنة اذ كان الفراعنة يرسلون بعثات الى الجنوب لتاتى بالسلع والذخائر الافريقية وكان اثمن شىء يوءتى به من الجنوب هو القزم . وقد خلف المصريون القدماء فيما تركوه من نقوش وكتابات رسوما لغير واحد من هوءلاء الاقزام .

ويحدد كون Coon [2] المكان الذى يعيش فيه الاقزام اليوم فيشير الى وجودهم فى مناطق عديدة معزولة من الغابات الاستوائية فى وسط افريقيا ابتداء من الجابون والكاميرون الى اوغندا ورواندا اوروندى قريبا من شمال نهر الكنغو . وفى الغرب والوسط والشمال الشرقى يعيش الاقزام فى الغابات المنخفضة وفى الجنوب الشرقى فى الغابات المرتفعة وفوق حافة جبل روينزورى .

---

1. Meyers Handbuch uber Afrika 1962, p. 176.
2. Coon C.S.: Origin of Races, London, 1963 p. 657.

ويقول : " ان هناك حقيقة تاريخية بأن اقزام غرب افريقيا كانوا يعيشون في كل منطقة الساحل الغربي لافريقيا حتى ليبيريا ، وحتى وقت متأخر — الى القرن السادس عشر — كان الاقزام اهم عنصر سكاني — ان لم يكونوا الوحيدين — في الغابات الواقعة بين بحيرة البرت وبحيرة ادوارد ".

حياتهم الاقتصادية :

ان مواكب الغنائم التي يعود بها الاقزام يوميا والمحملة بالغذاء النباتي والحيواني تميزهم كصادين يقتنصون الفرائس ، ولايمارسون الزراعة ولاتربية الحيوانات . ويعرف الكلب فقط منذ القدم كرفيق للصيد لديهم . ويقتني الاقزام احيانا الدجاج ولكنهم أخذوه عن " اسيادهم " من الزنوج حيث يعيش الاقزام مع هؤلاء في حياة مشتركة وهم يعطون الزنوج الحيوانات ومنتجات الغابة المختلفة ويأخذون مقابل ذلك الموز وفاكهة الحقل الاخرى كما انهم يأخذون منهم ايضا اطراف السهام والرماح التي لايمكن الاستغناء عنها بالنسبة لهم . ولقد ادى بهم اقتصادهم الضعيف الى الاعتماد على الزنوج دائما .

وهناك تقسيم للعمل بحسب الجنس اذ تهتم النساء — ومعهن اطفالهن الصغار — بجمع الدرنات التي تنمو من تلقاء نفسها والاوراق والفاكهة التي تؤكل والقواقع والضفادع والتعابين نفسها والاوراق الارض وخلافها من الحيوانات الصغيرة اما الرجال والاولاد فيمارسون الصيد ويطلق عليهم جماعة الصيد (جماعة محلية) ، وهم يقومون بمساعدة كلاب الصيد — بمطاردة الحيوان الصغير [1] .

اما عن صيد الافيال بالرماح فقد اخذوه عن الزنوج ، وكذلك

---

1. Hirschberg 1965. p. 138, Meyers Handbuch uber Afrika, 1962, p. 275, Bernatzik, 1968. p. 203.

السهام ذات الطرف الحديدى المدبب • ومع ان الاقزام يعرفون طرقا عديدة للايقاع بالحيوانات فانهم لايستخدمونها • وهم يستخدمون القوس والسهم فى صيدهم • ويتكون السهم الذى طوله حوالى متر ونصف من عصا داثرية حمراء اللون • وتدهن السهام الخشبية الرفيعة جدا بالسم بعد ان توضع فى النار لتكتسب صلابة كما يحملون معهم لوحا من الخشب للهروب •

المسكن : يتكون مسكن الاقزام من اكواخ مصنوعة من اغصان مجدولة وسقفها على شكل قبو مغطى باوراق الشجر ولها فتحة صغيرة تؤدى الى الداخل • وتبعا لحياة التجوال فان اثاث البيت فقير • فالفراش يتكون عادة من ثلاثة الواح من الخشب واحيانا من لوحين فقط يوضعان على الارض جنبا الى جنب وقد يرفع احد طرفيهما الى اعلى قليلا بوضع كتلة من الخشب تحته •

ويقع على عاتق النساء عبء اقامة الاكواخ وجمع مايلزم لذلك من اغصان الاشجار والاوراق العريضة الكبيرة الشبيهة باوراق الموز • وطريقة اقامتها تتلخص فى ان يؤتى بعدد من الاغصان اللينة فيثبت الطرف الاغلظ من فرع منها فى الارض ويثبت فرع آخر مثله فى مكان مقابل له • ثم يقابل بين الطرفين الرفيعيين ويربط احدهما بالاخر حتى يتكون منهما قوس • وعلى بعد بوصات قليلة منها يثبت بنفس الطريقة فرعان آخران اطول قليلا من الاولين وبهذا تتم اقامة مدخل الكوخ ثم يؤتى بفرع آخر اطول قليلا من الفروع السابقة ويغرس فى الارض على بعد قليل الى الخلف منها ويثبت طرفه الاعلى فى وسط القوس الذى يكون مدخل الكوخ فيصبح هو العمود الفقرى الذى يرتكز عليه سقف الكوخ • ويؤتى بعد ذلك بعدد من الفروع تغرس فى الارض بحيث يكون كل اثنين متقابلين متساويين وبحيث يقل طول كل اثنين منها كلما ابتعدنا عن المدخل وتغرس اطرافها الغليظة فى الارض بحيث يتكون من مجموعها شكل داثرى تقريبا اما الاطراف العليا فتربط فى العمود الفقرى وفى بعض الاحيان تضاف فروع اخرى افقية للبناء بقصد تقويته •

وبعد ذلك تبدأ عملية التسقيف فتوضع الاوراق واحدة فوق اخرى بحيث يكون الطرف العلوى لكل ورقة تحت طرف التى قبلها وطرفها السفلى فوق الطرف الذى بعدها وتثبت الاوراق جميعها الى هيكل البناء بطريقة فنية ماهرة (١) .

ويوجد فى الكوخ من الاوانى والادوات قدر او قدران وسلة وفى بعض الاحيان هاون خشبى بسيط الصنع وقد يكون هناك سكين ترشق فى سقف الكوخ الى جانب اقواس وسهام ، واذا كان الكوخ لاعزب فان محتوياته لاتزيد عن الالواح والقوس والسهام . واما عن ادوات الطبخ الفخارية والادوات الحديدية وكذلك بعض الادوات الموسيقية مثل الطبلة والالة الموسيقية الوترية وكذلك تزين الجسد فكلها انماط حضارية اخذها الاقزام عن الزنوج . اما الاتهم الموسيقية الاصلية فهى قوس الموسيقى وخشبة الطبل و " الشخاليل " (٢) .

الملبس : كان الاقزام يجوبون انحاء الغابة عرايا ، اما الان فانهم يأتزرون بمآزر مصنوعة من لحاء الشجر المدبوغ تعلق على خصورهم بحزام مصنوع من جلد حيوان من فصيلة الزراف وتزين النساء مآزرهن ببقع وخطوط حمراء وسوداء ويلبس الرجال احيانا غطاء للرأس من الجلد او من سيقان العشب المجدول فلبس الرجال بصفة عامة مآزر من جلد البقر ، والنساء احزمة من اوراق الشجر ، ويسير الاطفال عرايا (٣) . ويحمل كل قزم تقريبا حقيبة من الجلد يحملها فوق كتفه اينما سار ليحفظ فيها ممتلكاته الشخصية . كما تصفف النساء شعورهن تصفيفا فريدا ويزين انفسهم بمسحوق اسود يستعملن فى وضعه عصا صغيرة ، فاذا ارادت احداهن ان تزيد من جاذبيتها استعملت مع هذا المسحوق

---

(١) بيج ،ج ،و . : الشعوب البدائية : ترجمة محمود محمد موسى ،
Hirschberg, 161, Meyers, p. 295.

(٢) Bernatzik, 1968, p. 203.

(٣) Hirschberg, 1965, p. 255
Meyers Handbuch, 1962, p. 290.

مواد اخرى حمراء واحيانا بيضاء • وليس التزين مقصورا على النساء بل قد يلجأ اليه ايضا الاولاد والشبان ويندر ان تزين امرأة شعرها بالزهور ولكنهن يستعملن جدائل من اوراق الشجر فى تزيين اجسامهن • وهن فى الواقع كثيرا مايغطين اجسادهن بالخضرة فى عودتهم الى الاكواخ من رحلاتهم فى الغابة (١) •

الطعام : يرتبط طعام الاقزام الى حد كبير بالبيئة وطريقة الحياة التى يحيونها فقد كان طعامهم فيما مضى يتكون من اللحوم والعسل والجذور والاوراق والفول السودانى والفواكه ولذلك كان عليهم ان يلاحظوا جيدا عادات الحيوان وان يعرفوا الصالح للطعام من بين انواع الثمار والاوراق والجذور وما الى ذلك • وبمعنى آخر كان عليهم ان يكونوا ملمين الماما عمليا بدراسة الطبيعة التى حولهم • وكان غذاؤهم ضئيلا حتى لايصعب ان نفهم كيف استطاعوا فى سالف الايام ان يعيشوا على مثل ذلك القدر من الغذاء فلم يكن لديهم البان ولا أى نوع من انواع الاطعمة الخفيفة الصالحة لتغذية صغار الاطفال •

اما فى الوقت الحاضر فان الاقزام يجدون حاجتهم من الطعام ذى القيمة الغذائية فى الموز ونخيل الزيت وقصب السكر والمانيوق وغيرها مما يحصلون عليه من الزنوج • ويغرم الاقزام بالموز الى حد انهم قد يبيعون حريتهم فى سبيل الحصول عليه وفى بعض الاحيان يأخذون ما يشاؤون من موز الزنوج ويتركون بدلا منه قدرا كافيا من اللحوم • وهذا النوع من المقايضة الذى لاتستعمل فيه الكلمات يسمى " المتاجرة الصامتة " (٢) • وطرق اعداد طعام الاقزام هى التسوية على البخار او بالتدخين والشوى او التحمير قرب النار او فى التراب الساخن أو على الفحم الخشبى المتوهج فيلف السوس وصغار الجعران والصراصير والديدان والنمل والسمك الصغير وكذلك القواقع الصغيرة فى اثنين او ثلاثة من اوراق نباتات معينة وتربط ثم توضع الحزمة كلها فى التراب

---

(١) بيج ، ج ، و : الشعوب البدائية : ترجمة محمود محمد مرسى •
(٢) بيج ، ج ، و : الشعوب البدائية : ترجمة محمود محمد مرسى •

الساخن • ويضاف الى ذلك ايضا الفطر "عيش الغراب" والعسل والتوت • وتكون انواع الخضر المختلفة مايقرب من ثلثى طعام الاقزام الكلى • ويتكون الثلث الاخر بجانب الحيوانات الصغيرة (مثل الظباء والقردة الصغيرة وفئران الاشجار) اساسا من السوس والضفادع واخيرا سوس الارض السمين [1] •

البناء الاجتماعى : تتكون الجماعة المحلية فى العادة من ثلاثة الى ستة اكواخ • ويمكن ان يزداد عددها • ويسكن فى مثل هذا التجمع غالبا عشيرة واحدة (تجمع عشائرى مفرد) • وتسكن الاسرة الفردية الاكواخ بصفة خاصة • ويوجد ايضا تجمعات تسكنها عشائر عديدة ولكنها تمت لبعضها بصلة قرابة • ويلاحظ من هذا التنظيم ان شكل الحياة الاقتصادية والتى رسمته البيئة والظروف الطبيعية التى يعيش فيها الاقزام قد فرض تنظيما اجتماعيا متلائما مع هذه الحياة باعتبار ان الجانب الاجتماعى والتنظيم الاقتصادى هما وجهان لعملة واحدة وان كلا منهما لابد وانه يؤدى لخدمة الاخر •

ولذا فاننا نجد الاقزام يعيشون فى جماعات صغيرة متباعدة • وهذا ماتفرضه حرفة الصيد والجمع • وتقيم كل جماعة فى اكواخها الصغيرة فى مكان منعزل من الغابة [2] • ومثل هذه الجماعات المحلية يتكون لها مجلس ادارة من اقدم مجموعة سكنت المكان • ويتبع العشيرة كجماعة اقتصادية الاقرباء الذكور دمويا مع زوجاتهم واطفالهم • وهم يكونون ما يسمى بالاسرة الكبيرة • وتعتبر النساء بعكس ذلك دائما غرباء عن العشيرة لانهن ينحدرن من عشيرة أخرى [3] •

---

1. Gusinde, M.: Die Kongo-Pygmaen in Geschichte und Gegenwart, Halle, 1942.
2. Seligman, 1968, p. 27.
3. Bernatzik, 1968, p. 203, Hirschberg 1965, p. 178, Meyers Handbuch, 1962, p. 307.

وما يصيد مالرجال يعتبر ملكا عاما للعشيرة كلها ، كما تعـــود اهتمامات العشيرة على الاسرة ايضا ، وذلك لان العشيرة وحدها هـــى التى تتكفل بحماية الجماعة واعانتها • ويهتم الاقزام بالزعامة فى القبيلـــة نتيجة لمعايشتهم المشتركة مع الزنوج ويظهر هذا بوضوح فى مفهـــوم العشيرة وايضا فيما يسمى الزواج التبادلى فاذا اراد الشاب ان يختـــار فتاة من مجموعة اخرى — حيث يسيطر الزواج الخارجى — ففى هـــذه الحالة لابد ان تقدم جماعته فتاة كبديل الى الاخرين ، اذ ان فقدان اى عضو فى القبيلة يترك اثرا عميقا وينتشر فى العادة الزواج الاحـــادى Monogamy [1] وتقام حفلات التكريس للصيد سرا للشباب من دون النساء حيث يكتسب فيها الشباب قوى سحرية معينة تساعدهم فـــى الصـــيد [2] •

وهناك حفلات الختان التى بعدها ينتقل الاولاد من مرحلـــة الصبا والطفولة الى مرحلة الشباب• وتتم هذه العملية وفق طقـــوس معينة يشترك فيها الاقزام مع جيرانهم من البانتو• فعندما يحـــين الوقت المحدد لاجراء هذه العملية فى جهة من الجهات يشترك الابناء من الاقزام وجيرانهم ويمارسون الطقوس اللازمة لهذه المرحلة الخطيرة فى حياة الغلمان والتى بعدها يصبحون اعضاء فى المجتمع [3] •

معتقداتهم : تنتشر التوتمية لدى الاقزام فلكل "فخذ" [4] لديـــه توتمة وهذا التوتم يكون غالبا حيوانا تشعر العشيرة انهـــا مرتبطة به ويقدسه الانسان فيحرم عليه قتلهاواكله كما يتحاشاه• ويقـــوم كل اعضاء العشيرة • باظهار احترامهم العميق لتوتمهم ، وبصفة عامـــة ينبغى عدم جرح هذا التوتم او قتله باى شكل من الاشكال • وبالطبـــع

---

1. Hirschberg 1965, p. 178, Meyers, 1962, p. 307.
2. Bernatzik, 1968, p. 203.

(٣) محمد عوض : الشعوب والسلالات الافريقية ١٩٦٥ ، ص ٤٣

(٤) الفخذ عبارة عن عدد من الجماعات او العشائر •

فلايجب اكله ولايجوز القزم ان يأكل او يشرب من اى اناء تم لمسه بواسطة التوتم الخاص به [1] .

ونادرا مايقدس الاقزام الارواح والموتى . ويتخيل القزم الروح كمخلوق صغير ضعيف لدرجة انها من الممكن تحملها ذبابة [2] . كما يعتقد القزم ايضا فى الحياة بعد الموت بالقرب من الاله الاعظم . ولكن كل هذه المعتقدات لاتلعب دورا رئيسيا . وهم لايعرفون نظام تقديم الاضحية وكذلك نظام قرابين الموتى والاحتفال بها . واهم شىء فى معتقداتهم تمجيد قوة ينسبونها الى السماء . وبعضهم يراها متصلة بخلق الكون . وترتبط التمائم وطقوس الصيد السحرية والمطببون وكذلك الاعتقاد فى القوى التى يطلق عليها مجبى megbe بمفهوم الاله الاعظم الذى يطلب فى مناسبات معينة كما تقدم له بعض القرابين مثل جزء من قلب الفريسة عندما تذبح او كمية من العسل . الى جانب هذا يتمتع المطر الذى يظهر كحية عظيمة فى السماء بمعنى كبير فى الحياة الدينية عندهم مثل الاله الاعظم . واحيانا يسمون هذا الكائن السماوى الاعلى رب العواصف والبرق والرعد والمطر . ان الافكار الخيالية للبشمن والتى اشار اليها قديما باومان H. Baumann والتى تتشابه مع عقائد الاقزام (هيكل شبح جالب الحظ فى الصيد . الرابطة بين الاله والبشر . الطقوس السحرية بالادوات السحرية . اعمال الاله عن طريق وسطاء تشابه اسم تور (اله الادغال) مع تورا وغير ذلك نادى بها حديثا شبستا [3] . ويذكر شبستا البابيوتى فى المقام الاول كحاملى حضارة صيد السافانا الاورو — افريقية على اى حال كصيادين مرتبطين بالغابات الاصلية . ولقد احتفظ الاعتقاد فى التوتمية والاله الادغال " تور " بنقاوة اكثر عند الاقزام عنه عند البشمن . ولكن بصرف

---

1. Seligman, 1968, p. 28, Paul Schebesta, Revisiting my Pygmy Hosts, p. 141, 1939.
2. Bernatzik 1968, p. 203, Hirschberg 1965, p. 192.
3. Schebesta, p. : 1939, p. 141.

عن التفكير الحيوى الذى يقر ان البشمن والاقزام اقرباء • لم يستطيع الباحثون الى الان ان يصلوا فى مجال التخصص الاثنولوجى الى اتفاق حول هذا الموضوع •

ان شكل الحياة الاقتصادية للاقزام بسيط للغاية ويتمثل ذلك فى كل انماط حياتهم اليومية حيث لايوجد استثمار لاى وسيلة انتاجية دائمة ومستمرة للارض عن طريق الزراعة او رعى الماشية • فالاقزام صيادون يقتنصون الفرائس وحياتهم تشبه الى حد كبير حياة ذلك الانسان الاول الذى ظهر على وجه الارض ساعيا وراء قوت يومه بالصيد أو الجمع والالتقاط للثمار البرية الصالحة من بين ثمار اشجار الغابة • وفيما عدا ذلك لايوجد اى شكل من الاشكال الاقتصادية المعقدة القائمة على الانتاج الاوفر • ومن ثم فيمكننا ان نحكم على هذا النوع من الحياة بانه يندرج تحت ادنى انواع الاشكال الاقتصادية المعروفة والشىء الغريب ان هذا الضرب من الحياة البسيطة ما زال يعيش حتى اليوم متجاورا مع اقصى درجات التقدم الاقتصادى والعلمى والفنى التى وصل اليها الانسان فى عالم اليوم •

ولما كان من الصعب على الفرد فى ظل هذه الحياة البدائية والقاسية ان يحصل على كل حاجاته دون ان يساعده غيره فان الاساس الذى تقوم عليه حياته البدائية اجتماعيا واقتصاديا يتألف من الجماعات الصغيرة التى تنتمى لاسرة واحدة يكون الاب فيها هو رئيس الاسرة • ولاكبر الافراد سنا سلطة على من دونه من الافراد وليس للاسرة زعيم واحد معترف به ويقوم اكبر الافراد سنا بتقسيم الصيد حسب اصول وقواعد معقدة فيتم اعطاء القلب والكبد للرجل الذى اصاب الحيوان بعد ان يقذفوا للغابة بقطعة صغيرة من القلب على سبيل ارضاء الالهة •

ولديهم مجموعة من العادات التى تميزهم عن غيرهم فيما يتعلق بعملية الصيد والقنص فلديهم معرفة كافية بصفات الحيوانات التى

يصيد ونها وعاداتها وكذلك قدرتهم على اقتفاء اثارها • كما يتميز الاقزام بالقدرة على السير فى الغابة دون احداث ادنى صوت ويتخاطبون بالاشارة ويسيرون منتبهين صامتين متحفزين لاى حركة • ومن عاداتهم كذلك اذا حالفهم الحظ فى الصيد عادوا الى منازلهم فرحين مهللين اما اذا لم يكن الحظ حليفهم فانهم يتسللون ساكتين واجمين • وملكية مايتم صيده ، يعتبر ملكا للاسرة كلها حيث يتم تقسيمه حسب قواعد واصول معترف بها كما سبق ان اشرنا •

فقلة عدد الاقزام اينما وجدوا ترجع الى اشتغالهم بالصيد والجمع والتقاط الغذاء مع العجز عن العمل المنتج ولهذا يحتاجون الى وطن واسع حتى يجدوا فيه الغذاء الكافى لهم ولقد كانت هذه الحالة ممكنة فى العهود الانسانية القديمة •ولكن بعد تزاحم السكان ، واحتلال الاقطار والاشتغال بالرعى وبالزراعة لم يكن هناك بد من أن يختفى الاقزام فى اجزاء محدودة من اوطانهم وان يزاحمهم فيها ايضا اناس اقتصادهم اكثر تعقيدا واكثر انتاجا • ولهذا لانجد الاقزام يعيشون وحدهم فى اقليم واحد • فهم يجاورون الزنوج ومن ثم يظهر عليهم التأثير الزنجى فى حالات كثيرة • ورغم العلاقات الوثيقة بين الاثنين لم يتأثر الاقزام بحضارة الزنوج الزراعية وربما يعمل الاقزام لدى الزنوج ويعيشون معهم فى حياة مشتركة ولكن يمارس كل منهما حرفته الاصلية كما يمارسون نظام التبادل فيما بينهما حيث يمدون الزنوج بالغذاء الحيوانى ويمدهم الزنوج بالغذاء النباتى • ولكنهم اخذوا عن الزنوج اشياء اخرى سبقت الاشارة اليها •

ومما يسترعى الانتباه وجود مجلس لديهم له شروط معينة وهذا يدل على التنظيم الادارى المتطور كما يلاحظ ايضا ان الاقتصاد هو الذى ينظم الجماعة • ويسود النظام الابوى حيث يتكون مايسمى بالاسرة الكبيرة التى تضم الاقرباء الذكور دمويا وتكون العشيرة مسئولة عن احوال الاسرة اقتصاديا وسياسيا •

مما تقدم يتضح التشابه القوى بين جميع الشعوب التى تمارس الصيد والقنص والجمع والالتقاط رغم التباعد والعزلة • فهناك تشابه كبير فى فن الصيد وفى تقسيم العمل وفى شكل المسكن وفى الملبس • كذلك الزواج الاغترابى Exogamy اى من خارج العشيرة والزواج الاحادى Monogamy الذى يلتزم الشخص به التزاما شديدا وايضا بساطة الادوات المستخدمة فى الصيد وفى الاكل والمعتقدات وسيادة العقيدة التوتمية وعبادة القمر او الشمس وتقديس السلف او الخوف منه • ورغم انه لدى جميع هذه الشعوب يوجد الزواج الخارجى اى من خارج الجماعة التى ينتمى اليها الشخص فانه مع ذلك يختلف فى شكله وطريقته فعند الاقزام بصفة خاصة لابد من ان يقدم اهل الشاب عروسا لرجل من رجال الجماعة الاخرى ويسمى هذا النظام عندهم " زواج الرأس بالرأس " •

تلك هى بعض السلالات القليلة العدد التى تمثل على قلة عدد افرادها ظاهرة خطيرة فى القارة الافريقية وهى ظاهرة الانقراض لبعض السلالات الاصلية فى افريقيا • وتشهد بقدم هذه السلالات واصالتها اوطانها المنعزلة التى اضطرت ان تلجأ اليها حين بدأت موجات المغيرين والمهاجرين تزحف من الشمال والشرق فاعتصم البشمن واقرباؤهم بالطرف النهائى للقارة واعتصم الاقزام بالغابات الشديدة الكثافة وكلها مناطق لاتغرى المغيرين على الاقامة فيها • ولقد زاحم الاوربيون البشمن ايضا سبل العيش فى وجوههم فلم يبق منهم الاعدد يسير • اما الاقزام فكانوا اوفر حظا اذ نزلوا جهات اكثر اتساعا واوفر صيدا ولايجاورهم البيض بل الزنوج واكثرهم من البانتو • وكذلك لابد ان يكون عيشهم ارغد وعددهم اكبر • هذه السلالات على كل حال عددها ضئيل اذا ماقورن بسكان القارة الذين يقرب عددهم الان من ثلاثمائة مليون نسمة •

مما تقدم تتضح المعرفة القليلة لهذه الشعوب التى تمثل المراحل الاولى لحياة الانسان على وجه الارض • فهم يشكلون حلقة غريبة فى عالم تطور الانسان • ومازالت اسباب ظهورهم مجهولة حتى

الان ، حيث انه غير معروف على وجه الدقة متى وكيف ظهر النوع القزمى من الانسان ثم انهم من اكثر الشعوب اتجاها الى الانقراض فى عالم اليوم كما ان الدراسات الانثروبولوجية لم تكشف بشكل مفصل حتى الان عن طبيعة التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية بين الاقزام ليس فقط على مر تاريخهم الماضى وانما بالنسبة للتطورات التى لحقتهم فى عالم اليوم وخاصة عندما تغيرت الظروف البيئية والاجتماعية التى يعيشون فيها من حيث اختلاطهم بغيرهم من الشعوب والاثار التى ترتبت على ذلك من الناحية البيولوجية والاجتماعية والحضارية .

ومن ثم فان الدراسات الانثروبولوجية الحديثة بكل فروعها مطالبة بالكشف عن كل النقاط السابقة بحيث تضع اجابات محددة لكل هذه الاسئلة . لماذا كان الاقزام قصارا دون غيرهم ؟ وما هى الاسباب التى ادت الى ذلك ، ولماذا ظل الاقزام يعيشون حتى اليوم فى اطار نمط حضارى متخلف يرجع زمنه الى عصر ظهور الانسان الاول ؟ وهل كانت العزلة التى يعيشونها هى السبب فى ذلك ام ان هناك اسبابا اخرى لذلك ثم ماهى التطورات التى طرأت على حياتهم نتيجة اختلاطهم بغيرهم من الشعوب التى تجاورهم . ثم فى النهاية ماهو مستقبل الاقزام كجنس متميز له سمات محددة تختلف بشكل واضح عن غيرهم من الاجناس ... ماهو مستقبلهم بيولوجيا واجتماعيا وحضاريا ؟

تلك اسئلة مازالت مطروحة للبحث العلمى والانثروبولوجى وهى مازالت تشكل تحديا امام الباحثين فى كل هذه المجالات لاستخدام احدث الاساليب والمناهج العلمية الميدانية لكشف ذلك الغموض الذى يكتنف معرفتنا عن ذلك العالم الغريب ، عالم الاقزام .

هذا وسيلى هذا المقال مباشرة باذن الله مقال آخر عن بعض الشعوب التى تربى الماشية بافريقيا وهذا الجزء سوف يتضمن :

مربى الماشية :

١ — بجا (هدندوة) بالسودان
٢ — الصومال

(٢) الشعوب التي تمارس الرعي :

ونأخذ كنموذج للرعاة جماعة البجا ، البجا عبارة عن عدة قبائل تعيش فى المنطقة التى تقع بين النيل والبحر الاحمر بالسودان ويحد المنطقة من الشرق سلسلة جبال البحر الاحمر والمنطقة بعض المرتفعات مثل جبل اركويت وسنكات وتهاميم .

(أ) والبجا ينقسمون الى خمس قبائل :

(١) البشاريون (٢) الامرار
(٣) الهدندوة (٤) البنى عامر
(٥) الحلنقا (رسالة دكتوراه للدكتورة سعاد شعبان)

ويلاحظ ان معظم ارض البجا عبارة عن جبال ورمال وغير صالحة للزراعة وطقسها جاف جدا وربما تسقط بعض الامطار الخفيفة شتاء فى المناطق الشمالية .

ويحصل الناس على الماء سواء فى الشمال او الجنوب من الابار وقد مر البجا بمراحل تاريخية عديدة منها مرحلة الصيد الى الرعى ولكنهم ظلوا فى المرحلة الاخيرة " مرحلة الرعى " زمن طويل رغم جوارهم لمناطق وشعوب مستقرة وتمارس الزراعة ورغم ان البجا يحتاجون لزراعة هذه الشعوب من القمح ومع ذلك لم يتعلموا الزراعة الا فى عهد قريب جدا ورغم ممارستهم اخيرا للزراعة وتعلمهم لها فقد ظلت حياة البداوة والرعى هى نمط الحياة السائد عندهم .

وهم يتجولون فى مجموعات صغيرة مع ماشيتهم واحيانا يستمر هذا التجول طول العام وفى مكان المراعى ينصبون خيامهم المصنوعة من الحصير بحيث تسكن كل عائلة خيمة وتبحث كل اسرة عن مكان معين محدود لرعى اغنامها وماشيتها .

ويلاحظ ان طبيعة الارض التى تعيش فيها هذه المجموعة هى

السبب فى تقسيم وعزلة هذا الشعب ففى هذا المكان البعيد الجاف يجد الانسان مراعى ضئيلة جدا والنباتات نادرة وتوجد فقط بجوار الاخوار والزراعة البسيطة الموجودة لديهم تتوقف على الامطار .

ومن منابع المياه نجد لديهم :

١ — ابار سطحية وهذه توجد فى المناطق الرملية الطينية وتكثر فى جنوب المنطقة وتملأ وقت الامطار وتسقط هذه الامطار فى فصل الخريف من يوليو الى اكتوبر فى الجنوب .

٢ — ابارا جوفية وتوجد فى الشمال .

٣ — الحفائر وتكثر فى جنوب منطقة البجا وهى عبارة عن احواض كبيرة تملأ وقت المطر وهى تحفر دائما بجوار القنوات الفرعية لخور الجاش والحفائر لاتجف ابدا .

٤ — خور الجاش : وهو اكبر واشهر نهر فى الجزء الجنوبى من ارض البجا وهو يمتلىء بالمياه ايضا فى الخريف وتاتى المياه محملة بالطمى ونظرا لوجود هذا النهر فى جنوب المنطقة وكثرة الامطار فى الخريف نجد أن الارض فى هذا الجزء خصبة جدا وصالحة للزراعة اما فى شمال ارض البجا نجد ان الارض صحراوية وتصلح فقط لرعى الجمال والماعز اما فى الجنوب فنجد الى جانب الجمال والاغنام ايضا الابقار التى تكون ثروة عظيمة للبجا .

تربية الحيوان :

نجد ان اقتصاد البجا قائم على الحيوان ومن الحيوانات التى تعتمد عليها ثروتهم الاقتصادية الضأن والماعز اما الجمال فتستخدم اساسا للركوب كوسيلة من وسائل المواصلات وللنقل ونجد ان الشمال تتوفر فيه الجمال والماعز باعداد كبيرة اما فى الجنوب فنجد الابقار والضأن ومع ذلك فان الماعز والضأن هما اهم الحيوانات لدى جميع

... سواء منهم البدو والرحل او انصاف البدو او الذين ... وهى تكون الغذاء الرئيسى لديهم .

مما تقدم يلاحظ ان لهذه الحيوانات الصغيرة اهمية كبيرة فى التجارة فالى جانب اللحوم يستفيد البجاوى من اصوافها وجلودها علاوة على اللبن والدهن والعناية بالاغنام من اختصاص الرجل فهو الذى يذهب بها للرعى والى الابار وهو الذى يقوم بذبحها وبيعها ولكن الماعز تقوم بالعناية بها وتربيتها المرأة وهى ملكها الخاص لانها تشتريها بما تدخره من نقود ولذلك فان الماعز تظل دائما بجوار المسكن ويذهب بها الاولاد الى الابار من وقت لاخر ومن صوف الماعز تنسج السيدات نوع من الغطاء وهى عبارة عن غطاء صوف يشبه البطانية ويطلقون عليها اسم (الشملا) ومن صوف الماعز ايضا تصنع النساء علاقات لحفظ الاوانى الفخارية والصحوب واحيانا لتزيين الخيمة كما تستخدم الحبال المصنوعة من صوف الماعز لاغراض كثيرة اما لبن الماعز فيستخدم اساسا غذاء للاطفال فقط ولا يباع وتقوم النساء ايضا بتربية الدواجن للبيع لان البجا لا يأكلون لحم الطيور ولا البيض.

ومن الحيوانات التى لايمكن الاستغناء عنها لديهم الكلب فهو يحرس البيت والحى والاغنام ولا يستطيع اى انسان غريب دخول الاحياء السكنية بدون معاونة اهل الحى انفسهم خوفا من الكلاب اما الجمل فانه يلعب دوراكبيرا جدا فى النقل وذلك لان البجاوى عندما يتجول باحثا عن المرعى يحمل معه جميع مايملك خيمته التى يطلق عليها " بيت البرش " والجمل هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع حمل هذه الاشياء الى جانب تحمله للعطش لفترات طويلة قد تمتد لعدة اسابيع وهو يستطيع السير فى الاماكن الوعرة والبعيدة والتى لايمكن لاى حيوان آخر ان يصل اليها .

ويعتبر الجمل لدى انصاف البدو والمستقرين سلعة تجارية فليس له نفس الاهمية الكبيرة فى النقل وخاصة ان المراعى والحقول

لاتبعد كثيرا عن الاحياء السكنية هذا ويحلب البجاوى لبن الناقة ولكنه لايباع وتذبح الجمال ايضا ولكن فى مناسبات خاصة مثل الزواج او الوفاة او اذا لم يكن هناك شىء آخر يحل محلها ويستفيد الهدندوى ايضا من شعر الجمال ٠

اما الابقار : فتوجد بكثرة فى جنوب المنطقة كما ذكرنا قبل ذلك وفى الشمال على قمم الجبال وهى المورد الوحيد للبن واللحم فى الجنوب ولاتذبح الابقار للاستخدام الشخصى الا فى الاعياد والاحتفالات الكبيرة وبيع لبن البقر من عمل الرجال فهو يوزعة يوميا وبانتظام على اهالى القرى والمدن وتقوم النساء باعداد الزبد وبيعه ٠

مما تقدم يلاحظ ان البجا يعتمدون اعتمادا كليا فى حياتهم على الحيوانات وقبل كل شىء فى مواد التغذية وخاصة اللبن والزبد فاللبن يكون المادة الاساسية للغذاء وهم يحلبون جميع الحيوانات ولحرصهم على هذه المواد والاستفادة منها فترات زمنية طويلة فان من النادر ان تذبح الحيوانات ولذلك فان تذوق اللحم يقتصر على الاعياد والاحتفالات الخاصة واهم المنتجات الحيوانية بعد اللبن هى الصوف والجلود ولذلك يلاحظ ان البدوى يحرص على امتلاك الحيوانات والى جانب الفوائد الاقتصادية للحيوان نجد له قيمة معنوية بالنسبة للثروة والجاه والمكانة الاجتماعية فملكية عدد كبير من الحيوانات هو الهدف الاساسى عندهم ٠

التجول الموسمى للبدو وانصاف البدو :

فى شمال المنطقة نجد ان المراعى متوفرة فى الصيف فوق الجبال وفى الشتاء ينزلون الى السهول وكل اسرة ترعى ماشيتها منفصلة عن الاخرى دون ان يكون لهم حدود او حتى اسم الملكية على الارض وكذلك الابار فهى ملك للجميع ٠

اما فى الجنوب حيث توجد اماكن الرعى بجوار القرى والمدن فان مثل هذه الجماعات الرعوية تبحث دائما وطول العام عن الغذاء

لحيواناتها وترحل باستمرار الى الاماكن المختلفة وتتوقف الفترة التى يقضيها الشخص فى المراعى على وفرة الماء والعشب وهم لايخرجون عن حدود منطقتهم والتى يسمح فقط للاسر التابعة لكل قبيلة أن ترحل اليها بمتاعها وهؤلاء جميعا لايملكون بيوت ثابتة دائمة ولكنهم يحملون بيت البرش الذى يقوم بصنعة واقامته السيدات والبدو لايزاولون مهنة الزراعة • هذا وقد تحول كثير من الهدندوة الى انصاف رعاة وخاصة فى جنوب المنطقة وهذا الشكل الاقتصادى يقع بين حياة البدو وحياة الاستقرار ويلاحظ ان كلا النمطين "نمط الحياة الرعوية وانصاف الرعاة" يجمعهما تيارات واحدة فمثلا تلعب الحيوانات دور كبير جدا لديهما وخاصة الحيوانات الصغيرة وكلاهما يبحث عن المراعى فى مواسم معينة وعلى مسافات بعيدة • ولكن هناك اختلاف واضح بينهما وهو ان تربية الحيوان لدى انصاف الرعاة مرتبطة بالزراعة كما يختلف الرعاة ايضا فى مساكنهم فهم لايسكنون بيوت ثابتة دائمة بالمرة اما انصاف الرعاة فعلى العكس لهم بيوت ثابتة ودائمة لاتبعد كثيرا عن اماكن الرعى ولهم ايضا اماكن معروفة للرعى والتى يبحث عنها الرجال اما النساء والاطفال فيظلون فى المسكن وغالبا مايعود الرجال فى المساء مع ماشيتهم واذا كانت اماكن الرعى بعيدة كثيرا يظل الرجال هناك فترات تمتد احيانا الى ثلاثة اشهر بينما الجزء الاخر من الاسرة — اعنى النساء والاطفال يظل فى البيت •

فى شمال منطقة الهدندوة يعيش انصاف البدو والبدو والرحل فى اطراف المدن وعلى الجبال اما فى الجنوب فتوجد مساكنهم فى اطراف القرى فقط • هذا ويلاحظ ان الرعى يسبب مشاكل كبيرة فى الوقت الحاضر لدى جميع الدول الافريقية ولذلك فان المناقشات تدور حول هذه المشكلة باستمرار وتحاول الدول ان تجد لها حلا مناسبا فمثلا فى السودان فى عام ١٩٦٢ دارت مناقشات عديدة فى الاجتماعات العلمية الدورية التى تعملها الحكومة بانتظام فى السودان وهذه الاجتماعات تضم المواطنين والمتعلمين والمندوبين من الوزارات المختلفة التى يهمها الامر (وفى هذا العام كان موضوع المناقشة

يدور حول اثر البدو على التطور الاقتصادى والاجتماعى لسكان السودان وكان من ضمن ماقاله بعضهم مثلا فى اثناء المناقشة نحن نوافق جميعا على ان البدو لابد ان يغيروا حياتهم ولكن المشكلة ماهو الشكل المناسب لذلك ..... ؟

ويقول آخرون ان " الحل الوحيد للمشكلة هو تعليم البدوى كيف يقتنع ان حياة الترحال ما هى الاطريقة ثانوية للحياة " .

وفعلا لاحظنا فى الاعوام الاخيرة وتحت ضغط التغير السريع الذى طرأ على المنطقة ان بعضهم قد غير فعلا طريقة حياته والتجول الدائم للبحث عن المراعى او تخلى عنها كليةوقد استقر عدد كبير منهم تماما من تلقاء نفسه ومنهم الهدندوة . ولكن مازالت هناك للان بعض الجماعات التى يمكن ان يطلق عليها بدو رحل .

وهذا يفسر بعض العلماء (كلمة رعى) بانها مرتبطة بالبحث عن المرعى وان الرعاة دائما يكونون عبر الطريق للاستفادة من التغيرات الموسمية طوال السنة لماشيتهم ونجد ان كل العلماء متفقون على ان الرعاة يضطرون للرحيل باستمرار بقصد البحث عن مراعى جديدة للحيوان وفى ذلك يكتب احد العلماء ان الحصول على المرعى هو أهم مايشغل البدوى فالرعى والتجول هما حياته فحياة الرعى تعنى التجول الدائم والموسمى لجميع القبائل التى تملك حيوانات بقصد الحصول على مرعى للقطعان . (رسالة دكتوراه للدكتورة سعاد شعبان ١٩٧٠) .

بعض انماط الحضارة المادية لدى الهدندوة (بجا) :

١ — اشكال التجمعات نجد ان تجمعات هذه القبيلة تختلف فى شمال المنطقة عنها فى جنوبها ففى شمالها يعيش الهدندوة منعزلين فى اطراف المدن وذلك لانهم لايميلون الى الاختلاط بالغرباء وبعضهم يعيش على الجبال وفى الشمال لانجد لهم تجمعات حول القرى واما المدن التى يعيش فى اطرافها الهدندوة هى بورسودان

سنكات جبيت اركويت وسواكن .

اما بورسودان فيسكن بجوارها مجموعات لجميع قبائل البجا لانها تعتبر نقطة تلاقى لجميع القبائل وخاصة بعد ان اصبحت بورسودان ميناء بدلا من سواكن لوحظ ان معظم القبائل رحلت الى بورسودان بحثا عن العمل فى الميناء .

وفيها يلاحظ فى اقدم حى للبجا بجوار بورسودان ان المساكن والطرقات منظمة ومنسقة بحيث يسكن الاقارب بجوار بعضهم ويفصل كل مجموعة من المساكن المتصلة ببعضها شارع صغير ومن المنشآت الاجتماعية مدارس ابتدائية للبنين والبنات بيت للضيافة منزل للاجتماعات التى يعلمها الرجال بانتظام ومبنى للاتحاد النسائى حيث تتعلم فيه السيدات والبنات — اللاتى لم تتح لهن فرص التعليم المدرسى — القراءة والكتابة وايضا الخياطة .

بعض الاحياء الاخرى نزح اليها اهلها بعد عام ١٩٠٥ ويلاحظ ان معظم هذه الاحياء صغير وغير منظم والمنازل متفرقة ولكن الاقارب يقيمون سور من الخشب حول منازلهم التى لاتزيد على خمسة بحيث تسكن كل اسرة منزل خاص بها فى داخل هذا السور .

وتنتشر خيام الهدندوة البدو فى اطراف جميع هذه الاحياء ومما يلاحظ فى هذه الاحياء الصغيرة ايضا ان النساء بصفة خاصة لايتكلمن اللغة العربية بالرغم من انهن قد تركن اماكن السكن المنعزلة منذ زمن بعيد اما الرجال والاطفال فهم الذين يتكلمون اللغة العربية والسبب فى ذلك هو ان النساء بعكس الرجال ليس لهن اية علاقة او ارتباط بالعالم الخارجى اما انصاف الرعاة فيعيشون فى اطراف المدن ويربون بعض الحيوانات ويمدون البلاد المجاورة لهم بالالبان واللحوم ويذهب الرجال للرعى فترات من الزمن تاركين النساء والاطفال وفوق الجبال وفى السهول نجد تجمعات الرعاة بخيامهم التى لاتزيد عن عشر خيام من الحصير .

اما في الجنوب : فنجد القرى كثيرة بعكس الشمال ويجرى نهر يطلق عليه " خور الجاش " ونجد ان سكان هذه القرى قد استقروا وسكنوا بيوت ثابتة والسبب في ذلك انتشار الزراعة في هذه المنطقة وجميع القرى في الجنوب متشابهة في الشكل العام والنظام ولكن الاختلاف يلاحظ فقط في مساكن الرعاة الذين يعيشون خارج هذه الاحياء السكنية فنجد ان كل قرية مقسمة في داخلها الى احياء سكنية حيث يسكن كل حي عائلة كبيرة وحيث تحاط مجموعة من المنازل بسور من الطوب النيء ويقفل هذا السور بباب خشبي .

اما في داخل السور فنجد ان لكل اسرة صغيرة منزل خاص بها وجميع المباني في داخل القرى من نوع (القطية) وبداخل السور يوجد مكان مغطى بالقش للحيوانات . ويلاحظ ان الحقول والمراعى والابار ليست بعيدة كثيرا عن القرى .

٢ — اشكال البيوت : مما سبق يتضح لنا ان هناك انواع كثيرة من المساكن وحصل هذا التنوع نتيجة لنمط الحياة التي تعيشها الجماعة فهناك :

أ — مساكن موقتة : نجد ان نمط الحياة التي يعيشها الرعاة تتطلب ان تكون المادة التي تصنع منها مساكنهم خفيفة الحمل ولذلك فان خيامهم تصنع من الحصير الذى ينسج من خوص النخيل وتقوم النساء بعمل الخيام . وتغطى الخيمة بطبقتين من الحصير طبقة داخلية رقيقة واخرى خارجية سميكة وتترك فتحة الباب على احد الجوانب ولكنها لاتقفل ليلا ولا نهارا وتثبت في السقف من الداخل الغطاء الصوف الذى يطلق عليه (شملا) وذلك لتغطية السقف وحائط الخيمة وتعمل حفرة امام كل خيمة كموقد حيث توضع على جانبي الحفرة قطعتين من الحجر ويوضع القدر فوقهما مباشرة ، يوجد هذا النموذج من المساكن المصنوع من الحصير والمسمى (بيت البرش) في الشمال في اطراف المدن وعلى الجبال وايضا في

الجنوب حول القرى •

ب — مساكن دائمة : توجد اشكال كثيرة لهذا النوع من المساكن الدائمة الثابتة بيوت بنيت بالواح خشبية واخرى من افرع الشجر والقش والحصير وكلاهما مستطيل الشكل ويقوم ببنائه الرجال بجانب هذا النوع من السكن يوجد غالبا مكان يغطى بالقش تجلس فيه النساء كما يعتبر مكان للتسلية ولعمل الاشغال اليدوية ومكان للطبخ •

٣ — الشكل الثانى للبيوت الثابتة الدائمة هى المخروطى الشكل والمسمى (قطية وتتكون جوانبه من الطوب النىء وسقفه من القش ولكنه ليس نمط بجاوى فقد اخذه البجا من سكان غرب افريقيا المقيمين معهم منذ زمن بعيد هذا البيت مبنى على شكل دائرة وله باب صغير جدا من الخشب او الصفيح وليس له الا نافذة صغيرة تظل مفتوحة ليلا ونهارا •والسقف يتكون من طبقة داخلية من الافرع واخرى خارجية من القش هذا البيت يقوم ببنائه ايضا الرجال وبجواره ايضا يوجد مكان مغطى بالقش للطبخ ولقضاء وقت الفراغ وايضا للحيوانات ويوجد هذا النوع من البيوت فى جميع قرى المنطقة الجنوبية •

الاثاث والادوات المنزلية :

تتكون معظم المساكن الثابتة غالبا من غرفة واحدة ولها فناء يحيط بالمبنى وفى ركن من اركان هذا الفناء يوجد الزير او القربة التى يحفظ فيها الماء واستعمال القربة يكثر فوق الجبال فى الشمال وفى القرى فى الجنوب وهى من جلد الماعز المدبوغ • (والزير والقربة) يحفظان الماء باردا حتى فى اوقات الحر الشديد ولكل منهما قاعدة خشبية يوضع فوقها •

وفى ركن آخر من الفناء يوجد الموقد ولديهم انواع عديدة من المواقد التى تستخدم للطبخ او للخبيز فاما ان تكون حفرة يوضع فيها

الوقود وفوقها قطعتين من الحجر يوضع الاناء فوقهما مباشرة او يوضع فوق الحفرة قطعة من الحديد مربعة الشكل ولكن هذه تستخدم فقط في عمل الكسرة (الخبز السوداني) الذي اخذه البجا عنهم ويستخدم ايضا للخبز صفيحة موضوعة في حفرة بحيث تكون الفتحة الى اعلى وفي الصفيحة من الداخل يشعل الخشب والقش الى ان تصير الجوانب ساخنة ثم يلصق العجين على الجوانب الداخلية في شكل ارقفة ويغطى مثل هذا الفرن بالحصير والتراب وللطبخ يستخدم ايضا صفيحة ولكنها لاتوضع في حفرة وانما توضع بوجهتها المقفولة الى اعلى ويوضع فوقها مباشرة الفحم او الخشب الذي يستخدم في الوقود كما يوضع اناء الطبخ فوق الوقود مباشرة ٠

وبالفناء مكان للماعز والطيور وغالبا مايوجد عدة سراير صغيرة صغيرة (عنجريب) وحصير للجلوس الغرفة الداخلية للبيت تتشابه في تأثيثها وزخرفتها في جميع انواع المباني المختلفة وهي تقسم عادة بواسطة ستار كما تزين الحوائط بقطع من القماش الاحمر والمشغول بالخرز والودع ومبطنة بالحصير ٠

اما الاثاث فهو بسيط جدا ويتكون من سرير كبير يسمى انباجي ويبلغ طوله حوالى ٥ أمتار وعرضه متران وارتفاعة متر وهذا السرير يستخدم للجلوس والنوم كما يستخدم ايضا لحفظ الادوات المنزلية وتنام المرأة عادة هي واولادها فوق هذا السرير والوسادة مصنوعة من الجلد وتملأ ببذور الريحان الذي يوجد بكثرة فوق الجبال ٠ اما السرير الصغير " العنجريب " فنجده في جميع انواع المساكن ماعدا " بيت البرش " ويسميه الهدندوة اناال (Onal) وينام عليه الرجل ٠

ولديهم ايضا كراسي صغيرة مصنوعة من الحبال تماما مثل العنجريب ولكن تفتقدها ايضا الخيمة — ويلاحظ في الذين يجاورون المدن انهم غيروا من ادواتهم المنزلية وبدأوا يستخدمون الاواني والادوات التي يستخدمها سكان المدينة مثل دواليب — ارفف

للاطباق والاواني وصحون من الالومنيوم والنحاس والصاج ٠

اما الذين ما زالوا يعيشون فوق الجبال فيستخدمون نفس ادوات المطبخ القديمة وهي عبارة عن اواني فخارية وصحون خشبية وهم يطبخون في قدور فخارية الى جانب هذا توجد ايضا ادوات عمل القهوة وتتضمن :

(أ) طبق مسطح من الخشب له مقبضان ويستخدم لتحميص البن ولكن الغالب حاليا ان يحمص البن فوق قطعة من الصفيح على الموقد ٠

(ب) هاون من الخشب يد لطحن البن في الهاون اما من الحديد او الخشب ٠

(جـ) الجبنه وهي عبارة عن ابريق صغير من الفخار لصب القهوة وهم يطلقون على القهوة ايضا اسم الجبنة وتوضع الجبنة (الابريق الفخار) فوق قاعدة عبارة عن حلقة مجدولة من القش ومغطاه بالقماش الاحمر المزخرف بخيوط من الخرز المختلف الالوان يطلق عليها (الوجاية) ٠

(د) فناجين القهوة صيني صغيرة ٠

ولحفظ ونقل كل من الابريق الفخار وفناجين القهوة يستخدم وعاء من خوص النخيل او علبه مصنوعة من الخشب ويستخدم الهدندوة قشر القرع المسلي الجاف والمفرغ لحفظ السمن كما تستخدم القشرة الصغيرة لشرب اللبن ولحلب اللبن يستخدم الهدندوة وعاء مجدول من خوص النخيل و هذا الوعاء يدهن من الداخل بعجينة قبل الاستعمال لاول مرة لكي لايتسرب منه السائل وتسمى " العمرة " ٠

<u>الملابس والمجوهرات والعناية بالجسم :</u>

يلبس الرجال ثوبا مصنوع من القطن ويبلغ طوله حوالي ٩ امتار

ويلف حول الجسم من اسفل الى اعلى ويلبس تحته سروال طويل ابيض اما الاغنياء فيلبسون علاوة على هذا قميص طويل • والشعر لا يغسل ابدا وانما يدهن بالدهن ويقص مرة واحدة كل سنتين ويستخدمون مشط من الخشب يشبه الشوكة ولكن ذو ثلاثة اسنان طويلة او سن واحدة فقط •

هذا بالنسبة لغالبية الهندوة اما بالنسبة للذين يتبعون زعيم ديني او ينتمون لرئيس قبيلة فانهم يقصون شعرهم ويلبسون العمامة هذا ويحمل الرجل معه دائما ثلاثة اشياء سيف يستعمله للدفاع عن نفسه ، خنجر يحمله في حزام من الجلد ويستخدمه في الاعمال اليومية المختلفة وعصا يبعد بها الثعابين ويطرد بها الكلاب كما يحمل معه دائما الحجاب وهو يوضع في علبة صغيرة ويربط دائما على الذراع الايمن ولا يسير الهندوى حافي القدمين ولكن يلبس دائما صندل من الكاوتشوك القديم •

اما الاولاد فيلبسون قميصا وسروالا طويلا الى ان يبلغوا سن الرابعة عشرة ثم يلبسون لبس الرجال والبنات الصغيرات يلبسن ملابس اوربية بالاضافة الى غطاء الرأس وعندما يبلغن سن العاشرة يبدأون في لبس زي النساء الكامل ويترك الاولاد والبنات شعرهم ينمو الى سن التاسعة ثم يقص وتترك فقط خصلة امامية ويسير الاولاد والبنات عادة حفاة الاقدام •

ولبس المرأة عندهم عبارة عن قطعة كبيرة من القماش القطن أو الحرير يبلغ طولها ١٢ متر وتأتي اليهم هذه الاقمشة المتعددة الالوان من الهند وتلبس المرأة تحت هذا الزي مايشبه الجونلة والصديري اما الشعر بالنسبة للنساء فانه يجدل في ضفائر صغيرة جدا ولا يقص الشعر ابدا ويمشط مرة كل شهر ويدهن ايضا بالدهن او الزيت كما تضع في اطراف الضفائر خليط من مسحوق الاواني الفخارية القديمة مع انواع مختلفة من العطور والبخور والزيوت وهن يتعاون في عملية التمشيط وتستعمل المرأة من ادوات الزينة الكحل والحنة كما تعمل

ايضا الدلكة وهى عبارة عن عجينة من دقيق الدخن طبخت مع البخور والروائح وخشب الصندل وتدلك بها المرأة جسمها صباحا ومساء ويقال ان الدلكة مفيدة صحيا للجسم فهى تجمل الجلد ناعم كما ترطب الجسم • هذا وتزين المرأة بعقود كثيرة من الذهب وتضع المرأة المتزوجة حلقة ذهبية صغيرة فى شعرها من الامام بمثابة دبلة الخطوبة وتزين الرأس ايضا بالذهب والخرز والودع وتلبس فى الاذن حلقات كثيرة من الذهب وايضا فى الانف اما الاساور فهى من الفضة وكذلك الخلخال هذا الى جانب العديد من الاساور والعقود المصنوعة من الخرز والودع •

الغـــذاء :

اهم المواد الغذائية لديهم هى لحم الضأن ومنتجات الالبان والعصيدة والخبز المصنوع من حبوب الدخن وهم يأكلون فى الصباح (البليلة) واما الاكلة الرئيسية فهى دائما بعد الظهر وهى العصيدة • والعصيدة تخلط باللبن والسمن والسكر او باللحم المسلوق ولديهم اكلة مشهور تطلق عليها اسم (السلات) وهى عبارة عن لحم مشوى على الحجر والجماعات التى تسكن بجوار المدن يأكلون حاليا الخبز السودانى المعروف بالكسرة الى جانب العديد من انواع الخضر •

والقهوة هى المشروب الاساسى لديهم وتشرب فى جميع اوقات النهار • (رسالة دكتوراه • د / سعاد شعبان) •

ب ـ الرعى وآثاره على تقدم البلاد * :

(مثال من الصومال) " دراسة انثروبولوجية :

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على الملامح الاساسية لـ الصومال الرعوى وعما اذا كان لحرفة الرعى آثار اقتصادية وحضارية على البلاد ام لا ومدى تأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية على سلوك هذه الفئة من الشعب •

ومما هو جدير بالذكر ان البيئة الطبيعية للصومال تختلف من مكان لاخر فى التضاريس والمناخ والموارد الطبيعية من ماء ومرعى وغيرها • فالموارد المائية الضرورية للانسان والحيوان والنبات نجدها متعددة ولكنها قليلة وبعضها نادر فى بعض الاماكن • ونتيجة لهذه العوامل يتشكل اقتصاد السكان فنجد ان غالبية السكان من مربى الماشية والرحل وتمارس نسبة ضئيلة منهم الزراعة اذا ماتوفرت لهـا التربة الخصبة والماء •

ومن الملاحظ ان للبيئة الطبيعية اثر كبير على طبائع الناس ، فساكن الصحراء يتصف بالخشونة والحيطة والحذر تجاه العوامل البيئية القاسية ، كما يظهر اثر البيئة كذلك على بعض انماط الحضـارة المادية مثل المسكن والملبس والغذاء وللبيئة الاجتماعية ايضا تأثيرها فالاستعمار مثلا بالنسبة للصومال قد انشأ تنوعا سلاليا وتاريخيـا ، وبسبب تعدد الجنسيات ظهر فى الصومال العديد من العمـلات ، ومن تأثير البيئة الاجتماعية ايضا عدم تحجب المرأة امام الرجال وربما يكون هذا راجعا الى التاثير الاوروبى •

---

* دراسة انثروبولوجية للدكتورة سعاد شعبان ، تحت النشـر بمجلد مؤتمر القرن الافريقى ، معهد الدراسات الافريقية ، يناير ١٩٨٥ •

ولقد وضعت الحكومة المشروعات والقوانين التى تسهم فى توفير المياة والمحاصيل الزراعية والاعلاف للمواشى وغيرها لكى يتحقق الهدف الاكبر وهو استقرار البدو والعناية بتربية الماشية على احسن واحدث الطرز • وكذلك الزراعة بالطرق والادوات الحديثة • وانشأت لذلك الوزارات والمصالح المتخصصة كما انشأت بجانب هذا المدارس والمستشفيات لكى تنهض بالعنصر البشرى المنفذ لهذه المشروعات واهتمت بصفة خاصة بالمرأة وتعلمها وسنت القوانين التى تكفل لها استقرارها واستقرار الاسرة معها • ضمن هذه القوانين مايكفل المساواه بين الرجل والمرأة • وقوانين تمنع الزواج باكثر من زوجة •

ويحرص القانون كذلك على عدم حدوث الطلاق الا بسبب مقنع • ولقد سنت الحكومة قانونا ينص على الغاء القبلية وتوفير الحماية الاجتماعية والغاء جميع الامتيازات الاجتماعية كالاوصاف والالقاب • وحدد عقابا صارما للاخلال بهذا النظام •

هذا وللدين تأثير عظيم وواضح فى الاسرة • فلايمكن تسمية المولود الا بعد استشارة رجل الدين حيث يقوم ببعض الطقوس والممارسات لاختيار اسم المولود • كماتأثرت العادات والتقاليد فى الصومات بالاسلام وبحياة البداوه •فتخرج القبائل فى مختلف المناسبات فى صفوف منتظمة مع زعيمها وترقص رقصات وطنية •

ومما هو جدير بالذكر ان الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة تحتاج الى تحسين مستواها مع التركيز على انتاج السلع التى تسد حاجة السوق المحلية وتثبيت دعائم الصناعة المحلية والاهتمام بالصناعات التى تتوافر موادها الاولية بالبلاد والاهتمام بالقوة البشرية وذلك عن طريق الاهتمام بالتعليم والصحة وتأكيد وتوطيد دور المرأة فى التنمية •

مقـــدمة :

تمر معظم شعوب العالم اليوم بحالة من التغير والتبـــدل السريع فى البناء الاجتماعى والحضارى ولكن ليس بالضرورة ان يتوافـــق كل افراد الشعب بنفس الدرجة والسرعة مع هذه المتغيرات ، ومن هنـــا ينشأ الصراع بين الحكومات التى تحاول جاهدة ان تساير التطور وبين بعض فئات من الشعب ، يصعب عليها مسايرة هذا التطور ، وخاصـــة بالنسبة لشعوب افريقيا التى يمارس معظم افرادها مهنة الرعى ، هـــذه الحرفة التى تجعل اصحابها فى حالة تجول دائم منشغلين بالبحـــث عن المرعى والماء للماشية كما تجعلهم منعزلين عن العالم المحيط بهم . فهم بهذا يسببون عبئا ثقيلا بالنسبة للتغير والتطور الحضـــارى والاجتماعى والاقتصادى فى البلاد ، حيث انه من الصعوبة جمعهم فى مكان معين وعمل المشروعات اللازمة التى تتفق مع ثقافتهم من اجـــل استقرارهم واستقرار البلاد معهم .

من هنا برزت اهمية هذه الدراسة التى تتركز على شعـــب الصومال ذو التاريخ الطويل الفريد فى نوعه والذى يمارس معظم سكانـــه مهنة الرعـــى .

وتعتمد الدراسة على المراجع العربية منها والاجنبية ، الـــى جانب دراسة ميدانية استطلاعية فى الصومال (١) .

---

(١) الرحلة العلمية التى قام بها بعض اعضاء هيئة التدريـــس بالمعهد عام ١٩٨٠ .

وستحاول هذه الدراسة التعرف على الانماط الاقتصادية والاجتماعية والحضارية واسباب اختلافها ، ان وجدت ، هل هي البيئة وحدها ؟ ام العناصر المتداخلة من تجارة واستعمار بالاضافة الى البيئة ؟ وهل هناك عوامل اخرى سببت ذلك ومادى تجاوب وتأثر الشعب بكل هذه العناصر وهل اثر الشعب في احداها وما هي مظاهر هذا التأثير ؟ ثم اخيرا اثار حرفة الرعي على البلاد ؟ كل هذه اسئلة تحاول الدراسة البحث عن اجابة عليها .

لمحة عن الصـــومال :

توجد الصومال في مناطق الصحراء وغابات القرن الشرقـــى ومرتفعات الصومال — جالا ، وهي تعتبر ثاني مجموعة قبلية هامــــة للقرن الشرقي الافريقي ، ويسميها الجغرافيون العرب بربرة .

وجميع سكان هذه المنطقة حاميون ، او على الاقل لهم اصـــل حامي . ويتكون هذا القطر من اربع وحدات سياسية من الشمال الـــى الجنوب (اثيوبيا ، الصومال الفرنسي ، الصومال الانجليزي ، الصومال الايطالي) ولذلك فوصف شعب هذا القطر منفردا من الصعوبة بمكـان نتيجة لهذا الخليط السلالي العظيم ولكن جميع الكتابات تؤكد انهم حاميين ومع ذلك فتاريخهم المبكر مظلم .

ويشتق اسم الصومال من اسم سكان البلاد الاصليين ، فهـــم يرجعونه الى اسم اسلافهم ، وهم من سلالة تاجر غني يدعى " ذومال " وهي في اللغة العربية بمعنى الثرى او الغنى ، ولم يتفق بعد علـــى الاصل اللغوى لكلمة صومال ، فبعض التفسيرات ترجعها الى كلمـــة مكونة من مقطعين " صو " بمعنى يذهب او اذهب و " مال " بمعـــنى اللبن . وحينما يحل ضيفا على العشيرة الصومالية يأمر المضيف الولـــد او البنت باحضار اللبن للضيف ويكون معناها صومال (اذهب لاحضـــار اللبن) ومن التفسرات مايذهب الى انها مشتقا من " سوماخ " وهـــى كلمة اثيوبية بمعنى غير متحضر . ولكن تسمية الصومال تسمية حديثـــة نسبيا .

ويصفهم سيلجمان بانهم معتدلون فى حياتهم كما هو معـــروف بين بدو الصحراء وان لديهم قوة احتمال كبيرة نظرا لخشونة الحياة كما انهم يستطيعون ان يعيشوا فترات طويلة على كمية قليلة جدا مـــن الطعام والماء ويوصفون ايضا بانهم مرحون ذو شخصية خفيفة ولكنهـــم متميزون بالغرور الزائد والبخل والجشع •

ونتيجة لهذه القدرات فلديهم ثقة شديدة بالنفس ، وهم عموما ، متعصبون للدين بصورة مدهشة لابعد الحدود[(١)] ولقد قسمهم يـــنزن الى خمس مجموعات كبيرة : دير ، دارود ، هاويا ، راهانويـــن وديجيل •

ويؤكد ينزن ان الدير والدارود والهاويا من عليه القوم ويمثلون انقى سلالة صومالية وتسمى العشيرة والفخذ غالبا باسم مؤسسها ولكل قبيلة رئيس والرئاسة محددة فى اسرة واحدة[(٢)] • ويصف ينزن حياتهـــم الاقتصادية وبعض التقاليد فيقول ان نصفهم تقريبا رعاة والباقى انصاف رعاة وتعنى الحيوانات لدى البدو الثروة • وهم يربون الابقـــار ذات الاسنام وفى بعض الاحيان ايضا الابقار ذات القرون الطويلة وتذبـــح الحيوانات فقط فى المناسبات وفى الاضاحى مما يعطيهم الفرصة لتذوق اللحم • وهم يقطعون اللحم فى شرائح ثم يجفف ويحفظ[(٣)] •

---

(١) C.G. Seligman: Races of Afrika, 1978, London Fourth Edition p. 78.

وعبد المنعم عبد الحليم صوماليا ص ١٧٢ •

(٢) احمد صوار : الصومال الكبير ص ٨ ــ ١١ •

H. Bernatzik: Neue Grosse Volkerkunde, Koln, 1968, p. 211-212.

3. Walter Hirschberg: Volkerkunde Afrikas, Mannheim 1965. p. 43, 44, 45.

Meyers Handbuch uber Afrika, Mannheim 1962, p. 182-183.

بجانب هذا التنوع السلالى والتاريخى هناك ايضا التنوع الكبير فى البيئة الطبيعية فللبلاد ساحل بحرى يبلغ طوله ٣٢٠٠ر٣ كيلو متر فى الجزء الجنوبى من البلاد يجرى نهرا جوبا وشبيلى[١] ومياههما لاتنقطع طوال العام وهما يستمدانها من الجبال الواقعة الى الجنوب من هرر وهناك سلسلة جبلية تعرف بمنطقة "اوجو" باللغة الصومالية اى الاراضى المرتفعة ويبلغ ارتفاعها نحو ١٥٠٠ متر ويوجد ايضا منطقة سافانا عديمة الموارد المائية ولكنها خصبة جدا .

من هنا نجد ان البلاد تتكون غالبا من السافانا والانهار فى المرتفعات حيث تنبع من الحبشة وتكون اثناء الحر غالبا عبارة عن ودیان جافة فقط مثل نهر شبيلى . واكثر الاقاليم خصوبة هى الاجزاء الجنوبية التى يخترقها نهرا شبيلى وجوبا فيما عدا ذلك فالاقليم غير صالح للزراعة ولايناسب استقرار السكان[٢] .

يتضح مما سبق اهمية الموقع الجغرافى اما اسم الصومال وما ورد بشأنه (صو ، مال) بمعنى اذهب لاحضار اللبن هذا الاسم يرتبط بعملية احضار اللبن للضيف وهى عادة كل الشعوب الرعوية حينما يحل الضيف لابد ان يشرب اولا اللبن او الماء ونظرا لندرة الماء فى كثير من المناطق الرعوية يقدم اللبن بدلا منه لانه متوفر وفعلا يكون

---

(١) انظر الخريطة رقم (٢)
Bernatzik, 1968, p. 211, 212.

(٢) I.M. Lewis: Pastoral Democracy, Oxford, 1961, p. 31.

والعالم العربى : وزارة الاعلام والارشاد القومى مقديشيو ١٩٧٥ ص ١٠٧

صوماليا اليوم : حقائق ومعلومات عامة ، وزارة الاعلام والارشاد القومى ، مقديشيو ١٩٧٥ ص ١ .

الصومال الجميلة : وزارة الاعلام والارشاد القومى ، مقديشيو ١٩٧٨ ص ٧ .

الانسان في حاجة الى ان يروى ظمأه بعد المشوار الطويل فى الحر •

ونظرا لحياة الصحراء الخشنة فقد تأثر هذا الشعب بها لانها حياة تطبع صاحبها بطابع خاص فهى مليئة بالمخاطر والمجاعات والقحط ولابد ان يضع الانسان كل هذه الظواهر الطبيعية فى اعتباره وهى ظواهر لا يستطيع التحكم فيها •

وقد وصفهم العلماء بالمرح والشخصية الخفيفة الروح • وهذا نتيجة للحياة البدوية حيث انهم يقضون نهارهم كله فى الفضاء وليس لديهم مايشغلهم طالما وجدوا الماء والمرعى الا ان يتسامروا ويتحاكون ولكنهم وصفوا كذلك بالغرور الزائد والبخل والجشع فالغرور يأتى نتيجة اعتقادهم ان حياة الرعى ارقى فى نظرهم من الزراعة والصناعة • أو اى مهنة اخرى ولذلك نجد من تقاليدهم عدم تزويج بناتهم لابناء الريف • واما البخل والجشع فهما لاشك فيه انهما حيطة وحذر تجاه العوامل البيئية القاسية • كما ان العقائد الدينية لديهم ايضا نتيجة التعامل مع البيئة العظيمة والتأمل لما فى الكون من ظواهر تجعلهم اكثر تعلقا بالاله ومخلوقاته •

ومن عاداتهم التى وصفها العلماء ماكتبه بنزن وباومان [(١)]، ان تذوق اللحم نادر جدا رغم انهم رعاة • وهذا التذوق يكون فقط فى المناسبات• وهذه عادة منتشرة لدى جميع الشعوب الرعوية [(٢)] فالماشية لديهم رغم كثرتها لاتقتنى فقط للاقتصاد ولكنها تعنى الكثير من الناحية

---

(١) بنزن وباومان من العلماء الذين كتبوا كثيرا عن انثروبولوجية افريقيا • انظر :
Walter Hirschberg:
Volkerkunde Afrika, Mannheim 1965,
Bernatzik, p. 211, 212.

(٢) كما شاهدت فى بعض المجتمعات الرعوية فى جمهورية السودان (بجا) والمملكة العربية السعودية (الصنادق والروقية بجوار الدرعية) •

الاجتماعية ولها معان عميقة فى نفوسهم ولذلك يعز عليهم ذبحها الا للضرورة كعرس او وفاة او ضيف عزيز ولذلك فقد تفننوا فى حفظ اللحم لاطول فترة ممكنة فهم يقطعونه شرائح رقيقة ثم يتركونه يجف فى الشمس ويطحن بعد ذلك ويخزن فى اوانى خاصة •

لكن هذه الصفات تنطبق فقط على سكان الجبال والصحارى ولذلك نجد ان سكان السواحل يختلفون فى طباعهم وعاداتهم عن هؤلاء فهم يعيشون فى بيئة مختلفة حيث يتوفر الماء المحروم منه سكان الصحراء ويتناولون اطعمة اخرى تجود بها الطبيعة (الاسماك) ويستعملون ادوات اخرى وهؤلاء يختلفون كذلك عن البعض الذى يعيش بين نهرى شبيلي وجوبا وممارسة مهنة ثالثة ومخالفة تماما لما سبق وهى الزراعة بما فيها من استقرار وتربية الحيوان للاقتصاد والغذاء مع استخدام ادوات مختلفة بالطبع •

يظهر من كل ماتقدم تأثير البيئة الطبيعية على طبائع الناس وغذائهم وادواتهم • بجانب كل هذه العوامل هناك عامل اخر غاية فى الاهمية الا وهو الطرق والمواصلات • وتعتبر الطرق والمواصلات شريان الحياة بالنسبة لاى بلد بصفة عامة والصومال خاصة نتيجة لهذا الموقع العظيم (١) •

ففيما يخص الطرق يوجد بالصومال عموما حوالى ١٤٣٠ كم طرق منها ٦٠٢ كم طرق مرصوفة و ٨٢٨ كم غير مرصوفة ولايمكن السير فى الطرق فى شمال الصومال الا وقت الجفاف فقط • ومعظم الطرق المؤدية الى المدن والقرى مرصوف ونجد فى الجنوب المزارع والمراعى على جانبى الطرق •

ويوجد من وسائل المواصلات السيارات التى يركبها الرجال

---

(١) احمد صوار : الصومال الكبير ص ٣ • وعبد المنعم عبد الحليم • صوماليا ص ١٧ — ٤٥ •

والنساء من مقر اقامتهم الى مكان العمل • وهناك فى الجنوب خط حديدى يمتد من مقديشيو الى فيلا ابروزوى وكان الغرض الرئيسى من انشائه خدمة الاغراض العسكرية • اما المواصلات المائية فاهمها نهر جوبا الذى يصب فى المحيط الهندى ويعتبر احد الشرايين الرئيسية فى البلاد ويفتقر الاقليم الشمالى الى المواصلات المائية والحديدية[1] •

المواني :

بربرة زيلع فى الشمال •• مقديشيو الميناء الرئيسى فى الجنوب، ميركا ميناء تجارى

وتعتبر مقديشيو النقطة الرئيسية لتجارة الاقليم الخارجية • وفيما يختص السفر الجوى تعتبر مقديشيو ميناء جويا عالميا •

ان الطرق هى ايضا من صنع الطبيعة ولكن للانسان القدرة على تغييرها لمصلحته ومنها الطرق التى تربط الجمهورية نفسها بجيرانها • وهذا لها اثره على حركة الانسان من والى البلاد حيث يسهل الاتصال بين الشعوب وبعضها سواء كان هذا الاتصال تبادل تجارى او ثقافى او اجتماعى ومنها الطرق التى تربط البلاد ببعضها داخل القطر وهى لاتقل اهمية عن سابقتها اذ انها تساعد على اندماج الشعب بجميع فئاته وهناك الطرق التى بداخل كل مدينة وقرية وكذلك الملاحة النهرية وهى ذات طابع مخالف وتتطلب من الذين يتعاملون معها ان يتقنوا صناعة السفن وحرفة التجوال فى البحار •

---

(١) Meyers Handbuch uber Afrika, p. 652.

وملاحظات شخصية كذلك •

موارد الميــــاه [1] :

ان الامطار قليلة في الصومال [2] وبجانب هذا المورد الطبيعي توجد الانهار ، جوبا وشبيلي ولنهر جوبا ثلاثة فروع تصب مياهها فيه وهي " داوا ، جنالي ، مانا " وتلتقي الفروع الثلاثة بالقرب من مدينة دولو " ليكونوا نهر " ويي جنابي " او جوبا اما نهر شبيلي فله فرعان صغيران يصبان مياههما فيه في مكان يقع على بعد حوالي مائة وعشرة كيلومترات شمال قرية " ايمي " ويتلاشى نهر شبيلي في المستنقعات والكثبان الرملية القريبة من قرية " افي " وفي السنوات التي تكثر فيهما الامطار يصب نهر شبيلي مياهه في نهر جوبا .

وفيما عدا ذلك هناك وديان تشق طريقها خلال الامطار الموسمية وتعرف محليا (بتوج) او " دوحو " وهي تجف معظم شهور السنة . ويوجد ايضا المجاري التي تمدها الينابيع بالمياه ، والمجاري

---

(١) Meyers Handbuch uber Afrika, p. 651.
الصومال اليوم حقائق ومعلومات عامة — ١٩٧٥ ، ص ١٠١

(٢) من الطريف ان هناك كثير من الشعوب التي يظهر بينها شخص يزعم انه جالب المطر او صانع المطر وقد وصف سيلجمان هذه الشخصية بعد ان رآها واجرى عليها دراسة ميدانية لدى النوير وغيرها من الشعوب فيقول بان هذا الشخص ذكي جدا وخبير باحوال الجو في استطاعته ان يؤجل حفل اسقاط المطر مرات ومرات الى ان تحين الفرصة في الجو لذلك فللمطر علامات يعرفها جيدا وعند ملاحظتها يدعو الشعب لاقامة الشعائر حيث ان الوقت قد حان لذلك وبعد ان ينتهي منها يسقط المطر فعلا ، كما يقول سيلجمان هذا بالنسبة للشعوب التي لديها معتقدات خاصة اما هذه الشعوب البدوية التي تدين بالاسلام وتعرف حقا ان الله هو القادر على انزال المطر فتقوم فقط باقامة الصلوات والدعوات ويؤمهم شيخ القبيلة او رجل الدين الموثق فيه لديهم يدعو الله ان يفك هذه الازمات .

الرئيسية هي "داروود" ، "نوجال" ، "مجادا" ، "عيج" ، "دير" و "وجابى" وتذهب اغلب المياه التى تمر بهذه المجارى عبثـا دون ان يستفاد منها فى الرى الصناعى مثلا غير ان الوديان التى تمر فيها توفر للمواشى مراعى خصبة وخاصة بعد سقوط الامطار وتتسرب مياه بعض المجارى فى التربة ولاتصب فى البحر .

ويتميز الجزء الاكبر من البلاد بالصرف الداخلى للمياه وبقايـا الرواسب الناتجة من عملية تبخر الماء وتؤدى هذه الحالة الى تزايـد نسبة الاملاح فى كل من المياه الجوفية والسطحية .

والينابيع الرئيسية الدائمة فى البلاد هى "ايشابيدوه ، جبـل ودل مادو " فى اسكوشوبن ، "كرن بوصاصو " ، "جلجولو " ، بيكولولى ، أوخين " ، "ايل " ، "جاروى " ، "جاجا " ، "توهيهن" ، "قندلا" "سين " علولا ، داميج " فى بورمة وغيرهم وهناك ايضا ابار كثـيرة يستعملها مربو الماشية لسقى مواشيهم فى طول البلاد وعرضها . ويوجد كذلك تجويفات طبيعية تعرف محليا باسماء محددة مثل (ور) ، (هر) "ديشن " بللى " اوبيلك " وتحتفظ هذه التجويفات بمياه لبعض الوقت بعد انتهاء سقوط الامطار . كما ان هناك البرك وهى تعتبر اماكـن لتخزين المياه وهى محفورة فى الارض ومبنية بالاسمنت ويمتلك كل منهـا شخص واحد ، ولقد اصبحت الان محبوبة فى جميع انحاء البلاد وخاصة فى منطقتى " هاود " "نوجال " . فيما يخص الموارد المائية نجد منها ماهو طبيعى ولايمكن التحكم فيه وهى الامطار التى تخضع للعوامـل الطبيعية البحته .

ولقد شاهدت اهمية المطر فى كثير من الاماكن بالصومال حتى انه عندما سقط المطر اثناء تجوالنا وتجمع ماؤه فى بعض الحفر رأينـا النساء تجمع هذه المياه من الحفر لتخزينها واستخدامها فى اوقـات الجفاف فى اعمال المنزل . وهناك كذلك الانهار التى تتكون نتيجـة لسقوط الامطار وفيما عدا ذلك توجد الينابيع الطبيعية والابار الـتى

يقوم بحفرها الانسان لاستكمال هذا العامل الحيوى والذى لايمكن الاستغناء عنه •

اقتصاد البلاد (١) :

يشتغل معظم الصوماليين بالرعى فى مناطق الاستبس وهناك يقومون برعى الماشية او الاغنام والماعز ويمارس فريق منهم الزراعة على طول الانهار والمجارى المائية وعند البحيرات العذبة او الينابيع والابار فمعظم الشعب الصومالى من مربى الماشية الرحل ونسبة ضئيلة منهم اما مزارعين مستقرين او صيادى سمك او يعيشون فى المراكز الحضرية • ومربو الماشية قوم من الرحل الذين يعتمدون اعتمادا كليا على مواشيهم ولهذا فهم مشغولون دائما فى تنقلاتهم الموسمية بحثا عن الماء والمرعى لها •

وحينما نتحدث عن المراعى لابد ان نذكر الغابات ، فلايمكن الفصل بين الغابات والحيوانات المتوحشة والمراعى لان الغابات تأوى هذه الحيوانات وتوفر المراعى الغنية لبعضها وللمواشى التى يربيها الرعاة الصوماليون كما ان المراعى توفر الغذاء للحيوانات الاكلة للاعشاب سواء كانت اليفة او متوحشة وفى نفس الوقت فان اشجارها تحمل الثمار ولاتوفر للمواشى والحيوانات الاخرى المأوى والغذاء وحدهما وحسب وانما توفر للشعب ايضا نباتات كثيرة •

وترتفع نسبة الرعاة فى شمال الصومال نظرا لشدة الجفاف ولعدم امكانية الزراعة وتتحول البداوة والرحلة الطويلة الى نوع من الهجرة الفصلية ثم الزراعة كلما اتجهنا جنوبا ويمارس معظم السكان الزراعة وتربية الماشية معا وهذا بفضل زيادة المطر فى جنوب الصومال من ناحية وبفضل نهرى شبيلى وجوبا من ناحية اخرى • ويتبع الرعة فى

---

1. Meyers Handbuch uber Afrika, p. 652.

حركتهم دورة فصلية معروفة تتفاوت مساحتها استجابة لظروف المطر وليست هناك ملكية للعشيرة في ارض معينة ، تعتبرها مراعيها ولكن حيازة الارض تتوقف على استغلالها واحتلالها لها فقط[١] .

الحيوانـــات[٢] :

يرى الرعاة الذين يمثلون ٧٤ % من السكان الابل بصفة خاصة ، فكلما بعدنا عن مقديشيو العاصمة واتجهنا نحو الجنوب تزيد الثروة الحيوانية وخاصة الجمال والابقار واما الماعز والاغنام فتكثر في الشمال . وينتقل الرعاة من الساحل حيث تكثر الابار وخاصة في الجنوب الى الداخل ولكنهم يتأثرون الى حد كبير بتوزيع مواقع الكلأ ومواطن الملح التى تلعقها الحيوانات وتوزيع المراعى القبلية ويقود صاحب القطيع قطيعه الى منبع الماء صباحا ويلاحظ على طول الطريق من مقديشيو الى الجنوب تجمع الناس بحيواناتهم حول منابع المياة[٣] .

المنبع المـــائى :

عبارة عن حفرة تملأ وقت المطر ويسمى تجمع الناس حولها (توك) باللغة الصومالية وهى تقابل الفولة والحفير فى السودان والاختلاف بين الفولة والحفير هو ان الاولى طبيعية والثانية صناعية .

وقد لاحظنا ان الماعز هنا من نوع متميز فنجد ان حجمه كبير

(١) I.M. Lewis: A Pastoral Democracy, Oxford 1961, p. 49.

(٢) Meyers Handbuch uber Afrika, 652.

واحمد صوار : الصومال الكبير ص ٣٠ ، عبد المنعم عبد الحليم صوماليا ص ٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠

والصومال الجميلة ص ٤٤ ، ٤٥ ، صوماليا اليوم ص ٩ ، ١١ .

(٣) ملاحظات شخصية ، عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ، ص ٥٣ ، ٥٨ .

ويشبه الغزال فى جلده الناعم والوانه جميلة وهم يصدرون جلده للخارج ويذبح الماعز بواسطة مصنع مخصص لذلك ويأخذ المصنع الجلود بطريقته الخاصة • وللابل قيمتها الخاصة فى البوادى ولاصحابها ايضا شهرة عظيمة وتسمى الابل بالصومالية "جيل" ولتلك الكلمة رنين عظيم • ويقوم برعى الابل الشباب من الذكور الاقوياء ويتأفف رعاة الابل من شرب حليب الضان والماعز ويكتفون بشرب حليب النوق كلما دعت الحاجة الى ذلك والملاحظ انهم يشعرون بنوع الكبرياء والترفع عن رعاة الضان والماعز • وعندما تصاب الابل باى مكروه فان الرعاة يصابون بالذهول ويفقدون صوابهم • ويتراوح نصيب الاسرتيين ١٠ ــ ١٠٠ رأس من الماشية وان كان يصل الى ١٠٠٠ رأس احيانا •

والتنقلات الموسمية لدى الرعاة الرحل مرتبطة ارتباطا وثيقا بتوافر الماء فى مراعى "نجد هاود" الشاسعة وانعدامه فى خلال الشهور الجافة التى لاتسقط فيها امطار يرحل الرعاة بقطعان ماشيتهم ويتجمعون فى المناطق التى يتوفر فيها الماء اما من الابار او من البرك • وعندما تبتدىء امطار فصل الربيع والصيف فان المراعى كلها تتفجر حيوية واخضرارا من جديد فى ظرف ايام معدودات غير ان الرعاة لايستقرون فى مكان واحد بل يستمرون فى حلهم وترحالهم فى سعى جاد ودائم لمناطق رعوية افضل • يوجد فى البلاد ٨ ملايين هكتار من الاراضى الرعوية التى تربى فيها الحيوانات •

المحاصيل الزراعية (١) :

نظرا للاختلاف الواضح فى الطقس والتضاريس نجد ان النباتات تختلف كذلك من منطقة لاخرى • ففى الاجزاء الجنوبية من البلاد تكثر

(١) Meyers Handbuch uber Afrika p. 652.
واحمد صوار : الصومال الكبير ص ١٣ ، عبد المنعم عبد الحليم ، صوماليا ص ٤٦ ، ٥٠ ، ٩٠ ، ١٣١ ، الصومال الجميلة ، ص ٤٢ ، ٤٥ ، صوماليا اليوم ص ٩ ــ ١١ •

الشجيرات والاعشاب ، وذلك بسبب الامطار الوفيرة التى لاتكاد تنقطع لحوالى سبعة اشهر فى العام تقريبا ولكن كلما اتجهنا نحو الشمال كلما اصبح الطقس اكثر جفافا • وتختفى النباتات الخشبية فى البلاد فى سرعة مذهلة والسبب فى ذلك هو الرعى الزائد عن الحد وتكاثر المواشى وحرق النباتات لانتاج الفحم النباتى •

اما الغابات فانها توفر للشعب ايضا اللبان والمر اللذين اشتهرت بهما الصومال منذ قديم الزمان بالاضافة الى الصمغ العربى والعسل والاخشاب • ومواد التسقيف واللحاء والفحم النباتى وغير ذلك مما لايمكن الاستغناء عنه وهناك ايضا التبغ والموالح والسمسم واللوز وانواع كثيرة من الخضروات وقد ادخلت بعض انواع من الاعشاب حديثا فى الصومال وهى اعشاب (البرسيم الحجازى) والبرسيم والعشب السودانى لانتاج علف الماشية •

وتقوم الزراعة على الرى وبخاصة فى الجنوب فى وادى شبيلى وجوبا حيث يزرع الذرة والذرة الرفيعة والموز وقصب السكر والارز والقطن • ويزرع فى الجنوب ايضا شجر الباباظ وجوز الهند وتكثر المراعى والشجيرات القصيرة المتناثرة ذات الاشواك كما تنمو ايضا اشجار الصنوبر واهم المحاصيل الغذائية البلح والبذور الزيتية والسكر والارز ، اما المحاصيل التجارية فاهمها القطن والموز •

انتاج الموز (١) :

يعتبر الموز من اهم الغلات الزراعية فى الصومال ويزرع فى سهل جوبا كما يزرع ايضا قصب السكر فى الاجزاء الوسطى من وادى نهر شبيلى • ويحتل محصول الموز المرتبة الثانية بعد المنتجات الحيوانية بالنسبة لمواد التصدير وهو مصدر مهم للحصول على العملة الصعبة • ولقد بلغت المساحات المزروعة موزا ٥٢٠٠ هكتار وارتفع الرقم الى

(١) صوماليا الجميلة ص ٣٤ •

٧٠٠٠ هكتار عام ١٩٧٤ ثم بلغ ٩٨٠٠ هكتار سنة ١٩٧٥ ويصدر القسم الاكبر من محصول الموز الى الاسواق الخارجية ولايخص منه للاستهلاك الداخلى سوى ٢٥ ـ ٣٥ ٪ من النوعية الرديئة •

مجلس الموز الوطني :

مسئول عن تصدير محصول الموز الى الاسواق الخارجية • فيشترى الموز وينقله الى ميناء قسمايو ومركا القريبين من المزارع فى الجنوب فى مناطق نهرى شبيلى وجوبا • وهناك يزرع ايضا الليمون او الجريب فروت والذرة الشامية والطماطم وغيرها •

القطن (١) :

يزرع القطن بالصومال فى المنطقة الواقعة مابين النهرين وكانت الصومال من البلاد المصدرة للقطن فى الماضى ولكن زراعته بدأت تتدهور اخيرا • وهناك مناطق الزراعة المطرية ومناطق الرى الطبيعى عن طريق فيض الانهار ومناطق الرى الصناعى وامكانية الرى الصناعى فى البلاد محصورة فى المناطق الواقعة على ضفاف نهرى جوبا وشبيلى وخاصة الاول •

ومن اجل منع الكوارث التى تسببها الفيضانات للاراضى الزراعية بدأت الحكومة مشروعات تهدف الى بناء حواجز منيعة للفيضانات على ضفاف النهرين والاساليب الزراعية المستعملة حاليا قديمة ومتخلفة وخاصة بالنسبة لفلاحة الارض واعدادها وتمهيدها لبذر البذور واستعمال الاسمدة والتحكم فى امراض النباتات والافات الزراعية وتسبب هذه الاساليب العتيقة خسائر كثيرة فى المحصولات الزراعية •

صيد السمك (٢) :

يمارس اهالى الجهات الساحلية مهنة صيد السمك وذلك على

(١) صوماليا اليوم ص ١٢٠
(٢) الصومال الجميلة ص ٣٨ •

الساحل الشمالى للاستهلاك المحلى والتصدير الى عدن ، وهناك فرص كثيرة لصيد السمك فى كل من جوبا وشبيلى .ويشتغل بعض الاهالى بصيد الاسود والنمور والغزلان والطيور الجميلة من الغابات .

المعادن [1] :

تعتبر الصومال غنية بالمعادن ، فهناك انواع من الثروات المعدنية مثل الملح والجبس والكبريت والبترول والفحم .

التصنيع :

يخدم التصنيع العديد من القطاعات الاخرى كالزراعة وتربية الحيوانات وصيد الاسماك . وتتركز الصناعة فى صناعة السكر وعصر الزيوت من السمسم وبذرة القطن وصناعة الصابون وحلج القطن ودبغ الجلود وصناعة منتجات الالبان وحفظ اللحوم واستخراج الملح وتجفيف السمك وحفظه وعمل الثلج وصناعة الاثاث وتصنيع صناديق الموز .

التجارة [2] :

تكثر تجارة الابل فى الشمال عن الجنوب وتكثر تجارة الابقار فى الجنوب عن الشمال ، اما الضأن والماعز فهما فى الشمال والجنوب . ومن بين المنتجات التصديرية ذات الاولوية الغالية : الملح ، وللاسماك والاغذية السمكية الاخرى ايضا طلب شديد فى الاسواق الاجنبية . وتشكل الجلود والفرو صادرات تقليدية للصومال ، كما يصدر الموز والقطن والفحم . ويستورد البن ، الشاى ، الكاكاو ، الدقيق ،

---

(١) صوماليا اليوم ص ١٥٣ ، احمد صوار : الصومال الكبير ص ٣١ عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ١٢٧ ، الصومال الجميلة ، ص ٣٦ .

(٢) احمد صوار : الصومال الكبير ص ١٥–١٦ ، عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ١٥٠ .

الفواكه ، الخضروات ، الارز ، السكر والحلوى وايضا المشروبــــات الروحيةوالصابون والورق والاقمشة وخيوط الغزل والسيارات ، والالات الزراعية والات المصانع والادوات المعدنية والمواد الكيماوية ومواد البناء وزيت التدفئة وكل انواع البضائع الجاهزة .

ومن اصناف الفاكهة التي توجد في الاسواق بكثرة : البابايا ، الموز ، المانجو ، القشطة ، وجوز الهند .

العملـــــة :

في الصومال عدد من العملات المختلفة التي ادخلت في البلاد في اوقات مختلفة وكانت الاسباب الرئيسية لمثل هذه المتغيرات نابعة من تغير الاحوال في وقت الحرب وتعدد الحكومات الاستعماريـــة المختلفة التي تقاسمت الصومال فيما بينها . وكانت الليرة الايطاليــة والروبية الهندية وشلن شرقي افريقيا من بين العملات الرئيسية . ثــم انشأ القانون المالي المؤرخ في ٦ مايو ١٩٦١ عملة واحدة للبـــلاد باسم "الشلن الصومالي" وتختصر الى (ش ص) وفي نفس الوقت سمح القانون اصدار عملة ورقية "بنكنوت" ومعدنية "قطع النقد" بالشلنات الصومالية .

تقسيم العمــــل :

في الحياة البدوية نجد النساء اكثر مهارة ودقة من الرجـــال ويتحملين العبء الاكبر ، ويتوقف عصب الحياة في البوادي على المرأة فتبدأ يومها بحلب الماشية واعداد الطعام والاعتناء بالاطفال ورعــي الضأن والماعز وتنظيف حظائر الحيوانات من الروث ، وفي المســـاء ايضا حلب الماشية واعداد طعام العشاء وتوفير الراحة لزوجهـــا والعناية بالمرضى ودبغ الجلود وتجفيفها وحياكة الثياب وعمـــل المنتجات اليدوية الخاصة بالنساء ونقل الاكواخ على ظهور الجمـــال عند الرحيل واعادة بنائها كما تقوم بصناعة جميع مستلزمات الاكواخ مـن

اعمدة واسقف من النباتات وجذوع الاشجار بالاضافة الى صنع القفف والحصير من السعف • وكذلك القدور من الفخار والطبول من الجلود والزخرفة بالخرز والاهتمام بالملبس • وتقوم المرأة ببناء معظم بيوت البادية كما ان رعى البقر مشترك بين الرجل والمرأة وتهتم المرأة بتصنيع منتجات الالبان وبصفة خاصة الزبد الذى يسمونه " برعد " والسمن " عدعد " • وهى تمارس حرفا كثيرة تبعا للمواد المتوفرة فى المنطقة مثل : تصنيع لحاء الشجر الى اشياء كثيرة منها بعض الاوانى وانواع الحصير • وحتى بعض الملابس فهى تصنعها ايضا من لحاء الشجر •

وقبل ان تنتقل الاسرة من مقرها القديم الى مقرها الجديد لطلب الكلأ • يقوم الرجال بالرحلات الاستطلاعية وقيادة موكب الاسرة عند الانتقال وتحصين المساكن بالاشجار الشوكية ورعى الابل والاهتمام بها والدفاع عن العشيرة اذا قضت الضرورة كما يقومون بصناعة المواد الجلدية كالاحذية والاحزمة ومن المواد الخشبية جميع انواع العصى والامشاط والملاعق •

مما سبق يتضح ان اقتصاد البلاد يعتمد على الرعى[1] ويخضع الاقتصاد للتطور والتغير مثل احوال المجتمع كله • ولكن لابد لهذا التغير من عوامل تساعد على ذلك منها التربة والموارد المائية والانتشار الثقافى الذى يعتبر عاملا مساعدا على تغيير الانسان لسلوكه • وتلى مرحلة الرعى فى تطور المجتمعات الزراعة البدائية • وطالما لم تتوفر العوامل البيئية المساعدة لممارسة هذا النمط الحضارى " الزراعة " فسيظل الانسان يمارس حرفته الاولى " الرعى " وهذا ماقد حدث بالنسبة لفئات الشعب الصومالى التى ما زالت تمارس الرعى •

وتتوقف نوعية الحيوانات على البيئة كذلك فى البيئة التى توجد

---

(١) احمد صوار : الصومال الكبير ص ١٥ ـ ١٦ • عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٥٦ •

بها الانهار تكثر الابقار كما هو فى الجنوب • وفى الشمال حيث الجبال والجفاف تكثر الابل • ومما يضعف الارض ويمنع انتشار المراعى ويساعد على ضعف الحيوانات كذلك كثرة الاملاح فى كثير من الاراضى حيث تلعق الحيوانات هذه الاملاح • ورغم فقر البلاد فقد لاحظنا أن الماعز من نوع جيد جدا ليس له مثيل من ناحية الوانه واحجامه حيث يستغل جلده فى التصدير ويعود على البلاد كذلك بالنفع • وللابل لديهم معنى اجتماعى خاص فملاكها لهم منزلة خاصة وهى كذلك تدفع مهورا فتعتبر ثروة لان عن طريقها يتم الزواج وتتكون الاسر وتنجب الاولاد والبنات فالاولاد يقومون بتربيتها ورعيها وعن طريق زواج البنات تأتى الابل الى الاسرة •

وما ينطبق على الثروة الحيوانية ينطبق كذلك على المحاصيل الزراعية من ناحية ارتباطها بالبيئة الطبيعية •

ويتحكم فى النباتات كذلك عوامل كثيرة منها الامطار والجفاف والرعى الدائم واستخدام اخشاب الاشجار لانتاج الفحم النباتى •

وتشتهر الصومال منذ القدم بزراعة بعض النباتات التى تنفرد بها وقد اشتهرت بتجارة منتجات هذه المحاصيل وما زالت لليوم ومنها اللبان والصمغ والمر • وقد بدأت البلاد حديثا فى ادخال اعشاب ونباتات جديدة لم تكن موجودة من قبل وذلك لتوفير العلف للمواشى • ومن هنا يظهر التفكير الجدى والعملى لاستقرار البدو • ورغم ان الزراعة هى الشريان الثانى بعد الرعى فى الصومال نجد ان طرقها وادواتها عتيقة • وقد لوحظ كذلك اثر المرأة فى الحياة الاقتصادية بالنسبة للبدو بصفة خاصة حيث انها تقوم بمعظم الاعمال ولاتهمل فى شئ ولاتكل فقد شاهدناها فى المرعى وهى تحلب الماشية وتجمع الالبان فى اوانيها الخاصة • وتجلب الماء حتى من الحفر التى امتلأت به بعد سقوط الامطار وتبنى الكوخ وتفككه الى جانب العديد من الحرف التقليدية التى تمارسها بمهارة وبالمواد المتوفرة فى المنطقة • هذا الى جانب تربيتها لاطفالها الذين هم رجال المستقبل •

ويقوم الرجال باعمال مكملة لتلك التى تقوم بها المرأة فنجد ان رعى الابل يقوم به الرجال وخاصة الشباب الاقوياء وذلك لما لها من مكانة اجتماعية عالية لديهم ويقومون ايضا باستكشاف الاماكن الصالحة للرعى وبدونها تكون هناك رعى ، والدفاع عن العشيرة مهمة الرجال وهذا يتطلب الشجاعة والمخاطرة والخبرة الطويلة بفن الحروب ، ويقوم الرجال بصنع اشياء قد لاتستطيع النساء القيام بها وهى تصنيع الخشب والجلود ولديهم مهارة وفن فى هذا النوع من الحرف .

ومن الناحية التاريخية (١) نجد ان الشعب الصومالى يعتبر الشعب الوحيد فى افريقيا الذى تعرض لاستعمار اربع دول مختلفة وقسمها الى خمسة اجزاء ، فى حين انه كان موحدا فى كل شئ قبل تواجد تلك الدول . وقد استقلت الصومال فى عام ١٩٦٠ وتم الاستقلال ونهاية الاستعمار فى ١٩٦١/٧/١ (٢) .

لو تأملنا تاريخ الصومال لوجدنا ان المستعمر قد حاول دائما تمزيق وحدة البلاد وللشعب حقوق فى المنطقة لابد ان تراعى فهناك مايسمى بحقوق الافراد والتى نصت عليها جميع الدساتير وفيه يحافظ على حقوق الفرد مثل حماية ممتلكاته وحياته وحقوق العبادة وحقوق ابداء الرأى وغيرها .

ان التنظيم الادارى المنصوص عليه قانونا يحاول القضاء على

---

(١) احمد صوار : الصومال الكبير ص ٢٧–٢٩ ، عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ١٧٢ ، ٣٢٧ ، وعبد المنعم عبد الحليم صوماليا ص ٣٢٧ .

(٢) العالم العربى : جمهورية الصومال الديمقراطية — وزارة الاعلام والارشاد القومى — مقديشيو ١٩٧٥ ص ٥ ، وعبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ .

John Drys dale: The Somali Dispute, London 1964.

القبيلة (١) والالقاب ولكن هذا الاسلوب لايتناسب مع مثل هذه الجماعات الشديدة التعصب لقبيلتها ولعاداتها وتقاليدها التى توارثتها منذ الاف السنين ولايمكن لاى قانون ان يمحوها لانها ترتبط باسماء اسلافهم وربما كان هذا اجراء اساسيا بمحو الالقاب والقبائل كتنسيق سياسى • ولكن العشيرة كنظام قرابى وعائلى لايمكن ان تمحى وخاصة وانها ترتبط بعقائد الافراد •

ان القوانين يمكن ان تتبدل بين يوم وليلة وكذلك الاشياء المادية • ولكن طبائع الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم واسلوبهم فى الحياة يحتاج لطرق واساليب غير القوانين وهذه تتطلب دراسات كافية للوصول الى اعمال ومفاهيم الشعوب • وحينما نصل الى هذه النقطة نبدأ فى وضع القوانين وتنفيذ المشروعات وسنحصل على النتائج المرجوه فى الوقت المطلوب بدون عوائق او صعوبات •

الحضارة الماديـــة :

المســاكن (٢) :

كما تختلف النباتات والحيوانات باختلاف البيئة تختلف ايضا المساكن ،ففى الشمال توجد ثلاثة انواع رئيسية من المساكن هى : كوخ الرعاة المتنقل (اقل او خيمة) والكوخ الثابت (عريش) ثم المنازل الحجرية • وفى الجنوب يزيد على هذا الانواع الثلاثة (كوخ الزراع) مندل •

اولا : كوخ الرعاة المتنقل (أغل او خيمة) :

يمتاز هذا الكوخ بسهولة حله وتركيبه • ويضع الراعى اجزاء ذلك الكوخ فوق ظهر بعيره عند انتقاله من مكان لاخر ، وهو يشبه فى شكله خلية النحل •ويتركب من جزئين رئيسيين هما : الهيكل من اغصان

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٢٢٩ ، ٢٣٤ •
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٢ •

الاشجار المربوط بعضها الى بعض في شكل نصف كروى (لجة) والاغطية من الحصير المسمى (داد) وهو نوع من الحصير ضيق المسام لحماية الكوخ من حرارة الشمس وماء المطر • ويربط هذا الحصير فوق الهيكل بحبال سميكة تستخدم ايضا في ربط اجزاء الكوخ فوق ظهور الابل عند الارتحال • وتلف دعامات الهيكل باشرطة من جلد الماعز • وفي موسم المطر الغزير يضع الرعاة اغطية من الجلد بين الحصير وبين الهيكل لمنع تسرب ماء المطر وعلى باب الكوخ تتدلى ستارة مصنوعة من الحبال الغليظة او من اشرطة الجلد او من الحصير • واحيانا يمد الحصير على اعلى الباب لعمل مظلة صغيرة • ويتراوح ارتفاع الكوخ في الداخل ما بين ١ر٥ ، ٢ر٥ متر • وقد يوجد بالداخل حاجز رأسي من الحصير لتقسيم الكوخ الى قسمين •

ولكل من الرجل والمرأة فراش من حصير • وغالبا مايكون فراش المرأة في الناحية اليمنى وفراش الرجل في الجهة اليسرى • وتوضع على الارض اواني اللبن والماء والزبد وتتدلى من دعامات الهيكل الاوعية الصغيرة مثل اواني القهوة والشاى • ويوجد أنموقد امام الباب ويسمى (جمرة) اذا كان مصنوعا من الفخار او (برتشك) اذا كان من الحجر المنحوت • وله قاعدة ويشبه مدافىء الفحم في مصر •

وتتجمع اكواخ الاسرة الواحدة داخل سور من الاغصان الشوكية (ارداى) وتكون اكواخ المنطقة كلها نصف دائرة في وسط فناء به حظيرة حيوانات ويحيط بهذا كله سور • وليس هناك عدد معين او حجم محدد للاكواخ داخل السور • وقد تكون اسرة واحدة كبيرة او عددا من الاسر ترتبط بالنسب المشترك وتتجمع مع بعضها البعض ابتغاء الحماية • وتتولى النساء اقامة هذه الاكواخ وحلها بينما يقوم الرجل بعمل السور واقامة حظائر الحيوان • والاصل في استخدام هذه الاكواخ ان تكون مساكن للرعاة في اثناء ارتحالهم كما سبق ان ذكرنا ولكن في اطراف المدن والمراكز يتخذ الفقراء منها مساكن ثابتة [1] •

---

(١) ملاحظات ومقابلات شخصية •

ثانيا : الكوخ الثابت (عريش) * :

يكثر هذا النوع من المساكن في المناطق الشمالية ويوجد في الجنوب ايضا وخاصة في المراكز التجارية مثل بلدة لوخ ، كما يسكنه الوطنيون في المدن الساحلية مثل مقديشيو . وهو مستطيل الشكل ويقام اما من افرع الشجر او من الطوب اللبن ، وله سقف جمالوني الشكل يتراوح ارتفاعه بين ٣ — ٤ أمتار ولايوجد العريش الا في المدن والقرى الثابتة ، وتثبت اغصان الاشجار رأسيا في الارض — اذا كان من الافرع يكسى بخليط من الجير والرمل في المناطق الشمالية او بالطين وروث البقر في المناطق الجنوبية وفي المدن الساحلية وخاصة مقديشيو يغطى العريش احيانا بالواح من الخشب والصفيح ويسمى في هذه الحالة (بسراك) ويستخدم الجير والرمل وروث البقر في سد ثقوبه . ويغطى سقف العريش بالقش وسعف النخيل . وللعريش باب او بابان ولكن ليس له نوافذ الا في حالات نادرة . واحيانا يوجد امام المدخل فناء صغير محاط بسور من الاغصان الشوكية . ويسمى العريش باللغة الصومالية (اقل) ويقام في مكان يتوفر فيه الماء والمرعى ، وينقسم العريش من الداخل الى عدة حجرات بواسطة حواجز من اغصان الشجر او الحصير . وفي المناطق الجنوبية تخصص للنساء غرفة واحدة في مؤخرة العريش بينما تخصص الغرف الاخرى لرب الاسرة وللمطبخ وتخزين الطعام ، واحيانا تخصص غرفة لصناعة الحصير . اما في الشمال فلايزيد عدد حجرات العريش عادة على حجرتين (١) .

ثالثا : المنازل الحجرية الوطنية (٢) :

وهذه لاتختلف في تصميمها العام بين الشمال والجنوب (فيما عدا المدن الكبيرة في ساحل بنادر) فهي مربعة او مستطيلة الشكل ، وتتكون من طابق واحد في الغالب ويحيط بالمنزل سور من الحجر به

---

(١) ملاحظات ومقابلات شخصية .

(٢) ملاحظات ومقابلات شخصية . انظر الصورة رقم (٢) .

* الصورة رقم (٢) (أ ، ب) ، وشكل رقم ٢ (١ ، ٢) .

باب يؤدى الى فناء تطل عليه الغرف ودورة المياه والمطبخ • ولا يزيد عدد الغرف عادة على اثنين او ثلاث • ونوافذ المنازل صغيرة وضيقة •

رابعا : كوخ الزراع فى الجنوب (مندل) [1] :

هذه المساكن بسيطة وهى فى الريف عبارة عن اكواخ دائرية قليلة المنافذ وتبنى من فروع بعض الاشجار والواح من الصاج او هى عبارة عن اكواخ من اعمدة واقواس خشبية تغطى بحصير من الاعشاب والحبال الرفيعة المصنوعة من لحاء الشجر • وهذا المسكن شائع عند الزراع الذين يسكنون على ضفاف الانهار كما يسكنه الرعاة الذين يتخذون الزراعة حرفة اساسية وتسكنه ايضا الجماعات الصوفية المستوطنة على ضفاف الانهار • ويتكون الكوخ من جزئيين رئيسيين هما الجدار والسقف • وتتلخص طريقة بناء الكوخ فى حفر خندق دائرى تثبت فيه عصى مستقيمة من اغصان الاشجار فى وضع رأسى لتكون جدار الكوخ • ويراعى ترك فراغ للمدخل فى هذا الجدار ويدك التراب — والحجارة حول هذه العصى لتثبيتها جيدا • وبعد ذلك تقام العصى على ارتفاع متر تقريبا وتشد الى بعضها بعضا بحبال تمتد حول محيط الجدار ثم يدق عامود كبير فى الارض فى مركز الكوخ ويتراوح ارتفاعه بين ٥ر٢ — ٣ أمتار ويجدل سقف الكوخ على حدة من الاغصان ايضا • ثم يوضع قرص خشبى فى الوسط وتربط الاغصان حوله فيصبح شبيها بالمظلة •

وبعد اتمام السقف يركب فوق الجدار ويشد اليه بالحبال ولتقوية السقف وتثبيته تستخدم الحبال فى ربط اطرافه فى العمود المركزى • وبعد ذلك يغطى السقف بالاعشاب ويدهم سطحه العلوى بالطين والرمل لمنع تسرب ماء المطر • وتسد الثغرات فى الجدار بمخلوط الطين والرماد وروث البقر • واخيرا يثبت الباب الذى يصنع من الخشب

---

(١) ملاحظات ومقابلات شخصية • انظر الصورة رقم ٢ جـ • وشكل رقم ٢ (٣) •

ويبلغ ارتفاعه حوالى المتر • ويتراوح الارتفاع الكلى للكوخ بين ٥ر٢ـ ٣ امتار • ويبلغ نصف قطره مابين ٣ ـ ٥ أمتار • وينام الرجل فى الجانب المواجه للباب تاركا الغرفة الداخلية لزوجاته • وتتجمع اكواخ الاسرة الواحدة ويحيط بها سورا واحيانا توجد بينهما اكواخ صغيرة للمتزوجين من الابناء والاقارب ثم اكواخ المخازن والمطابخ •

ويتم توزيع التجمع الاسرى على النحو التالى :

١ ـ يخصص لكل زوجين كوخ مستقل خاص بهما لايشاركهما فى النوم فيه احد •

٢ ـ يخصص للبنات والنساء كوخ خاص بهن للنوم ولايسمح للرجال باستعماله •

٣ ـ تخصص عادة للاولاد والشبان غير المتزوجين مكانا يفرش بالاعشاب وجلود الابل والبقر •

وهناك اشكال عديدة للبيت الريفى بالنسبة للزراع والبيت البدوى (جورى) بالنسبة للرعاة • والجورى عبارة عن سكن على شكل قبو ومجدول بالقش • ويرجع اصل اكواخ الزراع الى اكواخ زنوج البانتو وسكان الصومال الاوائل وقد نقله الصوماليون عنهم • اما اكواخ الرعاة (اقل) فهو من اصل حامى (كوشى) ويتكون الحى السكنى من مجموعة من البيوت محاطة بسور ومكان للمرحاض وهو عبارة عن حفرة تغطى بالتراب ومغطى بالقش(١) وهذه المجموعة تمثل عائلة كبيرة ولكل عائلة صغيرة مسكن منفرد ان سكان الاعرشة فى المدن والمراكز ايسر حالا من سكان الاكواخ (اقل) فبدلا من فراش الحصير الذى ينام عليه سكان الاكواخ ينام سكان الاعرشة على اسرة من الخشب او الحديد وفى بعض الاعرشة توجد المقاعد والمناضد •

والمنازل الحجرية فى المدن الكبيرة الواقعة على ساحل بنادر وبخاصة مقديشيو ومركة لايقل عدد الطوابق بها عن اثنين وكثيرا ماتكون

---

(١) انظر شكل رقم (١) وانظر الصورة رقم ١ (أ ، ب ، جـ ، د) •

ثلاثة ، وهذه المنازل متلاصقة وغير صحية وتنفصل بين واجهاتها ازقة ضيقة تتراكم فيها القاذورات وتتصاعد الروائح الكريهة فتسبب فساد الهواء وفي هذه المدن ايضا توجد المنازل الحديثة واغلبها من طابق واحد ، ولكن يتكون بعض هذه المنازل وخاصة في مقديشيو من طابقين اما التي تحتوى على اكثر من طابقين فنادرة . ونادرا مايمتلك موظف الحكومة بيتا في المدينة فلكل موظف حكومي بدل سكن ولكنه لايتعاطاه بل يأخذ بدلا منه سكنا من قبل الحكومة مادام موظفا بها ويكون عدد الغرف حسب عدد افراد الاسرة . ويغلب على المنازل في المدينة بصفة عامة الطابع العربي والفناء الواسع المحاط بالغرف [1] .

ونجد في داخل البيت انواعا عديدة من الفرش منها :

١ ـ حصير مصنوع من نوع خاص من الحشيش يسمى (حرر) وتصنعه النساء [2] .

٢ ـ (هوهب) نوع من الحصير يصنع من الحبال .

٣ ـ (كبد) حصير مصنع من لحاء الشجر المجدول .

٤ ـ (سان) فرش مصنوع من جلد البقر او الابل ، غالبا البقر .

هذا الاخير يفرش على الارض بعد ان يوضع فوقها الحشيش على ارتفاع نصف متر تقريبا وفي بعض الاحيان يرفع قدر السرير . ويوجد فيما عدا ذلك سرير خشبي يشبه الكنبة ولكنه نادر والغالب هو الحصير . وحفرة الوقود داخل البيت .

ولقد شاهدنا كذلك اكواخ صغيرة تكفي لاسرة صغيرة وبداخل الكوخ سرير بسيط وكراسي خشبي وفي معظم الاكواخ كراسي مربعة صغيرة من الخشب وجلد البقر .

---

(١) مدينة مقديشيو ـ ملاحظة شخصية . انظر الصورة رقم ٣ ، ٣ أ

(٢) انظر الصورة رقم (٤) .

الاوانـــــى :

اوانى الطـــبخ : القصعة :

اناء كبير من الخشب للاكل ، يوضع به الارز او الذرة (يسلــــق الارز فى الماء فقط) ، يدق الذرة بآلة تسمى موى[١] ، ويصفى من القشــــر بصفاة تسمى مسف ثم يوضع بالشمس وبعدها يطحن بالحجر الذى يسمى (طبخ ردق) ثم يصفى مرة اخرى ويطبخ فى قدر من الفخار يســـــمى (طرى) يوضع على ثلاثة احجار بينهما النار .

وهناك وعاء لشرب الماء يسمى (لحلح) وآخر لشرب اللبن يشبه الكوب ويسمى (طيل) ويصنعون لحاء الشجر[٢] ، واوعية المياه[٣] عبارة عـــن اوعية كبيرة من الخشب تملأ بالماء من الدلو الاصلى الجلدى لسقــــى الغنم .

وعاء اللـــــبن[٤] :

عبارة عن قدر كبير مصنوع من لحاء الشجر ، وتقابلنا الملاعــــق الخشبية بكثرة لشرب الماء وكذلك الشوك[٥] والامشاط الخشبية وفيما يخص اوعية الماء المصنوعة من لحاء الشجر توضع قبل الاستعمال فوق النــار ، وعاء الطبخ يصنع من الفخار[٦] والصحون من الخشب ، وتسمى حير "ابحط" عبارة عن حقيبة كبيرة تضع فيها المرأة ادواتها الخاصة .

مما تقدم يتضح ان ادواتهم عبارة عن اوعية من الخشب والفخـــار والقرع العسلى واوعية مجدولة من لحاء الشجر ، الفرش الذى يطلق عليه كبد هو نوع من الفراش من لحاء الشجر وتصنعه المرأة وهى تتفنن فـــى صنعه بالوان خاصة وتنسيق خاص من الخوص الناعم من اعلى ، والجانب السفلى ملون وهو يستخدم عند نقل المتاع فوق الجمل ويوضع هذا الكبد فوق الجمل بناحيته الناعمة ثم فوقه باقى الاشياء .

(١) شكل رقم ٣ (٣) . (٢) شكل رقم ٣ (٥) .
(٣) شكل رقم ٣ (٢) . (٤) شكل رقم ٣ (١)
(٥) شكل رقم ٣ (٤) . (٦) صورة رقم (٥) .

(٢) الملبس[1] :

يمتاز الرداء الصومالي ببساطته وهو خفيف عادة ليتناسب مع جو الصومال الحار ويصنع محليا من خيوط القطن — ويسمى النسيج "فوطة بنادر" او يستورد من الخارج • والزى الوطني عبارة عن قطعة قماش واحدة تشبه الساري وتسمى جرباسيلف بطريقة معينة بحيث يترك الكتف الايسر عاري •

والزى التقليدي للسكان الرحل بسيط اذ ان زى الرجل يتكون من قطعتين من القماش الابيض طول كل منها خمس ياردات فيغطى باحداهما جسده من الوسط الى اسفل (تحت الركبة) ويرمى الاخر حول الكتفين فيغطيهما بصفة تقليدية لان القميص لم يكن معروفا لديهم فى الماضى • ويعرف كل من هذين الثوبين بـ "جو" وهذا هو الزى الديني يلبسه المسلمون لاداء فريضة الحج الى يومنا هذا • ويلبس الرجل الصومالي فى البادية ايضا حذاء محلى الصنع ولا يلبس شيء على رأسه غالبا • وفى الماضى كان زى الرجل البدوى يتكون من ثوب واحد من القماش قد يصل طوله عشر ياردات تقريبا ويسمى "مرو" معناها ثوب وتحلى اطرافه اهداب متدلية ويلفه الرجل حول جسمه كله مع ترك احد الكتفين عاريا • وما زال هذا الرداء سائدا فى بعض الجهات وخاصة فى الجنوب[2] •

ولقد اصبح "المرو" منذ عدة سنوات يتكون من جزئين الاسفل منها عبارة عن مئزر طوله خمس ياردات تقريبا ويسمى "شنلى هوس" ، والاعلى طوله خمس ياردات ويعرف باسم "شنلى كرى" ويلف هذان الجزءان حول الجسد •والزى الرجالي حاليا عبارة عن قطعة قماش غالبا صناعة صومالية — تلف حول الجزء الاسفل من الجسم ويلبس معها قميص • ويسمى هذا الزى معوز (هوزجندى) هوز بمعنى سفلى

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٢٨٢ •

(٢) مقابلات شخصية •

وجندى تعنى رباط (الرباط السفلى) ، والعلوى اسمه (جرب سـار) جرب تعنى كتف وسار تعنى غطاء (غطاء الكتف) • غير ان الرداء الاكثر شيوعا فى الصومال وخاصة فى المراكز والمدن الساحلية يتكون من قطعتين ايضا جزء سفلى يصل الى ماتحت الركبتين وقميص عادى يسمى " شاتى " ويغطى الجزء الاعلى من الجسم • ويلبس الشيوخ وبعض الرجال بالاضافة الى هاتين القطعتين قطعة من القماش الفاتح اللون يلفونها حول رقابهم او يعلقونها على اكتافهم ويسمونها " عمامة " • كما يلبسون فوق رؤوسهم طاقية من النسيج المطرز وقد يلفون رؤوسهم بقطعة من القماش ويطلق الصوماليون على اردية الرأس هذه كوفية " كوفيد " •

ثانيا : رداء المـرأة :

ينحصر رداء النساء فى طرازين اساسيين هما " جنتينو " ويشبه " المرو " عند الرجال • ويتكون من قطعة واحدة من القماش الابيض عادة الذى يبلغ طولها عشر ياردات فتربط احدى طرفى هذا القماش المعروف باسم " مرو " فوق كتفها الايمن وتلف باقى القطعة حول جسدها فى لفات تراكمية ليخفى لها شكل بدنها من الخصر الى الكعبين وعليه فان الجزء الاكبر من القماش يكون ملفوفا حول الجزء الاسفل وتستعمل المرأة جزءا من هذا القماش الملفوف حول اردافها كحقيبة تضع فيها الحبال الرفيعة التى تصنعها من لحاء الشجر والذى تصنع منه فيما بعد كثيرا من الاشياء الرئيسية التى يتكون منها الكوخ الصومالى المتنقل السهل البناء والفك ليتناسب مع متطلبات حياتهم الدائمة التنقل وغير ذلك من الادوات المنزلية •

ويكثر هذا الرداء فى الجنوب وينتشر بين نساء العامة فى المدن الساحلية الجنوبية وبعض النساء فى الجنوب وخاصة المسنات وكذلك سكان الشمال وتلبس ساكنات المدن فوق الجنتينو " طرحة " " جربسار " يضعنها على رؤوسهن واكتافهن • وتلبس نساء الطبقات المتوسطة والغنية الجنتينو داخل المنازل •

وفى المساء عندما يتغير الطقس ، تستعمل المرأة هذا الملفوف من ثوبها فى تغطية رأسها والنصف الاعلى من جسدها اتقاء للبرد أو المطر ، وتلبس المرأة مع هذا الثوب قطعة من القماش الحريرى المتعدد الالوان حول خصرها لتحفظ لفات ثوبها المتراكم حول اردافها فى مكانه ويطلق عليه اسم (يقر) اى الملك . وتغطى المرأة الصومالية المتزوجة رأسها عادة بمنديل من القماش الاسود او المتعدد الالوان وذلك لكونها مسلمة شافعية .

الطراز الثانى :

يتكون من فستان طويل يسمى " عبود " او " كردد " ويصنع من القماش الخفيف واحيانا يكون شفافا من " النايلون " ونصفه العلوى ضيق يلتصق بجسدها ونصفه السفلى واسع جدا ويصل الى القدمين وتلبس تحته رداء يشبه " الجيبون " يسمى " جرجر " ويصنع من القماش السميك وقد يتصل به من اسفل شريط عريض .

وينتشر هذا الرداء فى المراكز والمدن الكبيرة وتلبسه نساء الطبقة المتوسطة وترتدى نساء الاغنياء انواعا فاخرة منه .

والمرأة التى تلبس هذا الرداء تضع على رأسها واكتافها وشاحا " جربسار " من القماش الشفاف يبلغ طوله مترا ونصف متر تقريبا وتعصب رأسها بمنديل يسمى " مصر " (١) ولا تلبس المرأة الصومالية جوارب فيما عدا زوجات رجال الدين ومشايخ الطرق الصوفية فى الجنوب فهن يرتدين جاكتات وجوارب ملونه . وفى الجنوب تلبس النساء الحوامل احيانا ملابس حمراء . والاحذية الصومالية بسيطة فى مجموعها واكثرها شيوعا هى

---

(١) تشير هذه الكلمة الى علاقة تجارية قديمة مع مصر وقد اشار امين بطوطة الى هذه التجارة وهناك رأى آخر يقول انها كلمة عربية الاصل من " المصر " بمعنى الرباط وانها مأخوذة من اليمن حيث لازالت نساء اليمن يطلقونها على المنديل .

النعال والصنادل . ويثبت فى النعل شريط من الجلد ليمسك به بين الاصبعين الكبيرين . وكثيرا مايحلى النعل شريط عريض[1] . ويلبس النعال والصنادل كل من الرجال والنساء على السواء . ولاتختلف ملابس الاطفال عن الكبار الا فى البوادى والريف فيسير الاطفال عراة حتى سن الخامسة او السادسة . ثم يلبسون مآزر حول الوسط ليغطى الجزء الاسفل فقط وعندما يصل الطفل الى سن التاسعة او العاشرة يلبس رداء مثل رداء الرجل .

التزين :

لاتهتم المرأة الصومالية بلبس الذهب . فالذهب ليس له قيمة عندها . ولكنها تحب عادة التزين فى المناسبات التى تتطلب ذلك فتلبس الاقراط او العقود المشغولة بالخرز الملون ويعرف العقد الخرز " بالعناب " كما تلبس عقودا مصنوعة من الاحجار او من المعادن تسمى " قراطيس " مفرد " قرطاس " وفى ساعديها اساور معدنية تسمى " دجاجة " وخواتم تسمى (قراطى) ولاتعرف المرأة فى البادية الحجاب ولا البراقع المعروفة فى بعض المدن . وتتنوع ادوات الزينة عند النساء وفى مقدمتها الحلى . فمنها الاقراط " منجد " والقلائد المصنوعة من الذهب " مريد " او من الخرز " كول " . وهذه الاخيرة هى الاكثر شيوعا وخاصة فى الجنوب . وتمتاز حبات الخرز بكبر حجمها وبالوانها الزاهية . وهناك الاساور المصنوعة من العاج والخيرزان او الخرز " جنجمو " وكذلك الخلاخل " دجاجد " وتثقب نساء الجنوب انوفهن لوضع حلقات من المعدن وهذه العادة نادرة بين نساء الشمال وتختلف طريقة تصفيف شعر المرأة باختلاف سنها وحالتها الاجتماعية . فالفتاة التى لم تصل بعد الى سن الزواج يحلق معظم شعرها الا من اطار حول رأسها وعندما تبلغ سن الزواج يترك ليطول ثم يجدل فى ضفائر

---

(١) يشبه هذا النعل الى حد كبير النعال التى كان المصريون القدماء يلبسونها .

رفيعة متدلية ، وبعد الزواج تقسم شعرها الى ضفيرتين كبيرتـــين تثبتهما في موًخر راسها • اما الرعاة في الشمال وسكان المدن مـــن الرجال فلايطيلون شعرهم بل يقصونه • ويسير كثير منهم مكشوفي الرأس ، ولكن يهتم رجال الجنوب بشعرهم اهتماما كبيرا ، ويتركونه يطول حـتى ياخذ شكل نصف دائرة ويثبتون فيه بعض الاشواك الطويلة • وتتلخـص طريقة اطالة الشعر وتمشيطه عندهم في حلاقة الرأس تماما ثم دهنهـا وترك الشعر ينمو الى درجة معينة وعندئذ يمشط يوميا لكي يصير مستقيما • وعندما يصل الشعر الى الشكل المطلوب (على هيئة نصف دائرة) يدهـن بالطين لمدة يوم كامل ، وتتكرر هذه العملية مرة كل اسبوع ، وبعـد ازالة الطين من الشعر يصير لامعا • ويختال الرجل بشعره ويحافظ علـى شكله ولذلك يستخدم الوسادة الخشبية (بارشي) في اثناء النـوم ، ويحملها معه معلقة في يد ما اينما ارتحل ، كما يواصل على دهان شعـره بالزبد • ويستخدم الصوماليون في تمشيط شعورهم امشاطا خشبيـة طويلة بعضها محلى برسوم محفورة ، وقد يثبتون هذه الامشاط فـي روًوسهم للزينة •

الاســلحة :

يستخدم الرجال الاسلحة احيانا كادوات للزينة وخاصة فـي الاحتفالات واشهر هذه الاسلحة هي الخنجر الطويل " تري " او " بلوي " وله نصل ذو حدين • ويصنع مقبضه من العاج او الخشب او قرن الحيوان وللخنجر غمد من الجلد يثبته الرجل في وسطه على جانبه الايمن • ويعلـق الرجال التمائم " حرص " او " قرطاس " في عقود يلبسونها حول رقابهم او يربطونها حول اذرعهم وتصنع هذه العقود من اللوًلوً واللبـان " ميدى " والجلد وحبات العنبر والاصداف • ويعلق كثير من الرجـال في اعناقهم محافظ من الجلد او الصدف بها مصاحف صغيرة وقد يربطونها حول الرسغ • ويضع رجال الدين والاتقياء مسبحة " تسبه " طويلة حـول العنق ، وتصنع حبات هذه المسابح من الخشب او اللبان " المهدى " •

الغـــذاء (١) :

يتكون الغذاء المألوف فى البوادى من القمح والذرة والارز ، والتمور والحليب والزبد والسمن . والملاحظ ان الفواكة والخضر ليست من الاطعمة المألوفة ويستعاض عنها بالحليب الطازج وشربه بكثرة . وتعتنى النساء عناية فائقة بطريقة تحضير واعداد الطعام عندما يراد تقديمة للرجال عموما والغرباء خاصة . ومن آداب الطعام أن يأكل الابناء مع الرجال بينما البنات مع النساء ، ولايجوز للرجال رد اوانى الطعام وهى فارغة تماما فلابد وان يبقوا فيها شيئا من الطعام .

وتخصص الرؤوس والرقاب والاكرع والقلوب والظهور والكبد والكلاوى للنساء وكذلك الارجل والضلوع وذلك من لحوم الابل وهى الاكلة المفضلة لدى الشعب الصومالى .

وجبة الفطور : تتكون عادة من خبز وشاى وزيت ولبن .

وجبة الغذاء : تتكون من الارز او المكرونة مع اللحم والباباظ والموز .

وجبة العشاء : تتكون من الارز او المكرونة او الخبز مع اللحم واللبن الحليب .

لقد لاحظت من الدراسة تغيير الاشياء المادية ايضا صعب مثل طبائع الناس ، ولقد سبق ان ذكرت ان تغيير الاشياء المادية يمكن ان يتغير بين يوم وليلة بان نشترى غيرها ونرمى العتيق ولكنه وجد ان المهم ليس هو تبديلها ولكن التعود والاقتناع باستعمالها الى جانب انها مرتبطة بعادات وتقاليد معينة يصعب تغييرها . فقد ظهر من الدراسة ان المسكن فى البوادى كما هو لم يتغير منذ الاف السنين وكذلك البيت والادوات والاوانى التى تستخدم والملبس وادوات الزينة والاسلحة .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٢٩٢ .

الاســــــرة :

الـــــزواج (١) :

نتيجة لقسوة الحياة في البادية يستمد ابناؤها لذلك بنـــاء قوام الاسرة ويقوم بتنظيم عملية البناء هذه كل من عشيرتى الفتى والفتاة • ويخضع الزواج فى البوادى لعدة عادات وتقاليد منها ان الابن الاصغر لا يصح ان يسبق اخاه الاكبر فى الزواج وكذلك البنت واختيار الفتـــاة المناسبة عن ثلاث طرق :

١ ــ ان تختار ام العريس خطيبة ابنها •

٢ ــ ان يختار الشاب بنفسه من يريدها زوجة له • ولكن يجـــب ان توافق الاسرة على ذلك •

٣ ــ هروب الشاب والفتاة بعد حب بينهما فيذهب بها الى اسرتـــه ويتزوجها (٢) •

وغالبا مايرضى شباب البادية بترك امر الزواج كلية لاولياء امورهم ويوضع فى الاعتبار مصلحة العشيرة اولا ثم مصلحة الفرد ثانيا • وهكـــذا تسلم الفتاة غالبا امر زواجها لوالديها او من هم فى منزلتهم بعد وفاتهما ولكن نظرا لما يتمتعون به من كرم وحسن الضيافة ينتقل الشباب من بيت الى اخر بسهولة • ويلتقون ببنات الاسر دون تحفظ شديد فيحـــدث تعارف والشباب فى سن الزواج ومن طرق هذا التعارف حلقات الرقص التى يلقى فيها الشعر او تدور بينهم الاحاديث ومن خلال هــــذا التعارف السليم يتقدم الشاب لاهل الفتاة فتقبله بفرح او ترفضه موضحة اسباب رفضها • اما اذا اختلف رأى الفتاة مع رأى والديها فانها غالبا ما تتنازل عن رأيها فتقبل الزواج على مسئوليتهم •

---

(١) عبد المنعم عبد الحيم • صوماليا : ص ٢٩٨ •

(٢) مقابلات شخصية •

المهـــر :

يتم الاتفاق على عدد معين من الابل والماشية يعطى لاســرة الفتاة بالنسبة للاختيار الاول والثانى ، ويتم تحديد موعد الفرح وتقـام الاحتفالات لمدة اسبوع وكل النفقات على العريس واسرته وفى الليلــة الاخيرة من هذا الاسبوع يسهر العروسان مع المحتفلين حتى مطلــع الفجر • ويكون الزواج من نفس العائلة الكبيرة ولكن من خارج الاســرة منعا للمشاكل ، ويتراوح سن الزواج مابين ١٥ ــ ٢٣ سنة وللمهـــر شكلان ، فى البادية يدفع ابل وماشية وفى المدينة نقدا • وكان المهــر يقدر قديما بحوالى مائة من الابل مع اعطاء والد العروس بندقية وحصانا ويقدم العريس لعروسه قبل الزواج ثوب يسمى (جبات) فاذا اخذتــه يفهم انها قبلت الزواج منه وغالبا مايتفق العروسان على الزواج اولا ثـم يتعرف العريس على الاهل بعد ذلك• ويتم الزفاف فى محل سكن اهــل العروس فتبقى مع اهلها الى ان يبنى لها بيت خاص• وفى خلال هـذه الفترة ترشدها امها بعض الارشادات وتسدى عليها بنصائحها ولا يستغرق بقاؤها مع امها عاما كاملا •

ويلاحظ ان هناك حرية فى الحركة بالنسبة للبنت والمــرأة الصومالية ، ومن هنا تنشأ علاقات حب واستلطاف بين الولد والبنت فى مرحلة مبكرة فى المدينة وفى البادية • اما المدينة فيدفع المهر نقدا بحوالــى ١٠٠٠ شلن صومالى [١] ، ويتفق على المهر مقدما وهناك مؤخــر صداق [٢] •

وتستعمل المرأة الحناء وهى تتفنن فى زخرفتها كما تستعمــل زيوت مستخرجة من النباتات لدهن الجسم • والاسرة الصومالية صغيرة نظرا لان اغلبهم يعمل بالرعى منذ زمن بعيد •

---

(١) الشلن = ١٢ قرش مصرى •

(٢) مقابلات شخصية •

الــــولادة (١) :

يعتبر المولود حدثا عائليا سعيدا فى حياة الاسرة وخاصــة لو كان ذكرا وقبل الاحتفال بالمولود الجديد يستدعى احد علمـــاء الدين لاختيار الاسم ويقرأ هو صفحات احدى الكتب فى حوزته بعد ان يعرف اليوم الذى ولد فيه الطفل ثم يختار بعض الاسماء من هذا الكتاب ويعرضها على الاسرة لتختار واحدا منها للمولود • وتحتل اســـماء الانبياء المكانة الاولى وتذبح ذبيحة يأكل منها الاقارب والمدعويين • وفى يوم الاربعين تضع الام سكين عادية تحت وسادة الطفل • وتربط فى يده اليمنى قطعة من القماش بداخلها بعض النباتات الطيبة •

وتنتشر عندهم ختان البنات وهو ختان فرعونى • ولكنه بـــدأ يقل وحل محله ختان السنة • وتقوم بهذه العملية متخصصات لذلك ويتم الختان عادة فى سن متأخرة ولكن قبل سن البلوغ • وتحافظ البنــت عموما على نفسها الى ان تتزوج وقد جرت العادة ان لا تقام احتفالات خاصة بمراسيم الختان • ولاتوجد اى فئة متخصصة من الناس تقوم بعملية الختان بالنسبة للاولاد وتترك هذه العملية لاى شخص تتوفر فيه الخبرة والممارسة • ويفرط الصوماليون فى الزواج والطلاق مما يؤدى الى تشرد عدد كبير من النساء والاطفال •

الطــــلاق :

نسبة الطلاق مرتفعة وتعدد الزوجات منتشر ويندر ان يقتصــر الرجل على زوجة واحدة •

الوفــــاة (٢) :

يستقبل نبأ وفاة الشخص بوجوم بالغ مؤثر من قبل الرجال والنساء

(١) عبد المنعم عبد الحليم • صوماليا ص ٣٠٣ •
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٧ •

وبعد الدفن تذبح فورا ذبيحة وفى اليوم الثالث كذلك . وبالنسبة للزوج الذى توفيت زوجته لا يحق له الزواج مرة ثانية الا بعد ابلاغ اهل زوجته المتوفاه بذلك ويتوقع منهم مايلى :

تقديم احدى شقيقات الزوجة المتوفاة او اقرب بنت لها فى نطاق الاسرة ليتزوجها . واذ لم يوجد فى الاسرة من تصلح للزواج فله حرية الاختيار من اى اسرة اخرى . اما اذا توفى الزوج فتربط زوجته قطعة من القماش الابيض على رأسها كرمز للحزن بعد ذلك يحق لها الزواج من اهل زوجها المتوفى اذا كانت محبوبتهم . اما اذا كانت مشاكسة وعنيدة فيترك لها حرية الزواج من الخارج (١) .

المـــرأة :

ان للمرأة الصومالية دور عظيم فى حياة الشعب الصومالى . ولو استعدنا تاريخ المـــرأة وحياتها فى البادية سنعرف مافى اعماقها من حب للحرية والاستقلال وميل الى مشاركة الرجل فى تدبير الامـــور والقيام بجميع الاعمال الممكنة . وهى شريك حقيقى وكفوء للرجل وخاصة فى المجتمع الرعوى . ونظرا لقسوة الحياة هناك فان الفرد ينشأ قويـــا معتمدا على نفسه ومتعاونا مع اقرانه . هذا وتتمتع المرأة الصومالية بمركز ومكانة محترمة فى جميع المناطق (فى المدينة وفى البادية) (٢) . فهى تحتل المكانة الاولى . وهى تلعب دورا كبيرا جدا فى المجتمع وعندما نريد التحدث عنها نبدأ بالاسرة . فهى فى اسرتها تقوم بكل الاعمال المنزلية والتربية والتنشئة الاجتماعية الى جانب عملها خارج المـــنزل . هذا ونجدها فى المدينة تتولى وظائف كبيرة فى المجتمـــع (٣) .

---

(١) مقابلات شخصية .

(٢) فى المدينة كما شاهدناها فى مقديشيو العاصمة وفى البادية كما لاحظناها فى الاماكن التى زرناها جنوب مقديشيو .

(٣) فقد قابلنا فى مقديشيو وكيلة وزارة الثقافة والتعليم العالـــى السيدة / فاطمة احمد سالم . ورئيسة اكاديمية البحث العلمـــى السيدة / ديقاء جامع ابراهيم .

ومن احتكاكنا بكثير من السيدات ، اما عن طريق المقابلات الرسمية او بطريق غير رسمى ، لمست فيها الجرأة والشجاعة والانطلاق فهى تقرر مصيرها بمفردها لقضاء حاجاتها وحاجات الاسرة . وهى تشترك فى جميع الاعمال حتى فى الحرب ويقال ان هناك امرأة تعمل قائد طائرة واخرى تعمل قاضى (١) .

وليس هناك حواجز بينها وبين الرجل فالتعليم مختلط فى جميع المراحل من الابتدائى الى الجامعة ، ولايوجد هناك مدارس خاصة بالبنات فقط . وتعلم الام ابنتها جميع اعمال البيت ، وعندما تتقن البنت هذه الاعمال (بناء البيت ، رعاية الحيوان ، اعمال الخياطة ، عمل شنط لحفظ ادوات البيت) تكون مطلوبة للزواج (٢) .

وتعتمد طبيعة حياتهم على التجوال فتتكون الاسرة فى الغالب من الرجل وزوجته واولاده وشخص او اثنين من كبار السن فى الاسرة ، ويتولى رب الاسرة الصغيرة امرها . وشيخ الاسرة هو اكبرها سنا وهو اعلى سلطة فيها وذلك لكبر سنه ورجاحة عقله وتجاربه الطويلة فى الحياة ومن اختصاصه فض المنازعات الداخلية بين افراد الاسرة واسداء النصح والتوجيه وعلى افراد الاسرة طاعته والانصياع لاوامره . يتضح من النظام

(١) مقابلات شخصية .
عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ، ص ٢٥ .

(٢) لقد نظمت لنا وكيلة وزارة الثقافة زيارة خاصة فى منزلها وكان عندها ثلاث سيدات صوماليات واحدة تعمل فى التجارة الخارجية (آمنة) والثانية تعمل رئيسة قسم اللغات العربية بكلية التربية (دهب) والثالثة رئيسة اتحاد العمال (آمنة) . وتطرق الحديث الى موضوعات شتى . ومما لفت نظرى الذوق المتناسق فى الملبس وخفة الروح والمسئولية الكاملة فى البيت . وعن تعدد الزوجات وجد ان هناك تعدد زوجات ، ولكن لكل واحدة منزل بمفردها والطلاق ايضا موجود .

الاسرى فى معظم المجتمعات البدوية ان البنت تحجز وتحجب من سن العاشرة وتبدأ فى ممارسة اعمالها المنزلية تحت اشراف ورعاية امهـــا ولاتظهر بعد هذه السن فى مكان به رجال . اما فى الصومال فالامــر غير ذلك حيث ان الاسر مفتوحة ولاتحجب المرأة عن الرجال ، فنجــد ان فرص التعارف بين الشباب كبيرة ويسهل الاختيار ولكن لابد مــن موافقة اسرة الفتى والفتاة على هذا الاختيار الا فى حالات نادرة كما هو الحال فى معظم المجتمعات حيث تشذ بعض الحالات عن هــذه القواعد التى يقرها المجتمع واحتمال تفتح الاسرة وعدم تحجب المــرأة امام الرجال ربما يكون راجعا الى التأثير الاوروبى بين هذا الشعــب مع المحافظة على عاداتهم فى المهر حيث انه كان وما زال من الماشــية وخاصة الابل ، ومن هنا كان للابل مكانة خاصة لديهم لانها تدفــع مهورا . فتكوين الاسرة يعتمد كثيرا على وجودها حتى ان صاحبهـــا يشعر انه اعلى مرتبة عن الاخرين . هذا ووجود البنت بين اهلها بعد الزفاف لفترة تقرب من العام يؤكد ان نظامهم لعهد قريب كان نظامـــا اميا Materiarchal-System ، اى النظام الذى كانت السلطة فيه فى يد الام ، ومما يؤكد ذلك ما للمرأة الصومالية مكانة فــى المجتمع ، وكذلك دورها بالنسبة للتربية والتنشئة الاجتماعية ، فكانت هى التى تقوم بالعبء الاكبر فى هذا المجال قبل انشاء المــدارس وما زالـــت .

وعندما اتيحت الفرصة لتعليمها واصلت هذا الكفاح وتفوقـــت ووصلت الى اعلى المراكز فى بلدها بجدارة ولكن دخول الاسلام اثــر من ناحية سيطرة الاب حيث اصبحت السلطة فى يده والنظام ابويـــا Patriarchal-System وبقيت رواسب القانون الاول فى هذه الصورة التى وجدناها .

ونجد تأثير الدين فى الاسرة كبير لدرجة انه لايمكن تسميـــة المولود الا بعد استشارة رجل الدين حيث يقوم ببعض الطقـــوس والممارسات لاختيار الاسم . وهناك التزمات اسرية فى حالات الوفـــاة ،

فعلى الاسرة التى توفيت ابنتها المتزوجة ان تبحث عن اخرى للزوج وهو يلتزم بذلك ولايقبل الزواج من الخارج الا بعد استشارة اهل الزوجة المتوفاة وعدم وجود من تصلح للزواج .

وكذلك بالنسبة للزوج المتوفى فانه يحق لزوجته الزواج من بين اهله اذا كانت مرغوبة لديهم .

التعـــليم :

الاسرة والتربية العلمية والنظرية :

لاتوجد فى البوادى الى وقت قريب مراكز للتعليم ، ويقوم كل من الاب والام بدور هذه المراكز وتكتفى الام بتدريب النشىء وعن طريقها يعرف الطفل القبيلة والعشيرة التى ينتمى اليها .

ويتعلم الاولاد فنون القتال والقنص والاعمال اليدوية الخاصة بالرجال وطرق معالجة المواشى والابل وكيفية بناء الحظائر والمساكن ، وتتعلم البنات الاعمال اليدوية الخاصة بالنساء واساليب الطبخ والغسل والحياكة والتطريز . ولقد كان التعليم عموما فى الكتاب حيث يتعلم الاولاد والبنات القرآن ومازال لليوم فى المناطق النائية عن المدن وفى مناطق اللاجئين حيث يدرس الاولاد والبنات معا القرآن الى ان يبلغوا الثانية عشرة ، بعدها يفصل الاولاد عن البنات وتبقى البنت فى البيت لتتعلم اعمال المنزل[1] . وكان التعليم ومازال دينيا ، حيث يلعب المسجد دور كبير كما كان الازهر وكذلك علوم اللغة العربية .

ولقد تطور التعليم حاليا الى ان انشئت الجامعة الوطنية بمقديشيو عام ١٩٥٥م كمدرسة عليا بعد الثانوية وفى عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ تحولت المدرسة الى معهد علمى جامعى ، وفى اواخر عام

---

(١) مقابلات شخصية .

١٩٧٠ تحول المعهد الجامعى الى الجامعة الوطنية وتوالى انشاء الكليات المختلفة بالجامعة [١] .

الصحـــة :

الصحة العامة والعناية الطبية :

لقد تم وضع السياسة الصحية للصومال طبقا للمعايير الاساسية التى رسمتها منظمة الصحة العالمية التابعة للامم المتحدة . هناك مستشفيات حديثة متعددة الانواع فى مراكز النواحى والاقاليم . ومن الخطوات الاولى التى اتخذتها الحكومة فى هذا المجال الغاء الرسوم عن التشخيص الطبى وغيره من الفحوص الطبية . وكذلك الغيت الرسوم عن التحاليل المختبرية والاشعات والاستشفاء . هذا النظام يضمن الرعاية الطبية للجميع سواء كانوا أو لم يكونوا قادرين على دفع ثمنها .

الفنــون الشــعبية :

الرقص والاغــانى :

الرقص الشعــبى :

عبارة عن حركات منظمة بسيطة ولايستخدم فيه اى اله موسيقية عدا التصفيق الجماعى المنظم المصحوب بالاغانى الجماعية . ويلعب الرجال والنساء معا هذا الرقص بعد ان ينظموا انفسهم على شكل دائرة كبيرة [٢] .

---

(١) صوماليا اليوم ٢٨٢ ، ومقابلات شخصية مع المسئولين .

(٢) الثقافة والفنون الشعبية فى الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ ، طبع فى انجلترا باسم وزارة الاعلام والارشاد القومى ص ٥٨ .

الطـــبل :

والطبل الافريقي هو الالة الموسيقية الوحيد ة المعروفة بالبوادى وتستعمل في نطاق ضيق ، ويستخدم الطبل فئة معينة من الناس بعد استدعائهم في مناسبات الزواج والافراح ، اما البق ويصنع من الخشب فيستخدمة الجميع غالبا لاغراض النداء ، والرقص الشعبي يعبر عن الفرح والترفيه ولا يمارس لاغراض الطقوس الدينية او الشفاء من الامراض او ما شبه ذلـــك .

الشـــعر :

تحتل الفنون الشعبية مكانة بارزة في المجتمع القبلي الصومالي ، وهو شعر وجداني وان كان لا يخلو من شعر الحكمة وينظم حسب قواعد خاصة وللشاعر تقدير خاص في المجتمع الصومالي ولا يمل البدو من سماع الشعر . ويمتاز الشعر النسائي بالعذوبة والرقة والتعبير الانسانـــي الصادق الا انه ينحصر في الرثاء والشكوى من الزمن ولكنه يفوق الشعر الرجالي من ناحية صدقه في العاطفة لان الرجال يفضلون شعر الواقع والحرب والحكم . ومشكلة الشعر انه غيرمكتوب ، فاللغة الصومالية لاتكتب وبناء على ذلك فان كثيرا من التراث القديم يتوارى مع موت حامليــــه . الا ان البوادى غنية بالشعر والشعراء .

النحـــت :

تشتهر البوادى بالنحت على الخشب ويقوم به الرجال ويصنعون تماثيل للحيوانات وتزيين الملاعق والامشاط ومقابض السكاكين بخطـــوط هندسية متناسقة .

هذا ويمكن ان يعتبر الصومال احد الشعوب الافريقية الـــتي تمكنت رغم كل ضروب التأثيرات الاجنبية ان تحافظ على نقاء ثقافتهـــا القومية . فما زالت لغتهم وآدابهم ورقصاتهم الشعبية وما اليها نقيـــة

الطابع الافريقى الى اليوم كما كان العهد بها دائما على مر الاجيال — وربما كانت الرقصات الشعبية الصومالية بالاضافة الى مايرتبط بها من فنون الغناء والموسيقى هى المجال الذى حوفظ فيه على نقاء الثقافة القومية القديمة محافظة كاملة • ولايوجد الا القليل النادر من الالات الموسيقية بين الجماعات الصومالية الرحل • فيبدو ان التصفيق بالايدى • والدق بالاقدام قد حلا تماما محل وظائف الالات الموسيقية فى اداء الرقصات الشعبية • هذا ويوجد فى الصومال ثروة عظيمة من الفلكلور والتقاليد الثقافية القديمة على شكل ادب محلى واغنيات واشعار وحكايات وفن وفكر وامثال وحرف يدوية وآثار موروثة من جيل الى جيل • ومن اعمالهم الفنية المشهورة :

الفخـــار[1] :

يشتهر الصومال فى افريقيا بجمال فخاره وكذلك اعمال الخشب والعاج فالحرفيون الصوماليون مهرة فى صنع نقوش فى الخشب والعاج • وايضا حياكة النسيج : تؤدى حياكة النسيج باليد الى تصاميم فريدة وجميلة وتحترم النساء لمهارتهن العريقة فى تصميم السلال وصنعها • ويزدهر الفن المسرحى والرقص فى المسرح الوطنى الذى له فروع فى مقديشيو وهرجيسة •

ان الشعوب التى تعيش فى تأمل دائم للطبيعة تشتهر بفنها التلقائى البديع فالطبيعة هى الوعاء الذى ينهل منه الفنان افكاره ومهاراته • وقد لمسنا هذا فى مجتمعات الصيد والقنص الافريقية فلقد وجد لدى البشمن فن النحت الجميل وقد اوحت الطبيعة بهذا الفن نظرا لانهم يعيشون فى كهوف •

اما فى البوادى فيعيش الانسان فى الخلاء وبالمواد المتوفرة لديه فاشتهر بالنحت على الخشب وكذلك تصنيع الجلود •ولم يستطع

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٣١٧ •

المستعمر ان يوثر على هذا النمط من السلوك الفنى لانعنابع من الطبيعة ومرتبط بها وهي جزء لايتجزأ من حياة الشعوب ولايستخدم الصوماليون فى رقصاتهم الات موسيقية سوى الطبل ، وبدلا من الالات فانهم يستعينون بالتصفيق بالايدى والدق بالاقدام . ويمثل الفن المسرحى ، كما شاهدناه فى مقديشيو ، الحياة الطبيعية للبدو حيث انهم يمثلون حياة الاسرة بكاملها ووظائفها والاوانى التى تستخدم من فخار وخشب ولحاء الاشجار .

الديـــن (١) :

يعتنق معظم السكان الدين الاسلامى وهو سنيون . وتوجد نسبة ضئيلة من المسيحيةوتتألف هذه النسبة من اليتامى الذين نشأوا فى الكنائس منذ الصغر ومن اللقطاء ممن جاءوا من علاقات غير شرعية بين الايطاليين والصوماليات . ولقد دخل الدين الاسلامى الصومال منذ القرن الاول الهجرى فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) .

وتنتشر لديهم طريقتان : القادرية نسبة الى الشيخ عبدالقادر الجيلانى (ويوجد قبره فى بغداد بالعراق) والادريسية المعروفة فى الصومال باسم الاحمدية نسبة الى السيد احمد بن ادريس المدفون فى اليمن . وتنعكس تعاليم الاسلام على كل المظاهر والسلوك ، فنجدهم فى البوادى يحتفلون بالاعياد الدينية احتفالا كبيرا وخاصة بعيد الاضحى ، عيد الفطر ، المولد النبوى ، رأس السنة الهجرية (٢) وتذبح الذبائح بلاحساب ، ويلبس الناس اغلى ماعندهم من الثبات ، وتزين الاكواخ بالاغصان الخضراء وتعتبر الاعياد الدينية على اختلافها من اسعد الايام بالبوادى .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٣١٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٣١٠ .

زيـــارة الاوليـــاء :

اعتاد اهل البوادى وكذلك اهل المدن على زيارة الاوليـــاء والمواظبة على اقامة الاحتفالات التى تليق بهم • وتنقسم الزيارات الـى المجموعات التالية :

١ ـ المجموعة الاولى :

تعمل هذه الزيارات للعلماء العرب الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى الصومال ودفنوا بها وكذلك لغـــير المدفونين بها مثل الشيخ "عبد القادر الجيلانى" المدفـون ببغداد •

٢ ـ المجموعة الثانية :

تقام لبعض اجداد القبائل الصومالية •

٣ ـ المجموعة الثالثة :

عبارة عن زيارات لبعض اجداد من مجموعات العشائـر التى تجمعها بطن واحدة وبعض اجداد البطون المنبثقة مـن تلك العشائر •

مظاهر الاحتفـــال :

فى اليوم المخصص للزيارة يذبح القائمون بالاحتفال على مقربـة من مرقد الولى ذبيحة ويغطى قبره بكسوة جديدة من الحرير الملـــون والمنقوش عليها آيات قرآنية كريمة واسماء الله الحسنى واسم الرسول صلـى الله عليه وسلم • وترفع الاعلام الملونة فوق المقام وعلى الاشجار القريبـــة وتتصاعد روائح البخور والعطور فى كل مكان •

وبعد ان يطوف الشخص حول قبر الولي وقراءة الفاتحة يخرج وينضم الى احدى حلقات الذكر المنتشرة تحت ظلال الاشجار . و اذا حان وقت الصلاة قام الجميع بما فيهم النساء لاداء الصلاة . ويبدأ الاستعداد للانسحاب فى المساء بعد ان تكون هذه الزيارة قد تركت فى نفوسهم الكثير من الانفعالات الدينية العميقة . يتضح مما تقدم ان الغالبية العظمى تدين بالاسلام الا اقلية قليلة لها ظروف خاصة تحت تأثير الاستعمار ورواسبه من علاقات غير شرعية . ومن مظاهر الاسلام المساجد الواسعة الانتشار ودورها الفعال فى التربية الدينية وفى تحفيظ القرآن فى اعماق البوادى وغيرها وانتشار الطرق والمذاهب الاسلامية وزيارة الاولياء وغيرها من المعتقدات .

التنمية والنهوض بالبلاد لمسايرة التطور العصرى :

يتركز سكان الصومال فى الاراضى الريفية حيث يعتمد بناؤها الاقتصادى غالبا على الماشية والزراعة وهناك اعداد كبيرة من الشعب لم تمارس الحرف التكنولوجية الاخرى . ومايهمنا فى التنمية هو ماذا فعلت الحكومة لقطاع الماشية والزراعة ؟ لقد وضعت الحكومة الخطط الطويلة الاجل والقصيرة لتحسين السلالات والحصول على نوعيات اجود من الماشية . فهناك التجارب التى تقوم بتربية (الاباعد Cross Breeding) من الماشية لتحسين امكانيات اللحم واللبن . ومن ضمن هذه الخطة امداد الرعاة بنتائج هذه التجارب مع استمرار البرنامج المكثف للانتاج الحيوانى وتحقيق نظام التسويق واستكشاف طرق ووسائل لتصدير المواشى ومنتجاتها [1] . وللقضاء على امراض الحيوانات انشئت وزارة الثروة الحيوانية والاحراج والمراعى وادركت هذه ادراكا تاما ان الثروة الحيوانية هى الشريان فى حياة البلاد الاقتصادية فهى تسعى الى المحافظة على اعلى المستويات الصحية بالتخطيط الواعى . وهذه الوزارة هى المسئولة عن استيراد العقاقير

---

1. UNCTD NATIONAL PAPER, 1979, Somalia p. 2.

البيطرية اللازمة وتوزيعها • كما انشأت الحكومة كليات بيطرية لتخريج الاطباء البيطريين ذوى الكفاءة العالية •

هذا وتعطى الادوية والعقاقير بصورة دائمة لاصحاب المواشى مجانا • ولقد ساهمت كل هذه الاجراءات فى تحسين الصحة الحيوانية وفى القضاء على طاعون الماشية الذى كان يسبب هلاك المواشى بنسبة عالية فى الماضى وقد حافظت الوزارة ايضا على مستوى عال من الوقاية من امراض الحيوانات وعلى الاخص التلقيح الاجبارى • وتتضمن هذه الخطة تجهيز فرق متنقلة فى المناطق الخالية من الامراض لاجراء الفحوص على نوعية الحيوانات • وهناك حملات لمكافحة طاعون البقر ومراكز لمعالجة الطفيليات • وقد انشئت مزارع عديدة لتربية المواشى •

هذا ويرتكز الامل الاكبر فى تقدم الصومال اقتصاديا على التنمية الزراعية ولذلك فان القطاع الزراعى نال النصيب الاكبر من مجموع اعتمادات خطة التنمية • ومما يسترعى الانتباه فى البلاد ٨ر١٥٠٠٠٠ هكتار من الاراضى الصالحة للزراعة بالرى ومياه الامطار • فى حين ان الصومال يستورد المواد الغذائية التى يمكن انتاجها محليا وينفق فى شراء هذه المواد الغذائية مبالغ كبيرة من النقد الاجنبى الذى يحصل عليه من قطاع الثروة الحيوانية • واذا اعطيت الزراعة الاهمية التى تستحقها فمن المؤكد ان يتوصل الصومال الى الاكتفاء الذاتى فى حقل المواد الغذائية • وتهدف سياسة الحكومة كذلك فى هذا الشأن الى ايجاد اساليب حديثة يمكن بها زيادة الانتاج الزراعى وتدريب المزارعين على الاساليب العلمية الحديثة فى الزراعة كما تهدف ايضا الى استبدال " البامبو " او الفأس التقليدية المستعملة فى فلاحة الارض فى جنوبى البلاد بالمحاريث التى تجرها الحيوانات او بالمحاريث الالية • ولحماية المحاصيل الزراعية من الحشرات انشئت مصلحة النباتات ومكافحة الافات الزراعية وهى المسئولة عن حمايتها من الامراض والطيور وخاصة الامراض المعدية التى يحتمل جلبها من البلدان الاخرى عن طريق النباتات الناقلة لعدوى تلك الامراض • اما موارد المياه فان

الحكومة قد بدأت فى تنمية الموارد المائية ومدها لكل من المراكز الحضرية والمناطق الريفية فى البلاد بعد ان انشأت وكالة المياة الوطنية ، وعلى هذا لايحق لاى شخص كان ان يحفر بئرا عميقا فى اى مكان فى البلاد دون ان تكون فى حوزته رخصة من الوكالة (وكالة تنمية مصادر المياه) • غير ان هذا لايحظر حفر آبار ضحلة فى بادية البلاد بقصد استعمال مائها للاغراض المنزلية او الرعوية كمايريدون • والهدف من وراء ذلك هو تنظيم احتياجات السكان الرحل من الماء مع احتياجاتهم للمراعى الصالحة فى نفس الوقت ، وذلك تفاديا للاوضاع الخطيرة التى نجمت فى الماضى عن بناء البرك فى اماكن معينة من منطقة (هاود) مثلا والتى ادت الى تجمع المواشى فى بعض الاماكن اثناء فصل الجفاف ـ الشتاء ـ وبالتالى تدهور المراعى او تلاشيها تماما مما ادى بدوره الى تعرض مناطق رعوية شاسعة لعوامل انجراف التربة او التعرية • وقد كان ذلك احد الاسباب الرئيسية التى جعلت فترة الجفاف الطويلة فى عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ والتى لاتزال البلاد تعانى من آثارها السيئة حتى الان اكثر خطورة ووقعا على السكان الرحل ، مربو الماشية والذين يعتمد على وجودهم اقتصاد البلاد اعتمادا يكاد يكون كليا وخاصة فى الحصول على النقد الاجنبى اللازم لتنميتها وتطورها • ومن الجوانب الهامة ايضا فى التنمية تحسين مستوى الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة وانتاج السلع التى تسد حاجة السوق المحلية لتثبيت دعائم الصناعة المحلية ، والاهتمام بالصناعة التى تجد فى داخل البلاد ذاتها معظم المواد الاولية اللازمة لها والتى يمكن ان تباع باسعار مناسبة لمستوى الداخل •

ومن الصناعات التى تتوفر فيها هذه المواصفات :

١ ـ غزل ونسج القطن ، وصناعة النسيج على الانوال اليدوية •
٢ ـ غزل ونسج الصوف •
٣ ـ دبغ الجلود •
٤ ـ صنع الاحذية •

ويدخل فى ذلك حفظ الفاكهة وتعبئتها واللحوم المحفوظة وخاصة بعد العناية بتربية الانواع المحسنة من الماشية والاغنام التى تمتاز بكثرة اللحم وعمل منتجات الالبان •

دور المرأة فى التنمية الاقتصادية :

انها تشترك حاليا فى جميع المجالات والاعمال وهى تتسم بالمسئولية فهى جادة ومنظمة بشكل يسمح لها باداء واجباتها فى البيت والعمل • وهى اليوم مفتاح النشاط الاجتماعى فى الحى حيث عرف عنها دقة التنظيم والجرأة فى تنفيذ البرامج • وليس هناك عائق مايقف امام المرأة فى المشاركة فى مختلف نشاطات الحى الذى تسكن فيه وتشمل هذه النشاطات مجالات التعليم والعمل والصحة والرياضة والفنون •• •• •• الخ •

ومن اعمالها فى داخل الحى بناء المستوصفات وروضات الاطفال وتشييد المدارس والطرق والاشراف على جمع التبرعات كما تتناوب حراسة الامن ليلا بالمشاركة مع زميلها الرجل •

ولقد بذلت الحكومة جهدا كبيرا لاعطاء النساء حقهن فى التعليم والتحرر الاجتماعى • ولم تلبث المرأة بعد استعادة هذا الحق • ان اظهرت قدرتها وكفائتها وضرورة وجودها فى الحياة الوطنية • وقد ساهمت المرأة الصومالية مساهمة فعالة فى مختلف الحملات التى اطلقتها حكومة الثورة فى البلاد فاثبتت انها قوة منظمة واعية تدرك تطلعاتها الوطنية فى هذه المرحلة الانتقالية •

واثبتت حكومة الثورة ان المرأة تقف على قدم المساواة مع سائر اعضاء المجتمع فى مهمة تعمير البلاد لانها هى الام والبانية والطليعة فى العائلة التى ينبثق منها المجتمع كله • ومنذ قيام الثورة اتيح للمرأة الصومالية ان تثبت انها تستطيع المساهمة كالرجل فى النشاطات العديدة التى يتطلبها تعمير البلاد • ولقد لعبت المرأة دورا مهما فى كفاح الاستقلال الوطنى •

وتتمتع المرأة الصومالية باحترام ادبى كبير فى المجتمع • وكان من نتائج نضالها واشتراكها بفاعلية فى بناء صرح المجتمع الجديد :

(أ) اعلان مجلس الثورة والسكرتيرين عن مساواة المرأة بالرجل •
(ب) صدور اول قانون للاحوال الشخصية محققا لقرار المساواة

عام ١٩٧٥ الذى ينص على مساواة المرأة والرجل الكاملة فى الحقوق والواجبات وذلك تحقيقا لما جاء فى ميثاق الثورة • وفى منع تعدد الزوجات تقول المادة الثانية عشر " لايجوز الزواج بامرأة ثانية دون تصريح كتابى بذلك من محكمة الناحية المختصة • ولاتصدر المحكمة مثل هذا التصريح مالم تتحقق من توفر احد الشروط التالية :

١ _ ثبوت عقم الزوجة باقرار لجنة الاطباء المتخصصين بشرط عدم علم الزوج بهذا العقم قبل الزواج •

٢ _ وجود شهادة طبية بان الزوجة مريضة بمرض مزمن او معد لايمكن البرء منه •

٣ _ صدور الحكم بالسجن على الزوجة لمدة تزيد على سنتين •

٤ _ تغيب الزوجة بلاسبب معقول عن بيت الزوجية لمدة تزيد على سنة •

٥ _ ما تمليه الظروف •

اما المادة الثامنة والعشرين فتتحدث عن نفقات الزواج اذ تقول :

" يساهم كل من الزوج والزوجة فى نفقات ومتطلبات الزوجية حسب الامكانيات المالية لكل منهما • كما تعزز المادة التاسعة والعشرين ذلك بالنص (١ _ اثاث المنزل ملك مشترك للزوج والزوجة • ٢ _ وفى حالة ابطال العقد تقسم هذه الملكية بالتساوى بين الزوجين) وجاء موضوع الطلاق فى عدة مواد ابتداء من المادة (٣٨) وبالرغم من وضع

قدرة الطلاق في يد الزوج الا ان القانون يحرص على عدم حدوث الطلاق الا بسبب مقنع ، اوجب على الزوج استصدار امر الطلاق من المحكمة والتى بالتالى تعتمد على محضر تكتبه لجنة مصالحة بعد ان تكون قد فشلت في اقناع الزوجين ببقاء صرح الاسرة الذى تحرص الثورة على ابقائه قويا سليما . وفي مجال التعليم نجد انه قد حدث تغيير جذري سواء من حيث توسيعه او تحديث مناهجه على خطط العصر الجديد ، وتنهج البلاد طريق التقدم الاقتصادي الحقيقي . مما تقدم يتضح ان الحكومة قد اولت قطاع الثروة الحيوانية والزراعة اهتماما كبيرا وذلك بنشر الوعي باساليب تربية الانواع المحسنة من الحيوانات وكذلك الزراعة الحديثة ومقاومة الامراض والافات وتحصين الحيوانات ضد الامراض الوبائية مجانا وقد وضعت الدولة كذلك ضمن خطتها تنمية الموارد المائية ومدها لكل من المناطق الحضرية والريفية في البلاد لتوفير المياه الصالحة للشرب للمواطنين .

خاتمة :

ان طبيعة الارض وكمية الامطار الساقطة عليها بالاضافة الى توزيعها زمانا ومكانا تحدد الطرق والاساليب التى يستطيع بها المرء الاستفادة من بيئته وثرواته الحيوانية والزراعية . وتشكل المواشى اكثر الموارد الطبيعية اهمية للصومال في الوقت الحاضر ، ويشتهر الصوماليون الرحل في افريقيا باسرها بخبرتهم العظيمة في تربية المواشى . وكان للرخاء والقحط تأثير كبير على حياة المجتمع القبلى الصومالى ، في ايام الرخاء تقل الرحلات الاستطلاعية ويعم الاستقرار . وكتعبير بقدوم الرخاء تعم الفرحة بين الجميع وترقص الرقصات الشعبية في كل مكان الى وقت متأخر من الليل وتكثر زيارات المجاملة بين الاهل والاقارب كما تزداد نسبة الزواج والافراح . ويقل استعمال المواد النشوية مثل الارز والذرة والقمح بسبب وفرة الحليب ، ويطوف علماء الدين المتجولين وتلاميذهم في ارجاء البوادى للوعظ والنصح واقامة الحفلات التقليدية .

هذه الصورة المشرقة تختفى بزوال ايام النهار السعيدة والتدريج تبلغ مأساة ابناء البوادى ذروتها فى ايام الجفاف والقحط فى بعض المناطق المتفرقة حيث ينتقلون من مكان لاخر ويرفعون ايديهم للسماء ويصلون صلاة الاستسقاء وكلما تأخر هطول الامطار ازداد خوفهم لان الكثير من ماشيتهم وحيواناتهم تموت . وبعد هطول اول قطرة من المطر على الارض تدب الفرحة فى قلوبهم . وحياة البداوة عموما تشكل عقبة فى سبيل زيادة الثروة الحيوانية التى تعانى كثيرا من القحط وشح المياه وقلة المراعى واساليب التربية العلمية والتصدير الواسع النطاق الى الاسواق الخارجية .

وقد كان من الصعب وضع هذه الناحية فى اطار علمى لان معظم القائمين بتربية الماشية هم من البدو الرحل المتنقلين من مكان لاخر . الا ان هذا لايعنى ان موضوع تربية المواشى قد اهمل .

اما مساهمة الدولة فى هذا القطاع فقد كانت متدرجة بالقليل من التغييرات الاساسية والنتيجة ان نمو هذا القطاع وبروزه لا يزال ان فى ايدى البدو الرحل . وغنى عن البيان ان التنمية اللازمة لقطاع الثروة الحيوانية تقتضى توطين البدو فالبداوة والتخطيط العلمى لايمكن ان يجتمعان ومن الواضح علاوة على ذلك ان لحياة البداوة مساوئ خطيرة يجب القضاء عليها .

تحسين المراعى :

من بين الاسباب الكثيرة التى ادت الى تدهور المراعى فى الصومال الرعى المتواصل المكثف والزيادة الكبيرة فى اعداد المواشى بالاضافة الى التدمير الذى يقوم به الرعاة للمراعى بدون اعطاء فرصة كافية او راحة لنمو الاعشاب والشجيرات حتى تستطيع النباتات القاء بذورها على الارض او من استرداد حيويتها بعد الرعى المتواصل .

ومن اجل تغذية القطعان فهناك الاراضى التى لها الاولوية

فى المستقبل والتى تحتاج الى استخدام العلم والتكنولوجيا •

اولا : لابد من تكوين وتدعيم التعاونيات الرعوية وخلق مراعى احتياطية لتأمين عدم حدوث المجاعات •

ثانيا : الاهتمام المستمر بالاساليب الوقائية والعلاجية للامراض الشائعة كالافات والامراض الطفيلية •

ثالثا : الاهتمام بمشاريع الانتاج الحيوانى مثل انتاج اللبن وانتاج اللحم وتنمية الثروة الداجنة • ولابد ان تعطى لهذه المشروعات الثقل الاكبر فى الاعتمادات المالية والقوى البشرية •

رابعا : تطوير كل من التسهيلات التسويقية (المحلية والخارجية) فهى تستحق الانتباه الدائم •

وطالما امكن التحكم فى الامراض تتحسن المراعى وتتحسن انتاجية السلالات عالية انتاج اللبن واللحم ، لابد أن يقابل هذه الزيادة توسعا فى التسهيلات التسويقية • ويجب ان نعلم ان قطاع الثروة الحيوانية هو اهم نشاط اقتصادى فى البلاد ، فهو مصدر العيش لنحو ٧٠ ٪ من السكان • هذا القطاع ينتج ٧٠ ٪ من العملات الاجنبية ويقع كلية تحت ادارة الصوماليين واشرافهم • ويعتبر الان ان ٥٥ ٪ من الاراضى صالحة للرعى ، غير فترات الجفاف المتكررة التى ترغم البدو الى التنقل الدائم بحثا عن الماء والمراعى •

وقد ادركت حكومة الثورة ادراكا تاما المقام الهام الذى تحتله الثروة الحيوانية فى حياة البلاد الاقتصادية فاولتها الافضلية الاولى فى جميع برامج التنمية ، وهذا يتطلب رفع مستوى حرفة الرعى بتوفير العلف على مدار السنة ، وادخال سلالات جديدة •

ويرتكز الامل الاكبر فى تقدم الصومال اقتصاديا على التنمية الزراعية ، ولذلك فان القطاع الزراعى قد نال النصيب الاوفر من

مجموع اعتمادات خطة التنمية .

والاساليب الزراعية المستعملة حاليا قديمة ومتخلفة وخاصة بالنسبة لفلاحة الارض وتجهيزها لزراعة التقاوى واستعمال الاسمدة والتحكم فى امراض النباتات والافات الزراعية ، وتسبب هذه الاساليب العتيقة خسائر كبيرة فى المحصولات الزراعية .

ومشروعات التنمية الزراعية تتطلب " توسيع الرقعة الزراعية ، استخدام الات حديثة ، زراعة المحاصيل النقدية للتصدير " .

وايضا القيام بالدراسات اللازمة للكشف عن الثروة المعدنية والتنقيب عن البترول .

٣ — الزراع البدائيون فى الغابات الافريقيــة اليوربا والبطوكســى*

—

ان كل الشعوب التى تعيش فى الغابات الاستوائية الافريقيــة والتى تحتل حوض الكنغو واراضى ساحل غينيا يمارسون الزراعة ، وهــم يعتمدون اساسا على المحاصيل الزراعية وليس على الالتقاط والجمع مــن الغابات والتى تمثل نسبة بسيطة فى غذائهم وهم يزرعون المحاصيــل الدرنية ولكن تكثر زراعة الحبوب والموز ، وتقوم معظم الزراعة على اكتاف النساء ومع ذلك نجد ان الرجال زراع مهرة .

وتعتبر اليوربا اكبر قبيلة بدائية تمارس الزراعة اليدوية فى هذه المنطقة وقد حققوا الكثير من بين زنوج الغابات الافريقية . وهم يحتلون الجزء الاكبر من جنوب غرب نيجيريا وتقدر اراضيهم بحوالى اربعــــين الف ميل مربع تمتد من ساحل غينيا غرب دلتا النيجر الى عدة اميال فى النيجر الاوسط .

ويعتبر شعب اليوربا بصفة عامة زنوج غرب افريقيا الاصليين وهم يتميزون بطول الارجل والبنيان العضلى القوى ولونهم المميز هو البنى المائل الى الشيكولاته والشعر المفلفل الذى يقصونه باستمرار والجبهه ضيقة وعالية وبارزة والانف مفلطح وفتحاته واسعة جدا وسميكة ، ولهــم شفاه مقلوبة ، والذقن ضيق ومتراجع ولكن نجد مع ذلك بعض الافــراد ذوى البنيان الهزيل والملامح الدقيقة وتحيط مدنهم وقراهم المناطق التى نظفت من الغابات .

وتبنى المساكن على شكل مستطيل وذات اسطح جملونية [1] .

---

* مقالة للدكتورة سعاد شعبان ، معهد الدراسات الافريقية .

(١) الجملون : الجزء الاعلى من سطح المنزل على شكل مثلث اى يتكون من جدارين بسطحين منحدرين .

وارتفاع الجدران من ٤ الى ٨ اقدام وهى تبنى من الطين ومكونه من عدة طبقات متتالية ترص كل منها وهى مبتلة ثم تترك لتجف بواسطة اشعة الشمس بعد ذلك تضاف الطبقة الثانية وهكذا ويتكون السقف من القش واوراق الشجر ويدعم بواسطة عواميد طويلة وتمتد جافة هذا السقف بعيدا عن الحائط ليغطى الشرفة الواسعة الممتدة امامه ، ويستعمل اليوروبا الحشائش والقش فى بناء الاسطح ويبنوا حواف معلقة فرندات حتى تحمى الجدران من التهشم والتفكك فى وقت المطر .

وتبنى منازل العائلات التى تربطها صلة قرابة عادة فى مجموعات متتالية قد تتكون من اربع منازل او اكثر على شكل مربع ويكون لها مدخل واحد فقط . وبداخل المنزل توجد مصطبات واسرة من الطين وتغطى بالجلد وتعلق على الجدران الاوانى والاسلحة اما الاوانى التى يخزن فيها الطعام فتعلق فى السقف وهم لايعملون فى المنزل فتحة فوق موضع اشتعال النار ويتركون ماء المطر الذى ينساب من فوق الاسطح المائلة للمنزل يتجمع فى الاماكن المحيطة بكل تجمع سكنى ثم يخزنونه فى آنيه فخارية كبيرة حيث يستعمل بعد ذلك فى الاغراض المنزلية ويبنى فى كل تجمع فناء خاص محاط بسور مدهون بالزيت ويكون شديد الانحدار لكى تتجمع فيه المياه .

وتحاط كل القرى والمدن الكبيرة بسور وخندق خارجى ويكون ذلك على بعد مسافة من المجموعات السكنية ، ويوجد خلفهم غالبا نطاق من الغابات وهى تقلل من خطر هجوم الغزاة المفاجى للقرية وقت الحرب ، وهى مزودة ببوابات خشبية ضخمة فى نقط يمكن الوصول اليها ويتولى امر العناية بها رئيس مسئول عن صيانتها وحمايتها وايضا عن جمع رسوم المرور الواجب دفعها عند مرور التجار والتى تدفع بعد ذلك لرؤساء مختلف اركان المدينة .

فى اليوروبا نجد ان الزراعة تقوم على اكتاف الرجال ويستخدمون من الادوات الزراعية قضبان معدنية ومعاق حديدية كبيرة ذات نصول ،

ولها مقابض مجوفه فى القاعدة حيث يوضع فيها قطعة صغيرة من الخشب تثبت بزاوية حادة ويستعملها الرجال بمهارة فى تقليب التربة الى اعماق كبيرة . اما طريقتهم فى الزراعى فهى : تقطيع الاشجار والاغصان اثناء آخر فترة المطر وفترة الجفاف القصيرة . وفى بعض الاماكن تحرق الحشائش فى فصل الجفاف ويفلحون الارض الصالحة للزراعة مرتين فى خمس او ست سنوات تتخللها فترات راحة لمدة سنتين او ثلاث وبعدها تترك الارض ولاتستعمل للزراعة لمدة عشرين سنة اخرى .

ومن انواع الحبوب الغذائية التى تزرع :

اليام : (نوع من انواع البطاطا) وهو الغذاء الرئيسى فى جميع انحاء المنطقة ويهتم الجميع بزراعته . ورؤوس اليام الناضجة تخزن لاجل الزراعة وتوضع فى اكوام دائرية مفلطحة على التربة المعدة والتى ارتفاعها قدم وعرضها قدمان .

الذرة : يقع عادة فى مرتبة ثانية من المحاصيل الزراعية .

الدخن : كان وما زال اهم محصول للحبوب بالرغم من عدم كفايته وكفاية الامطار اللازمة له .

ويعتبر الموز من المحاصيل الغذائية الهامة . والارز معروف ولكن زراعته قليلة وهناك ايضا بعض المحاصيل التى تزرع بكميات قليلة مثل الفول والبازلاء .

وتعد اكوام اليام بحرص من تربة دقيقة الحبيبات (وهى تربة يقوم الفلاحون بسحقها او طحنها) ويحمونها بواسطة التبن لتقليل عملية البخر ويتعاونون فى اعداد الارض نظرا لان تنظيفها يتطلب مجهودا كبيرا .

وعندما يسقط المطر لاول مرة فى فصل المطر يزرع اليام المبكر ثم يزرع الدخن اثناء المطر الشديد وكذلك الذرة والقرع . وفترة

المطر هذه تستمر شهرين • وفى اثناء فصل الجفاف القصير الذى يستمر حوالى شهر يطحن اليام ويكون هذا موعد حصاد الذرة والدخن والجوز الذى ينمو فى الشمال وعند توقع الامطار الاخيرة فى شهور الرياح (سبتمبر واكتوبر) تبذر المحاصيل مرة ثانية وتحصد فى ديسمبر •

ويخزن محصول اليام عادة فى الحقول لحين استعماله ولذلك يجب حفظه فى اوعية تمنع تسرب الماء • وتبعد كل درنه عن الاخرى • اما الذرة والدخن فهى تخزن عادة على اسطح المنازل فى مواضع تعلو المنازل لكى تحميها من الحرارة والدخان المتصاعد •

ملكية الارض عند اليوروبا :

تعتبر الارض اصلا ملكا للزعيم او الرئيس • ولكن فى الواقع ان الشخص الذى يستغل قطعة ارض له الحق فى استمرار استخدامها بدون منازع • ويمكن للغريب ان يستغل الارض بالاكراه • ولكن الارض لايمكن ان تباع ابدا ولديهم اعتقاد بان ارواح الاسلاف توجد فى المزارع وهم يعطونها اهتماما خاصا •

هذا نوع من التملك • وهناك وضع آخر للتملك وهو ملكية الارض بوضع اليد وهذا يخول له الاستمرار فى استخدامها • وما دامت الارض قد زرعت واقيمت الاشجار وبنيت الجدران • فلا يستطيع كبير الاسرة او رئيس القرية او حاكم القبيلة ان يطرد اى شخص من ارض يستعملها •

هذا وبالرغم من تعدد وكثرة المحاصيل الزراعية عند اليوروبا • الا انهم لايستعينون بالوسائل التى تكفل لهم اتمام استغلال منتجاتهم الزراعية • ومنها زيت النخيل والنبيذ • وهم يحصلون على هذه المواد من اشجار الغابات البرية • حيث يجمع الرجال ثمار زيت النخيل • وهذا العمل يعتبر من الاعمال البطيئة الشاقة والمرهقة وذلك لان ارتفاع هذا النوع من النخيل يزيد عن ٥٠ قدم • وهى مبعثرة بدون نظام فى الغابات الكثيفة وهذا النخيل يستثنى من

الحرق عند تنظيف الارض وهو ملك الافراد او في بساتين يمتلكها الافراد .

وتقوم النساء باستخراج الزيت من الثمرة بغليها بعد ازالة اللحاء الخشب ثم تكبس ويعاد غليها عدة مرات حتى تستخلص منها اكبر كمية من الزيت .

ويستعمل زيت النخيل في تحضير معظم اكلاتهم وكذلك في الاضاءة حيث يحرق في آنية من الفخار .

وهن يصنعن أيضا النبيذ بتبخر عصارة نخيل الرافية ، ويجمعن عصارة هذه الاشجار بوضع القرع اسفل الشقوق لتجميع العصارة .

اما الحيوانات ، فنجد ان الماشية لديهم لها قيمة اقتصادية قليلة ، والخنازير الاليفة قليلة ولا تؤكل . وهم يمتلكون سلالة رديئة من الماعز وهو النوع الاسود الصغير .

كما يربون الدجاج لكي يقدمونها اضاحي ولكنهم يأكلونها ايضا وكذلك البيض . واليوروبا يحتفظون بالنخيل ولكنهم يستعملونها فقط في الاغراض البحرية .

وبالنسبة للصيد فانه نادر جدا عند اليوروبا ، وذلك نتيجة لنشاط فلاحي اليوروبا المستمر ، وقرب الاراضي من مناطق السكن مما يجعل فرصة الصيد قليلة ويقوم بالصيد بعض المتخصصين الذين يمارسون بجانب الصيد اعمال بسيطة وهم يحصلون على المنتجات الاخرى عن طريق المقايضة . ويكونون طوائف مستقلة يعمل اعضائها تحت اشراف رئيس يخطط لحملات الصيد ، ويحترمه ويطيعه الجميع . ويعيشون في بعض الاحيان في قرى ومجتمعات منفصلة ويتزاوجون من بعضهم .

ويعتبر صيد السمك ايضا من الحرف المتخصصة وهي منتشرة على طول الانهار ، وصيادي السمك يتبادلون به المنتجات الزراعية وسكان القرى التي تقع على الانهار لهم الحق في الحصول على جزء معين من

الصيد ويكون الصيد تحت اشرافهم ولزعيم القرية نصيب مما يصطاده أى شخص .

يعتبر شعب اليوروبا من الزراع المستقرين الذين يمارسون بمهارة الزراعة اليدوية مع أعمال التجارة والصناعة .

البولوكسى :

تقع اراضى البولوكى فى مركز الجزء المرتفع من حوض الكونغو ، حوالى ١٢ ألف قدم فوق سطح البحر . يتركز السكان فى عدد من القرى المستقرة المتجاورة وهى ذات احجام مختلفة تتراوح بين قرية صغيرة تحتوى على عائلتين او ثلاث الى مناطق بها بضع الاف ولكل قرية اراضيها التى تحيطها ولها حدودها المعروفة .

وتقوم النساء بزراعة الخضراوات اللازمة للغذاء حيث ان عبء الزراعة يقوم على اكتافهن .

ويقوم الرجال بقطع الاشجار الكثيفة بفأس حديدية ، كما انهم قد يساعدون فى الاعمال الرئيسية عند توقع سقوط امطار غزيرة .

والى جانب الزراعة هناك نباتات برية كثيرة مثل جوز الكولا وزيت النخيل وكثير من انواع الفاكهه وهى تجمع من الغابات .

ويقوم الرجال بالصيد وصيد الاسماك ، فهم الذين يزودون اسرهم باللحوم والاسماك وهم يصيدون الافيال والجاموس البرى وخنازير الادغال ، ولكن الفيضانات تقضى على الكثير منها .

واما الحيوانات الاليفة فهى ضعيفة وقليلة مثل الماعز والاغنام ولاتزودهم الا بكميات قليلة من اللحم .

ومن الحرف التى يتوارثها الابناء عن الاباء الحدادة والتجارة

وصنع القوارب وهؤلاء الحرفيون يعتبرون من الطبقات الغنية ، كما ان الحداد له اجلال واحترام وهو يمارس سحرا خاصا وناره لها قدسيتها.

وتصنع النساء الانية الفخارية والسلال والحصر ، وباقى الاوعية تصنع بواسطة الافراد للاستخدام الشخصى ، اما اصناعة الملابس والشباك والحراب والمصائد فيقوم بها الرجال كما يدبغون الجلود ايضا.

مما سبق يتضح ان الزراعة اليدوية هى اساس الاقتصاد عند كل من اليوروبا والبولوكى . كما يقوم الرجال بالعمل الشاق فى الزراعة وهو تنظيف الارض وازالة الاعشاب الضارة وهو امر مجهد يتكرر حدوثه . ويعتبر اهم من تقليب التربه . والتربة الرطبه المفككة تكون سهلة الزراعة وذلك بالعزق القليل . وتنمو الخضراوات بكثرة لدرجة انه من الممكن الحصول على محصول وفير بزراعة قليلة جدا ، اما الارض الصلبة فيجب تفتيتها بفؤوس قوية وهذا امر شاق جدا .

ومن الملاحظ ان زراعة المحاصيل الدرنية تقوم بها النساء وهى قديمة ومنتشرة على نطاق واسع فى مناطق الغابات ، بينما زراعة حبوب الدخن تتناسب فى اراضى الحشائش الجافه ، وغالبا مايتقاسم الرجال والنساء العمل وعلى هذا يظهر طورين للزراعة اليدوية فى افريقيا .

زراعة قديمة ترتبط بزراعة المحاصيل الجذرية ويقوم بها النساء اساسا والطور الثانى يرتبط بالزراعة المتقدمة فى مناطق السافانا حيث تزرع حبوب الدخن ويشترك فيها الرجال او يقومون بها بمفردهم .

الاشانتى كمثال للجماعات التى تمارس الزراعة البدائية :

تعتبر الاشانتى من القبائل الهامة فى غرب افريقيا وبصفة خاصة فى الجزء الجنوبى الغربى لغانا — وكانوا يعيشون فى القديم حول بحيرة Bosomtue الصغيرة بالقرب من كوماس عاصمتهم الحالية وكان ذلك فى منتصف القرن السابع عشر . وكانوا يطلقون على

مواطنهم هذه اسم امانس Amanse وهى تعنى اقـــدم الشعوب وقد عاشت قبائل الاشانتى خلال حكم الملك اوس توتو فـــترة طويلة من الحرية بفضل مايتمتع به من عدل وقوة حتى غزت انجلـــترا مواطنهم سنة ١٨٩٦ م واستولوا على عاصمتهم (كوماس) وفى الســادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٠٦ م ضمت الاشانتى الى الامـــلاك البريطانية ٠

البيئة الطبيعيـــة :

ان للبيئة الطبيعية تأثير كبير على حياة هذه الشعوب البدائية ويظهر دورها الكبير فى تشكيل نمط الاقتصاد السائد ونشاط السكان ٠

فتقع الاشانتى فى الجزء الجنوبى الغربى لغانا " وغانا احدى دول غرب افريقيا " ويحدها من الشمال فولتا العليا ومن الغرب ساحل العاج ، وتوجو من الشرق اما فى الجنوب فهى تطل على خليج غينيا ٠

وتتكون البيئة الطبيعية لغانا من سهل ساحلى ضيق مـــواز لشاطىء البحر ، ويجرى فى الجزء الجنوبى الغربى لغانا "وهـــى موطن الاشانتى " ثلاثة انهار قصيرة هى برا ، انكويرا وكاتو ٠ وهى تمر متوازية من الشمال الى الجنوب لتصل الى ساحل غانا ، وتسير جبـال " كواهو " بين منابع هذه الانهار الثلاثة ونهر الفلتا ، وهى تعتـــبر فاصلة بين مياه نهر الفلتا وهذه الانهار حيث تحصر بينها سلسلتـــين جبليتين من اغنى اجزاء غانا بالذهب والمنجنيز والالومنيوم ٠

المنـــاخ :

هناك موسمان للمطر ـ موسم كبير من ابريل الى يوليو وموســـم صغير بين سبتمبر ونوفمبر وبينهما فترة جفاف ـ هذا فى الجنوب ـ اما فى الشمال ـ فهناك فصل واحد مطير من ابريل الى سبتمبر ٠ واكثـــر فصول السنة جفافا هى الفترة بين نوفمبر ومارس ، وذلك عندما تصـــل

الرياح الشمالية الشرقية بعد عبورها بالصحراء الكبرى •

وتتميز درجات الحرارة بالارتفاع لقربها من خط الاستواء وتشتد الحرارة كلما توغلنا نحو الداخل بسبب البعد عن البحر •

السكان :

تعد قبائل الاشانتى حوالى ٧٥٠ ألف نسمه يسكنون فى الجزء الجنوبى الغربى والاشانتى هم خير من يمثل الجنس الزنجى الحقيقى كما يرى سيلجمان ، فهم لم يتأثروا بالبربر والعرب لانحصارهم داخل الغابات الاستوائية الكثيفة •

النشاط الاقتصادى :

الزراعة هى السمة والنشاط السائد عندهم ، ويمارسها اغلب السكان وهى زراعة تقليدية حيث لاتزيد الادوات الزراعية المستخدمة عن عصى الحفر والفؤوس والتربة قليلة الخصوبة ، بسبب عدم توفر الاسمدة العضوية لقلة تربية الحيوان وصعوبة الحصول على الاسمدة الكيماوية •

وطريقة الزراعة فى هذا الاقليم هو غمرها بالماء مرة واحدة ويترك النبات وشأنه حتى وقت الحصاد • واهم الزراعات هى الكاكاو واليام ، والكسافا ونخيل الزيت والكولا والذرة والتبغ • وينتج الاشانتى حوالى ٤٨٫٦ ٪ من انتاج غانا من الكاكاو •

وعند الحصاد تقام الاحتفالات لمدة عشرة ايام وخاصة فى شهر سبتمبر عند جمع نبات اليام ، ولا يأكل الناس من المحصول الجديد الا بعد أن تنتهى الاحتفالات ، ولكن يقوم زعيم الاشانتى بتذوقه فى اليوم الخامس واليوم العاشر حتى يؤذن لهم باستخدامه وذلك لاسترضاء ارواح الاسلاف وضمان الصحة والرفاهية •

وتقوم المرأة بدور فى عملية الزراعة فهى تقيم الاكوام التى يزرع عليها الرجال اليام ، وتزرع الخضراوات وتصنع السلال ، بينما يقوم الرجال ببقية اعمال الزراعة ويمارسون بعض الحرف الاخرى منها الحداد ، فللحداد فى قبائل الاشانتى مركز اجتماعى وذلك لاعتقادهم ان ناره ذات خواص مقدسة . ولديهم صناعة السلال والفخار وهما من اعمال النساء ، كما تربى الدجاج والخنازير والماعز ويقوم بعض الافراد باستخراج الذهب حيث ان المناجم التى يمتلكها الاشانتى غنية بالذهب .

ولقد اشتهر الاشانتى بالمقايضة التى كانت تتم بينهم وبين القبائل الاخرى وهى صامته حيث يستخدمون الذهب والودع وقضبان الحديد والنحاس الى جانب تجارة الرقيق فى الماضى .

انماط الحضارة الماديــة :

التجمعات والمسكن :

كانت العائلات تعيش منذ القدم فى شكل جماعات منعزلة ولكنها تجمعت فى شكل مستعمرات سكنية ضخمة ثم قسمت الى قرى حيث تتكون القرية من مجموعة من المنازل الصغيرة او الاكواخ .

والشكل السائد للمسكن عبارة عن فناء واسع مربع تحيط به مجموعة من الحجرات تشمل حجرة الضيوف (النامبون) ، ويستقبل فيها الضيوف وفيها تناقش الامور الخاصة بالاسرة ، حجرة النوم (الدامبون) و (البالتو) وهو المكان الخاص باعداد الطعام ، الى جانب الفناء ويسمى الجياس وهو مكان يلعب فيه الاطفال ويعمل فيه العبيد .

الى جانب هذه البيوت الصغيرة توجد بيوت كبيرة وهى خاصة بالزعماء وتقام على نفس الفكرة السابقة ولكن بشكل اكثر اتساعا .

الملابس والحلى وادوات الزينـة :

تتميز ملابسهم بالالوان الزاهية ولكل لون منها دلالته ، فمثلا عندما يرتدى زعيم منهم ثوبا احمرا قرمزيا فانه يرمز الى انه فقد شخصا قريبا ، وان كان رماديا مختلطا بالاحمر فهذا يعنى شعورا بالحزن وهكذا غطاء الرأس للرؤساء ، ولكل قبيلة رمز معين وهو غالبا من الذهب .

واهم ادوات الزينة هى الخواتم ويشيع استخدامها بين الملوك والزعماء والملكات وتتخذ نقوشا متعددة ولكل منها دلالتها .

وتصفف النساء شعورهن بطريقة تسمى الدنسنكران
Densinkeran

الكرسى الملكـى :

وفيه تظهر روح المجتمع وهو عبارة عن هلال ويرمز الى احتضان الام واثرها كانثى على المجتمع .

وهو مكون من خمسة اعمدة ، اربع منها ذوات اعمدة قائمـة الزاوية وتمثل قوة الذكر والعمود الخامس فى الوسط وهو دائرى ويمثل وجود الالهه واثرها فى المجتمع وتنقسم الكراسى الملكية الى :

١ ــ كرسى الدولة وهو كرسى الملك والملكة الام .

٢ ــ كرسى العشائر : وهو لزعيم العشيرة ، واذا توفى يطلـى باللون الاسود والابيض ويوضع فى مكان خاص حتى تأوى اليـه روحه .

الاكوابـا : Akuaba (الدمى الخشبية)

كرمز للخصوبة ، ويقوم زوج المرأة العاقر بصنعها وتقوم الزوجـة

بحملها وتنام بجوارها حتى ترزق بطفل ، وتدفن بجوارها اذا ماتت حتى اذا عادت لاتعود بمفردها الا ومعها الطفل لحمايتها .

وتستعمل الدمى ايضا كرمز للجمال ويقدمها الزوج لزوجته اثناء الحمل حتى تنجب اطفالا جميلة مثل هذه الدمى ، وهى مصدر للتفاؤل : يعتقد الناس فى هذا النوع انه يجلب الحظ لهم . وكرمز للسحر عندما يختفى طفل فهم يعتقدون ان صغار الشياطين قد اختطفوه فيقومون بصنع هذه الدمى الخشبية ويضعونها فى المكان المزعوم ومعها بيض مطبوخ لكى ينشغل الشياطون فى الاكل ويتركون الطفل .

المأكل :

يعتبر اليام من اهم اصناف الغذاء وهو نوع من البطاطا تؤكل مطبوخة وتمزج بصفار البيض وزيت النخيل وكذلك " العصيدة " الى جانب الخضراوات والفواكه مثل الموز والاناناس .

الفنون عند الاشانتى :

النحت :

يشتهر الاشانتى بفن النحت ويظهر هذا الفن فى الخشب والعاج والمعادن وهو من الفنون العامة عند الاشانتى ، ولكن المجالات التى يطرقها الفنان بسيطة وغالبا ماتصنع التماثيل للابطال والرؤساء والرموز الروحية والاشياء الطبيعية الى جانب النقوش على السيوف ، وكذلك الكراسى الملكية والدمى الخشبية .

الموسيقى والرقص :

انهم يحبون الرقص والموسيقى ويوجد فى كل منزل اكثر من آلة موسيقية . والابواق (جمع بوق) من اهم الالات الموسيقية وتصنع من ناب الفيل والطبول الافريقية المشهورة — وهم يرقصون فى المناسبات

المختلفة ولايعتمدون فقط على حركة الجسم بل ايضا تعبيرات الوجه •

الشعر :

لايوجد انتاج مكتوب عندهم بحيث يلقى الضوء على تراثهم الشعرى وتظهر التقاليد الشعرية فى اشعار الصلوات والجنائز واشعار الغناء الملكية ، بالاضافة الى الخطب التى تلقى فى الاحتفالات والاعياد •

الاسرة :

لقد حدد R.S. Rattray فى كتابه عن القانون والدستور الاسرة النموذجية عند الاشانتى بحيث يعيش فيها الافراد على هيئة تركيب واحد او مجموعة من التراكيب القرابية وتشتمل على الاتى :

١ ـ الرأس : وهو الاب او رب البيت ويسمى (اجيا) •

٢ ـ الزوجة او الزوجات : وللزوج الحق فى الزواج التعددى الخارجى •

٣ ـ الابناء غير المتزوجين من كلا الجنسين حيث ينتمى الابناء الى بدنة الام •

٤ ـ الابناء المتزوجون وزوجاتهم واولادهم او احفاد الرأس •

٥ ـ يحتمل ان تشمل الاسرة ام الاب وكذلك اخوته الصغار واخواته البنات غير المتزوجات •

٦ ـ ابناء وبنات اخوات الاب المتزوجات والمتزوجون حيث ينتمون الى بدنة الاب •

٧ ـ جوارى رب البيت ونسلهم وهم ينتمون الى بدنة الاب •

واذا اكتفى الزوج بزوجة واحدة وانجب منها ابناء فان هذه الاسرة تؤلف النواة الاساسية التى تقوم عليها العائلات الكبيرة

المعقدة التى تتخذ اشكالا اهمها :

العائلة المركبة	Complex Family
والعائلة الممتدة	Extended Family

وتظهر العائلة المركبة نتيجة لتعدد الزوجات من خارج البدنة وتتميز العائلة المركبة عن الاسرة البسيطة ليس فقط بتعدد الزوجات ، بل ايضا بوجود نوعين من الاخوة هما اخوة اشقاء وهم يشتركون فى نفس الاب والام ، والاخوة غير الاشقاء وهم ينحدرون من نفس الاب ولكن من امهات مختلفات .

الزواج عند الاشانتى :

يحرم الزواج بين الاعضاء من نفس بدنة الام ، وهذا يشمل تتابع البدنات التى قد تمتد الى اربعة اجيال او يمتد الى العشيرة ويمتد الى تحريم ابناء اخ الاب (الذرية Nua) . ولقد دلت ابحاث فوريتس على ان ٧٥ ٪ او اكثر متزوجين من نفس القرية او من القرى المجاورة .

اما روساء البدنه ، فلكل رئيس بنتان يتم اختيارهما ولا يتزوجان غير الرئيس مالم يتنازل هو عن حقه فيهن وللرئيس عدد آخر من الزوجات يسمى زوجات الكرسى الصغير وهن يقدمن اليه اجباريا من البدنات المختلفة التابعة له وعندما تموت احداهن يتزوج باخرى من نفس بنات البدنــه .

وتتزوج البنات فى سن تتراوح بين ١٦ ، ١٨ والاولاد فيما بين ٢٠ ، ٢٥ . وقد يبدأ الزواج بفترة من المعاشرة الجنسية الغير شرعية يرتضيها كل من الابوين للرجل والمرأة ويعترف به كزواج صحيح ولكن يأخذ الزواج الشكل النهائى حيث يقدم العريس زجاجتين من الخمر عن طريق رئيس بدنته الى رئيس بدنه العروس فى حضور ممثلين للبدنتين ويأخذ شكل المهر ويسمى Tire Noa — وموجبه يلزم

الزوج بتوفير الطعام والملبس والمسكن للزوجة ورعايتها • والى جانب هدية رئيس البدنه يقدم العريس هدايا لام العروس واخواتها •

وتقدم للعروس هدية نقدية عندما تذهب لبيت زوجها لاول مرة ويعد لها عشاءا فاخرا ولاترد هدايا الزوج اذا ماتم الطلاق • وقد يطلب من الزوج ان يدفع مبلغا من المال يسمى Tire saka • ومهما كان صغيرا او كبيرا فهو يعتبر بمثابة قرض عن فترة محددة قامت الزوجة خلالها بخدمة زوجها بامانه واخلاص •

ويوجد لديهم نظام النسب المزدوج حيث يتم الجمع بين النسب الابوى والنسب الامومى ويعترف الناس بوجود نوعين من العشائر ، عشائر امومية وعشائر ابوية ، اما العشائر الامومية فتقوم على اساس الدم الذى يعتقدون انه ينتقل عن طريق الاناث فقط — بينما تقوم العشائر الابوية على اساس الروح التى تنتقل عن طريق الذكور فقط • وتنتقل الثروة والسلطة فى خط الاناث • وتتمتع العشيرة الامومية عموما بمركز اعلى من العشيرة الابوية • والاب ملزم بزواج ابنه وتقديم المهر وحجرة النوم حيث يقيم الابن معه فى نفس المنزل الى ان يموت الوالد فينتقل الى بيت خاله •

وفيما يخص النسل والانجاب : انهم يعتقدون ان عملية الانجاب تشمل ثلاثة اجزاء ، جزء يتصل بالزوجة وهى المادى وآخر خاص بالاب حيث يعطى الابن الروح او الشخصية والجزء الثالث يمنحه الله للطفل وهو الحياة • ويعتقدون ان الروح جزء من الله وانها تمد الانسان بالضمير وهى لذلك مقدسة ونقية مثل الاله • ولقدرة الزوج او الزوجة على الانجاب شأن كبير حيث يعتبر عقم الرجل او المرأة عار وخزى وخاصة وانه عند الوفاة يتحمل الابناء نفقات الجنازة •

ويتركب اسم الطفل من جزأين : الاول اسم الروح وهو اسم الاله الذى يصاحب الطفل ويحميه اثناء الولادة وهذا الاسم لايمكن تغييره •

والثاني : هو اسم الطفل وأحيانا يسمى باسم الأب ويحتفى بالطفل صباح اليوم السابع ويقام بهذه المناسبة حفل حيث تلبس فيه الزوجة ملابس بيضاء وحلى من الفضة .

وعندما يصل الطفل سن البلوغ يعمل احتفال فقط بالبنات وفيه ترتدى الفتيات اللاتى تحيض قماشا أبيض مطرز باللون الأخضر لمدة أسبوع . ثم يرتدين بعد ذلك قماش أصفر . ويستمر فى هذا الاحتفال الذى يستمر لمدة أسبوع لونان هما الأخضر والأحمر . وأثناء الاحتفال تقدم أطباق مملوءة بالبطاطا الممزوجة بالبيض وترسم البنات على أجسادهن أشياء كثيرة من أجسامهن ترمز كلها الى دخول الفتاة مرحلة الأنوثة . وبعد كل هذه المراسم ترتدى الفتاة ما تشاء من ثياب .

عادات وطقوس الوفاة عند الأشانتى :

إن الأشانتى يؤمنون بالبعث بعد الوفاة وينتج عن هذا الإيمان تسميات مختلفة مثل (الباسيو) ومعناها جماعة الخير . ويرتبط مفهوم العدالة لديهم بمبدأ حكم هو "نعم ولا تنتقده ويخبر من أن تولد ولا تكون محل اعتبار مجتمعك أو تموت ولن تعتبر ما سوف عليك" ولذلك كان إظهار الحزن على المتوفى هاما جدا حيث يطلى منزله وترسم صورته ، ويدهن النساء أجسامهن بالطين الأحمر والأبيض والأسود . وهى الألوان المقدسة التى يقدسها الأشانتى .

وهم يعتقدون أن أرواح الموتى تعود بعد الوفاة ولذا تحفر الحفر حيث يوضع الميت ومعها الأشياء التى تساعده فى رحلته فى عالم الأرواح . ولهذا كان للأسلاف عند الأشانتى احترام كبير والاعتراض على الشخص الذى لا يقدم الى القتل والسرقة والمرض وسوء المحصول وحرق المنازل .

والمراسم التى تقام فى دفن المرأة تختلف عنها فى دفن الرجل كما تختلف فى الوفاة الطبيعية عنها فى الوفاة الغير طبيعية .

وتظهر النساء مشاعر الحزن على المتوفى بصوت مرتفع كما تغنى اغانى مدح جنائزية ويقيم الاشانتى عيدا للموتى يسمى "اودويرا" وهو عيد هام عندهم وفيه تمجد ملوك الاشانتى الذين انتقلوا وفيه يتطهر الشعب ايضا من آثامه كما يقدم الزعماء المحليون ولاءهم للملك الكبير ، ولذا اصبح لهذا العيد مغزى دينى وسياسى .

وسائل الضبط الاجتماعى عند الاشانتى :

النواحى السياسية : كان للاشانتى ملك يدعى (اوس توتو) ويلقب بكوابينا وقد استطاع هذا الملك ان يكون اتحادا لقبائل الاشانتى تحت زعامته وذلك باخضاع الولايات الصغيرة التى تجاوره فكون بذلك دولة كبيرة وجعلها كلها تدين بالولاء لعرشه فى عاصمتهم (كوماس) وقد كان حكم هذه الولايات بطريقة مباشرة عن طريق تعيين حاكم من اهلها يعيش فى كوماس مع بلاط الملك . وكان الملك يستشير زعماء الدويلات فى مجلس هو بمثابة السلطة التنفيذية والتشريعية العليا . وكان الزعماء المحليون يتمتعون بمكانة ممتازة بين اقوامهم وبجانب هذه السلطة التى يعتبر فيها الملك مقيدا فيما يخص حكمه على الدويلات المرتبطه معه ، فقد كان له سلطة مطلقة على مملكته الاصلية ، حيث كان له بلاط مختلط به مايدل على الفخامة والعظمة ، ومجلسة يتكون من الملكة الزوجة والملكة الام وقائد الجيش وبعض الزعماء .

ويضم نظام الحكومة المركزية الحالية فى غانا عدد من الممثلين عن قبائل الاشانتى حيث يوجد تسعة اشخاص فى مجلس الشيوخ وتسعة عشر فى مجلس العموم .

الوظائف الخاصة بالبلاط :

١ — المتحدث الرسمى :

وهو المسئول الاول عن الدولة ولابد ان يتوفر فيه عدة شروط منها ان يكون فصيحا ويوحى شكله بالاحترام ، ويتمتع بذاكرة قوية

ومعرفة تاريخ بلاده ، وهو يحمل عصا محلاه بالذهب كرمز لوظيفتــه ، ويصاحبه ضابطان يجمعان الناس لالقاء اوامر الملك • وليس من حـق احد مقابلة الملك قبل مقابلة المتحدث الرسمى ، وهو حلقة الاتصـال بين الرعية والاسرة الملكية • وهذه الوظيفة تعتبر من الوظائف الغـير وراثية ويتولاها كل من يمكن الاعتماد عليهم وعندما يتوفى يقيم الرئيس احتفالا كبيرا تكريما لهذا الشخص •

٢ — حامل الذيـــل :

او وظيفة (البيراهوفو) ويشغلها ابناء اخوة واخوات احفـاد الرئيس ولاينالون عنها اجر ويحمل فيها ذيل فيل او نسر او نعامـة ، ويسبقون الرئيس واحد عن يمينه واخر عن يساره يلوحون لطرد الارواح الشريرة امام الملك •

٣ — جليس حجرة النوم الملكية :

واهم واجباته الاستيقاظ مبكرا لايقاظ الرئيس واختيار ملابـس الملك وهداياه واعداد السرير الملكى ودعوة الجوارى لفراش الملك وهو المسئول عن الجثث الملكية عند وفاتها وتغيير القماش والخواتم من وقت الى آخر واخراج عظام الجثث الملكية فى حفل اخراجها بعد عام مـن الوفاه •

٤ — حامل المقعـد :

وهو الذى يحمل مقعد الرئيس كما ان هناك امرأة لحمل مقعد الملكة الام ، ويقوم بذبح الاضحية وتنظيف مقاعد البلاط وصب المـاء المقدس واقامة الصلاة ، وكذلك فى حفل المقعد المقدس حيث يمسـك جسم الرئيس الجديد من الوسط ويدعه يمسك المقعد ثلاث مرات ، اى يجلس عليه ثلاث جلسات خفيفة فى الحفل الرسمى •

٥ - حامل حقيبة الخزانة الملكية :

وهى الخاصة باموال منزل الرئيس ويصرف الاموال اللازمة لزوجات الرئيس والانفاق على المآدب اليوميةوتوزيع النقود وشراء الهدايا عندما يرزق الرئيس بمولود • ويقوم بتجهيز حمام الرئيس ومساعدته فى الحمام ووضع العطور عليه • وكان يتولى هذا المنصب ابناء الرئيس من الامهات الجوارى • ويقال انه كان يتولاها بنات الرئيس ثم انتقل ذلك الى الابناء ثم الى ابناء الجوارى •

٦ - منادى البلاط الملكى :

مهرج الملك يقوم بادخال السرور على الملك واعلان القوانين للشعب بقرع الطبول وحفظ النظام اثناء قيام بعض الاجراءات داخل البلاط •

ولدى الاشانتى تقاليد معينة عند استقبال الاشخاص الهامة مثل رسل او سفراء الدول الاخرى وهى احتفالات واستقبالات معقدة للغاية • حيث يقوم الزعماء المحليون وقواد الجيش وغيرهم بالسير وهم يحملون مظلات ملونه ويتقدمهم حملة الاعلام والزينة ويكونون موكبا يتقدم موكب الزائرين ويتوقف الموكب اكثر من مرة خلال مروره فى الشوارع لكى يقدم الراقصون رقصاتهم الوطنية • ويكون المقر العام للحفل فى السوق العام ويتوسطه الملك بكل عظمته وفخامته والى جواره افراد الحاشيه والزعماء وعندما يتقدم الزائر او السفير من الملك ترتفع دقات الطبول حتى يصل الى الملك وينحنى امامه ثم يرجع خطوات ويحيط بالعرش الملكى نساء قصره من الملكة الزوجة والملكة الام والاخوات •

الدين عند الاشانتى :

يعتقد الاشانتى فى وجود اله خالق للكون • وهم يعتقدون ان الها كان يعيش على الارض ثم ارتفع الى السماء بعد ان كررت امرأه ايلامه وهى تصنع العصيدة والى جانب الاله الاعظم يوجد سبعه الهه

منهم آس ، آدوو ، أبينا ، آكو ، آوو ، آمن . وهم يعملون في حاشية الالها لاعظم ويتناوبون العمل طوال الاسبوع . واهم هذه الالهه (اله الارض) فهو صاحبها وتقدم اليه الهبات قبل الزراعة ، ويتولى تقديمها زعيم الارض وهو يتولى منصبه بصفة وراثية ويستشيره الناس قبل اعداد الارض للزراعة وقبل الحصاد . ويقوم بالطقوس الدينية رجال لهم صفة الكهنوت ولكل اله طقوس معينة وفي اليوم المخصص له يقوم طفل صغير بالرد على اسئلة الناس على لسان كاهنه الذى يكون فى حالة ذهول حتى تتقمصه الارواح وتقدم القرابين من زيت النخيل او ثمار الكولا ، أو الطيور والخنازير . والدم من نصيب الاله اما اللحم يوزع على الناس .

الصـــلاة :

تقام في المنازل ويقوم بها اكبر اعضاء الاسرة سنا ويكون عارى الكتفين دليل على التعظيم . وتتكون الصلاه عند الاشانتى من ركنين هما : صلاة سائل او الطعام ويقصد به اعادة الاتصال بين الاحياء وارواح موتاهم لاعتقادهم ان ارواح موتاهم تستمر فى الحياة والتمتع بها . ولذلك شرعت الصلاة لتحقيق المطالب . وتقدم الاطعمة والشراب اثناء النهار لكى تحظى بالراحة اثناء الليل .

والثانى وهو الكلام الفعلى للصلاة . ويتدرب رجال الدين لفترة طويلة ويراعى ان تتوفر فيه العفه والامتناع عن شرب الخمر والشره فى الطعام ويتعلمون العرافة والكهانه ويقوم بخدمة بيت الاله ويتلقون النذور . ويقام دير يستقبل فيه من يريد ان ينذر نفسه للدين فيحلق شعره ، ويعرى صدره ولايبرح الدير لمدة تسعة اشهر ثم يصرح له بالخروج متنكرا ، وبعد انتهاء تدريبه يقام له احتفال يحضره الاهل ويوزع فيه الخمر ويرقصون على الطبول .

وتتأثر النظم الاجتماعية لدى الاشانتى بالمعتقدات والمفاهيم الدينية مثل النظام الثلاثى للنتور ويمثل الجانب المذكر الفاضل فى المجتمع ويمنح للحياة ثلاث خصائص روحية منها مد الفرد بالطهر ،

ومنح الشخص الفردية وجعل الشخص على دراية بالقوى الروحية • ويقال ان النتور يورث من الاب • وعلى هذا فالاب هو اصل الحياة والقدسية ومن واجبه اصدار الاوامر لصالح الاسرة وهو ادرى بالصالح من الامور على اعتبار انه اصل الطهارة والنقاء • وعلى ذلك فان كلمته لما يجب تحريمه على اعضاء الاسرة هو القانون بعينه •

وهناك انتشار للاسلام داخل قبائل الاشانتى وخاصة فى غانا •

السحر عند الاشـــانتى :

انهم يمارسون السحر لاعتقادهم ان فى ذلك حماية لهم من القوى الخفية او الجوع او المرض فى بعض الاحيان • والذين يمارسون السحر يطلق عليهم Okomfo وهم بلغة الاشانتى العرافون ويمدون الناس بالاحجبة والطلاسم ومن انواعها :

١ ــ قطع النخيل ويستخدم لحماية المحاصيل من الاضرار •
٢ ــ جريد النخيل ويستخدم لحماية القرى من الامراض •
٣ ــ حزم الريش وتستخدم لحراسة سكان الحجرة •
٤ ــ حوافر الحيوان ومن شأنها جلب الصيد الجيد •
٥ ــ اسنان الحيوانات وتستخدم للوقاية من الحيوانات المفترسه •

ويعتقد الاشانتى فى وجود الجنيات والعفاريت ذات الاجسام الصغيرة والرؤوس الكبيرة • ويستعمل العرافون وسائل كثيرة مثل السوط والقدور وامعاء الدجاج ويستخدمون تعاويذ من الياف الشجر والقرون وانياب الافعى والاسد •

٤ — بعض القرى في جمهورية مصر العربية

أ — قرية هورين*

يهدف البحث الى التعرف على جميع عناصر الحياة الاجتماعية والحضارية في مجتمع قروي عن قرب ، دراسة ميدانية مركزة تعتمد على الملاحظة والمشاركة لسلوك وتصرفات الافراد في ضوء القيم والعقائد السائدة في المجتمع • وذلك لانهما يلاحظ في هذا العصر ان المجتمعات الريفية في مصر وبعض بلدان افريقيا قد شهدت تغييرات جذرية نتيجة عوامل متعددة ، وقد ارتفعت الصيحات بضرورة تطوير القرى المصرية في خطط انمائية وعمرانية • لذلك كان لابد من القيام بدراسات تتناول الانظمة الاجتماعية من جميع جوانبها — الاقتصادية والدينية والسياسية والقرابية • والدراسات الانثروبولوجية هي افضل المناهج للوصول الى الصورة الكلية الشاملة للمجتمع •

وقد اوضحت الدراسة اهمية التعجيل بدراسة المجتمعات الريفية وتسجيل ملامحها الثقافية قبل ان يدهمها تيار التغيير الاجتماعي السريع ، حتى نعثر لقرانا في يوم ما على تاريخ مكتوب يمكن الاستفادة منه كمنطلق للابحاث المستقبلة لفهم حقيقة الحياة الريفية •

وقرية " هورين " تقع على الطريق الزراعي الذي يصل بين مدينتي بركة السبع (محافظة المنوفية) ، ومدينة زفتى (محافظة الغربية) ، وان كانت اقرب من بركة السبع عن زفتى ، فهي لاتبعد عن الاولى سوى حوالي ٥ كم في حين ان المسافة بينها وبين زفتى حوالى

(*) دراسة انثروبولوجية ميدانية للدكتورة سعاد شعبان ، منشور بمجلة الدراسات الافريقية ، العدد الثاني ، ١٩٧٣م •

٢٠ كيلومتر •

وتعتبر قرية هورين من القرى الكبرى فى مركز بركة السبع وتعتبر مركز اشعاع بالنسبة للعزب والكفور المجاورة لها حيث انه يتبعها اداريا قرى (كفر هورين • كفر نغره • كفر عليم • كفر الشيخ طميمة • الحلامعة كفر هلال) • اما من الناحية الطبيعية فانها لاتتميز بملمح تضاريس واضح سواء من حيث الارتفاع او الانخفاض • ولاتختلف عن الاراضى الزراعية المجاورة لها[١] •

وكانت هورين تابعة لمركز السنطة • الذى يتبع محافظة الغربية حتى عام ١٩٦٣ وبالتالى كانت صلتها بزفتى اقوى من ناحية الخدمات رغم قرب المسافة من بركة السبع[٢] •

وقد كان للموقع الهام للقرية وتوسطها تقريبا على الطريق الرئيسى الذى يربط مدينة زفتى بمدينة بركة السبع ـ ان اصبحت لها وظيفة مركزية على هذا الطريق فهى تمثل مركز الدائرة تتناثر حولها القرى وترتبط بها وتعتمد عليها فى مختلف الخدمات الاقتصادية والتعليميةوالاجتماعية •

لذلك اختيرت هورين مقرا للمجلس القروى ونقطة الشرطة ومختلف الخدمات المركزية الريفية التى تخدم هورين والقرى السبع المجاورة لها •

ولقد تبع زيادة العلاقات بين اهالى هورين والقرى المجاورة لها ان زادت الصلات الاجتماعية بين الاهالى • وارتبطت العائلات فى تلك المنطقة بروابط المصاهرة •

---

(١) من واقع بيانات وزارة الزراعة • الادارة العامة للاراضى ١٩٦٦ •
(٢) مقابلات شخصية •

أ _ دراسة ميدانية
في قرية هورين المصرية

قرية هورين قرية قديمة ، ذكرت في كتاب وقف الاشرف برسباى المحرر سنة ٨٤١ هـ ، ثم تتابع ذكرها . ففى القاموس الجغرافى[1] ورد ان هورين قرية قديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وقد ذكر انها من اعمال جزيرة قويسنا لمجاورتها لناحية (تطالية) تطاى ولتمييزها من هورين بهرمس ، وفى تحفة الارشاد وردت محرفة باسم هورين تطاية من الاعمال المذكورة ، وفى التحفة هورين تطاية من اعمال الغربية ولما اندثرت هورين بهرمس واضيف زمامها الى ناحية المحلة الكبرى حذف المضاف اليه من هورين تطاية فاصبحت بغير مميز ، ولذلك وردت باسمها الحالى فى تاريخ عام ١٢٢٨ هـ .

ومن التاريخ الاسطورى مما يحكيه المسنون عن اصل كلمة هورين وكلها روايات متشابهة تقريبا .

كان فى قديم الزمان سيدة غنية اسمها " رين " وكانت تهوى الرحلات فضمن جولاتها مرت على هذه القرية فعجبها الهواء واتخذت لنفسها مقرا بها وكان كلما مر عليها انسان يعجب بهذا الهواء ويقول :

" ما اجمل هوا رين " واخيرا حرفت الى هورين ، وتجمع حول هذه السيدة جمع من الناس استقروا بالقرية . ونفس الاسطورة تحكى ولكن بطريقة مختلفة ، فقد قيل :

ان رين هذه ابنة ملك ، وذات يوم مرضت ودار البحث لها عن مكان لتشفى من مرضها وكان قد وصل بها المطاف الى هذه المنطقة ،

---

(١) القاموس الجغرافى _ تحقيق محمد رمزى ، ص ١١ ، ١٢ ، الجزء الثالث .

ويعجزنا أن تقرأه مرضها بالوادى عن مرضها • وقالت ضمن ما قالته : " الله طولون سمونى (طولونقى) — ثم حرفت الى هوبين البلهمين (ع) لوقحهان) •

وما يقال ايضا انها ولم تكن كلمة نوبية •

كما يقال ايضا انسبت الى هارون الرشيد • وذلك عندما كان حاكما يومين فى تلك الوقت بهذه البلدة • وبذلك نسبت اليه وحرفت الى " تمهورين "(١) •

ومن العادات الطريقة النوبية بها ان سيدى فهد الرجال يحرصون على بناء منشأة القرية وتعميرها حيث التف حولها الاتباع بالمحاصيل والمستوطنين بالقرية •

ويحوى المنزل النوبى فى على ما يطلق عليه (الـدار) وهو منزل كبير يتسع للعائلة بأكملها ويتكون عادة من طابق او طابقين ويشتمل على عدد كبير من الحجرات •

ويتوسط المنزل الاول طالة يطلق عليها (وسط الدار) توجد على جانبها مصاطب طينية او ارائك خشبية (كنبة) او الاثنان معا •

والحجرات جميعها ملاحقتها كبيرة وبعضها لايقل عن اربعة امتار وتختلف اسماؤها باختلاف الغرض منها •

فالحجرة التى يوجد بها الفرن الكبير تستخدم للنوم شتاء تسمى بالقاعة (الاعة) • والحجرة المستخدمة للمعيشة فقط تسمى المندرة • ويحتفظ فى (المنيى) — وهى حجرة • تخزن للتبن بعلف الماشية • اما الحظيرة او " الزريبة " فهى غير منتبذة وسط الدار فهى مكان ايواء الماشية •

---

(١) من واليات كبار النوبة •

وحجرات المعيشة تخلو من اى اثاث سوى الحصير المجدول أو الاياس • كما توجد ايضا المساند بجوار الحوائط • وفى المندرة او الاعة قد نجد دولابا او اكثر فى (الحائط) ويستخدم لحفظ الاشياء • اما الملابس فغالبا ماتعلق على مسامير فى الجدار • او على حبل مشدود بين مسمارين ويسمى (السيارة) • ولاتخلو دار من وجود (الصفة) وهى عبارة عن مخزن على شكل صندوق طويل يتوسطه باب يسمح بدخول احد افراد الاسرة لوضع او استحضار الاشياء المحفوظة داخله — والصفة هى افضل مكان لحفظ الاشياء الضرورية مثل اللبن والسمن والزبد والخبز بعيدا عن الحشرات وتقلبات الجو •

ويوجد اسفل السلم الداخلى المؤدى الى الطابق العلوى او بجوار الزريبة فى نهاية وسط الدار يوجد حجرة صغيرة تستخدم كمرحاض — وهى عبارة عن فتحة سفلية تنتهى بخزان او بئر ينزح ما به مرتين او اكثر سنويا • ويوجد بداخل المرحاض اناء صغير للاغتسال (عادة ابريق مصنوع من الفخار) •

وحجرات المعيشة تشتمل على نافذة او اكثر ذات باب خشبى • او طاقة بغير باب او ذات قضبان حديدية • اما الحجرات الخالية من النوافذ او الطاقات فتوجد بها فتحة علوية يطلق عليها (ناروزة) • وتستخدم للتهوية وكمنفذ للضوء •

واذا كان بالدار طابق ثان فان سلما جانبيا مصنوع من الطوب والطين • يفضى اليه وغالبا مايكون هذا السلم بغير سور خارجى وربما يستخدم السلم النقالى (سلم خشبى متنقل) للوصول الى الطابق الثانى •

ويؤدى السلم الى صالة يطلق عليها البعض كلمة (سباط) وهى تتوسط الطابق العلوى • وتوجد على جوانب الصالة او السباط حجرات كتلك التى توجد فى الطابق السفلى وان كانت اقل عددا واصغر مساحة • والحضير هو اصغر هذه الحجرات ويستخدم لحفظ الاشياء •

وقد يستخدم احيانا للنوم • ويوجد فى جوانب الصالة عشش للطيور والارانب •

وحجرات الطابق العلوى ـ ماعدا الخضير ـ يطلق عليها جميعا (مآعد) • وفوق السطح (اعلى المآعد) تخزن الغلال والذرة (كيزان الذرة باغلفتها (والمسكة) وهى اقراص مصنوعة من روث الحيوانات المخلوط بالتبن وتستخدم للوقود • وتسمى مخازن الغلال (بالزواليع) مفردها (زلوع) • وهى تبنى على شكل اقماع من الطوب والطين ومغلقة تماما من جميع جوانبها ويمكن فتحها من اعلى عند اللزوم وامام الدار توجد غالبا مصاطب تستخدم للجلوس فى اوقات العصر او فى المساء خاصة فى فصل الصيف وغالبا ماتفضل المرأة الجلوس على الارض امام الدار تاركة لزوجها وضيوفه المصاطب •

اما الباب المفضى الى داخل الدار فهو ضخم طولا وعرضا ويتكون من ضلفة واحدة واحيانا قليلة من ضلفتين ويغلق من الخارج بواسطة مفتاح طويل • ومن الداخل يقفل بالضبة والمفتاح وقد يوجد عليه مقبض من الحديد او الخشب يدق من الخارج عند اللزوم •

الى جانب الفرن الكبير فى (الاعة) يوجد ايضا مواقد اخرى فى وسط الدار ـ ويطلق على الموقد الصغير (الفرن النقالى) وعادة مايكون تحت السلم او فى ركن داخلى من وسط الدار • وكذلك يوجد (الكانون) • وكلها تستخدم لطهى الطعام او لعمل الخبز •

كذلك توجد طلمبة المياه (الطرمبة) فى ركن من اركان وسط الدار • واحيانا لاتوجد فتضطر نساء الدار الى احضار الماء فى آنية من طلمبات بالخارج • اما الدار فتصنع من (الطوب النيء) وهو صناعة محلية وسقف الدار عبارة عن جذوع الاشجار غالبا من شجر الكافور او البأس ـ ثم يوضع البوص او الغاب البلدى المجدول بالتيل فوقها بعكس اتجاهها • ثم توضع طبقة من الطوفة (الطين المخلوط بالتبن) فوقها جميعها ليتماسك السقف (وهذه العملية تسمى الترصيعة) •

ان وجدت وليصبح السقف اكثر تماسكا واحتمالا • ولبناء الدار وعمل السقف يستأجر عامل خاص (البناء) • وقد يقوم اهل الدار من الرجال بهذا العمل — ان كان لهم خبرة به — او الاثنان معا (اهل الدار بمساعدة البناء) اما عمليات الدهاكة فتقوم بها نساء الدار دون الرجال واما ارضيات الدار فكلها من الطين المدهوك دهكا جيدا وترش بالماء عند تنظيفها • الى جانب هذا النوع من البيوت — وهو الغالب لدى الفلاح العادى — دور اخرى بنيت حديثا من الطوب الاحمر • وتتكون فى الغالب من طابق واحد واحيانا من طابقين • وهى لاتختلف عن منازل المدن الا من حيث اتساعها واحاطة معظمها من الخارج بحديقة صغيرة تربى فيها الدواجن •

ولايستخدم هذه المساكن سوى الموظفين من اهل القرية كما ان اثاث هذه المنازل يشابه اثاث منازل المدن •

هذه هى انماط السكن داخل القرية • ولكن غالبا مايكون للفلاح دار اخرى — موقتة — فى الحقل يبيت فيها عند نضوج المحاصيل التى يخشى عليها من السرقة لحراستها او التى تحتاج لرعاية دائمة خاصة حدائق الفاكهة — او فى اوقات الرى •

وهناك بعض الاختلافات بين الدار فى القرية ومثيلتها فى الحقل • فبينما يتسع دار القرية للاسرة جميعا — ان لم تكن عائلة — فان دار الحقل لاتتسع الا لعدد من الافراد غالبا مايكون من عمال الحقل او واحد او اكثر من رجال الاسرة • لذا فانها تتكون من حجرة واحدة قد توجد بها نافذة واحدة او لاتوجد على الاطلاق • وليس بها شئ سوى حصيرة وكمية من القش • بدلا من الحصير وادوات عمل الشاى • وقد تلحق بها حجرة اخرى مشابهة للماشية ان وجدت •

هذا ودور القرية متجاورة وملتصقة ببعضها • وتفتح على حارات طويلة متعرجة وملتوية واحيانا على حارات مغلقة (أزقة) مفرد (زقاق) ولاتوجد اسماء للحارات او ارقام الدور • ولكن يسهل الاستدلال على

الاشخاص فى القرية بمجرد السؤال رغم عددهم الكبير (حوالى ١٠ الاف نسمة) .

وقد لوحظ بقايا بوابات خشبية ضخمة عند مدخل بعض الحارات كانت تستعمل فيما مضى خشية هجمات اللصوص فلا يستطيع احد الدخول الى الحارة بعد غلقها .

وكانت الحارة تجمع فيما مضى اسر يرجع نسبها الى عائلة واحدة ولكن هذه البوابات لاتستخدم الان لتوفر الامن ولاختلاف نسب الاسر التى تقطن الحارة الواحدة . لذا فقد نزع بعضها وبقى البعض مهملا وشاهدا على حالها السالف .

ورغم ضيق الحارات وانحناءاتها وتعرجاتها الا انها تبدو دائما نظيفة ، فلا نلحظ عند اى دار بقايا الحيوانات التى يستخدمها الفلاح كسماد لارضه ، فهو يقوم بحملها الى الحقل مباشرة ، وتقوم السيدات بتنظيف المكان دائما امام الدار فتبقى الحارات نظيفة .

ولم يلاحظ اختلافا ما بين دور للقرية ومثيلاتها فى القرى المجاورة — وان اختلفت بعض المسميات فقط ككلمات صفة — مسكة — آعة ا ولكن توفر النظافة بشكل ملحوظ سواء داخل الدار او خارجها يبدو بوضوح فى هذه القرية بالمقارنة لغيرها .

اما بالنسبة لمساحة الارض المنزوعة فى هورين فهى لا تتعدى حوالى ٢١٤٣ فدانا ، بينما يبلغ عدد السكان المقيمين بالقرية ٩ الاف من السكان (١) .

يعتمد الفلاح فى غذائه على الذرة والقمح ، اما القطن فلم تعد له تلك المكانة العالية التى كانت له من قبل كمحصول نقدى بل ادخل محصولات اخرى نقدية كالتيل مثلا (٢) .

---

(١) من واقع سجلات الجمعية الزراعية التعاونية بالقرية .
(٢) ملاحظات شخصية .

الى جانب الاسمدة الكيماوية الحديثة ، يعتمد الفلاح على الاسمدة العضوية (السباخ البلدى) اعتمادا كبيرا .

ووفقا للحصر التصنيفى للتربة الذى قامت به وزارة الزراعة عام ١٩٦٦ وجد ان معظم مساحة الارض التابعة لهذه الناحية ، هى اراضى جيدة الانتاج ويغلب عليها التربة الرسوبية العميقة سواء منها الاراضى الطينية ذات القوام الثقيل او الخفيف كما ان معظم الاراضى هنا ذات نسبة عادية من الاملاح الذائبة فى الطبقة السطحية او بطول القاع ، ويلاحظ ان جميع اراضى الناحية خالية من القلوية فى الطبقة السطحية او بطول القاع .

وقد اتضح من دراسات الماء الارضى للناحية (فبراير ١٩٦٦) ان مستوى الماء فى غالبية الاراضى عميق .

وفيما يخص نظام الرى نجد ان الرى بالقرية يعتمد على الرى بالراحة او بالرفع عن طريق السواقى وعموما فان حوالى ٤٠ ٪ من جملة الاراضى التابعة للقرية تعتمد على نظام الرى بالراحة معتمدة على مياه بحر ابو زهرة ، أى ان الجزء الذى يقع الى الشمال من الطريق الزراعى يعتمد كله تقريبا على نظام الرى بالراحة ، هذا فى حين ان الجزء الذى يقع الى الجنوب من هذا الطريق يعتمد على وجه العموم ـ على نظام الرفع عن طريق السواقى من مياه ترعة العطف ، فالملاحظ ان الاراضى التى تقع الى الجنوب والى الشمال الشرقى من ترعة العطف والتى تدخل فى زمام القرية تعتمد على نظام الرى بالرفع عن طريق السواقى ، هذا فى حين ان الاراضى التى تقع الى الشمال الغربى منها تعتمد على نظام الرى بالراحة من ترعتى الديسة والطويل ، اما وسائل الرى القديمة مثل الشادوف او الطنبور لم تعد تستخدم .

وفيما يتعلق بنظام الصرف فان ثلثى الاراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى ، وهو عبارة عن شبكة من المواسير الاسمنتية مختلفة الاقطار مدفونة تحت الارض باعماق متدرجة

حتى يمكن سريان المياه منها الى المصرف العمومى ويركب بين كـــل ماسورة واخرى (فلتر) لامتصاص المياه الزائدة عن حاجة الرى وتوصيلها الى المصرف • ويلاحظ ان ثلثى الاراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى ، والثلث الباقى لايوجد به اى نظام للصرف فيما عدا بعض " الرشاحات " الضيقة التى لاتقوم بعملية الصرف كما ينبغى ان يكون — وتوصل هذه المصارف المغطاه — المياه المتسربة اليهـــا الى المصرف الرئيسى الذى يخترق اراضى القرية هو مصرف " كلاالباب " وهو بحالة جيدة ومنسوب الصرف على ١,٥ متر وهو يصب فى مصـــرف زفـتى •

والاراضى التابعة للقرية جميعها تعتبر اراضى املاك خاصـــة بالاهالى ، والحيازة الزراعية بها صغيرة حيث لايزيد ما تمتلكه الغالبية العظمى من المزارعين عن خمسة افدنة بينما تنحصر الملكيات الاكثر من عشرين فدانا فى ثلاث افراد من عائلات مختلفة • وبذلك توزعـــت الملكيات الزراعية على العائلات توزيعا متساويا الى حد كبير ، ولـــم تستأثر احداها او بعضها بنصيب كبير من الاراضى ليعمل باقى سكان القرية اجراء فيها •

وكان صغر مساحة الاراضى المملوكة نتيجة تفتيت فى الملكيـــة الزراعية نتيجة لثبات المساحة الزراعية وتكاثر السكان • ولكن للتغلـــب على هذه المشكلة اتبع نظام الدورة الزراعية الثلاثية ، التى تعتمد على تجميع الاراضى الزراعية تحت محصول واحد وفقا لنوعية الاراضـــــى الزراعيـــة •

هذا وعندما صدر قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وماتلاه من قوانين تحديد الملكية الزراعية لم يكن فى القرية كلها مـــن ينطبق عليه تلك القوانين وقد ادى هذا الى التعاون بين العائـــلات وعدم ظهور الطبقات فى داخل المجتمع ، كما ان صغر الملكيات ساعـد على التكاتف ازاء ما يعترض الزراع من مشكلات مشتركة • فقد يشترك عدد

من صغار ملاك الارض هم غالبية فى اقامة حلزونة كل بنسبة مايمتلكه من ارض ستروبها هذه الحلزونة وكذلك المساهمة فى نفقات صيانتها أو تطهير مجرى مائى بالتعاون فيما بينهم •

وقد ساعد على نجاح هذا التعامل والتكامل ان نظام ملكية الارض فى قرية هورين لايرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام السكنى فحسب ، مما يقوى العلاقات بين الافراد وييسر سبل اتصالها بل يرتبط كذلك بالنظام العائلى السائد فى القرية • فكل عائلة تتخذ لها قطاعا سكنيا متميزا فى القرية يتجمع فيه اعضاؤها ويطلق عليه اسمها • كذلك تتوزع ملكية الاراضى الزراعية توزيعا عائليا الى حد كبير بحيث تسود علاقات القرابة والجوار فى الحقل والمنزل فى آن واحد • ويبدو ان لتوزيع الملكية على هذا النحو علاقة وثيقة بنشأة القرية واستيطان العائلات فيها • فلقد تبين من البحث ان العائلات قد استقرت فى القرية فى اوقات متفاوتة ونشأ عن ذلك ان استقلت كل عائلة بناحية معينة من زمام القرية •

والمحصولات الزراعية فى القرية لاتختلف عما هو سائد فى الوجه البحرى عموما سواء المحصولات الغذائية او النقدية فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة ، حيث ان المساحة المنزرعة ارزا فى القرية ضئيلة للغاية •

واهم المحصولات الزراعية هى :

القطن ، الذرة ، القمح — البرسيم — الفول •

هذا بالاضافة الى بعض المساحات الضئيلة التى تزرع بالخضراوات والفواكه ، وكذلك تزرع بعض المساحات بالتيل ، وهو محصول نقدى مربح وكذلك زراعة نبات عباد الشمس للاستفادة من بذوره كبديل عن اللب ، الذى ارتفع سعره فى الاونة الاخيرة •

والدورة المتبعة هنا هى الدورة الزراعية الثلاثية ، حيث تزرع الارض سنة واحدة بمحصول القطن ثم تزرع سنتين بغيره من المحصولات الصيفية او الشتوية والخضراوات المختلفة اذ ان المتبع ان يستغرق محصول القطن العام كله ثم تزرع الارض فى السنة التالية بالمحصولات الصيفية وهى الذرة وبعض الخضراوات وهى القمح والفول والبرسيم .

ويتم تنظيم هذه الدورة عن طريق تبادل الاراضى الزراعية بين الاهالى كما هو متبع فى معظم القرى المصرية .

أما عن وسائل الزراعة فقد بدأت الالات الحديثة تحل محل المعدات اليدوية فى الاونة الاخيرة ثم حلت المحاريث الالية محل المحاريث الخشبية التى تجرها الماشية كما ان ماكينات درس المحصولات عم استخدامها بدلا من " النورج " القديمة .

هذا بالاضافة الى وجود بعض ماكينات رفع المياه ولكن الساقية مازالت هى الوسيلة الاكثر استخداما فى رفع المياه فى المناطق التى لاتعتمد على نظام الرى بالراحة .

ولكن هناك اعمال زراعية كثيرة مازالت تعتمد على جهد الفلاح اليدوى مثل جنى القطن وزراعة المحصولات المختلفة مثل القمح والفول .. .. .. الخ .

وتتركز الثروة الحيوانية فى القرية فى الماشية (جاموس بصفة خاصة) والابل وبعض الابقار والاغنام . وتستخدم الماشية عموما فى ادرار الالبان والتكاثر . والنوع السائد من الجاموس هو الجاموس المنوفى الذى يمتاز بكثرة انتاجه من الالبان .

وتحتل الماشية مكانا خاصا فى نفس القروى نظرا للدور الذى تقوم به فى الحياة الريفية فى الحقل والدار ، فهى دائما نصب عينيه يراقب حالتها باستمرار واذا مرضت سارع بعرضها على الطبيب البيطرى

بوحدة القرية ، واذاماتت حزن عليها حزنا شديدا اذ يمثل ذلك بلاء نزل به يستلزم معه تعزية الجيران والمقربين له قائلين " يعوض اللــه " اى يخلف عليك الله بما يعوضك عنها وتشترى غيرها ،

بقرية هورين وحدة بيطرية يشرف عليها طبيب بيطرى ، يعاونه عدد من المساعدين ويقيم الطبيب اقامة دائمة بالوحدة ،

وتقوم الوحدة بالتنبية على الاهالى بمراعاة تجنب رعى ماشيتهم فى المزارع المرشوشة بالمبيدات الحشرية خشية تسممها ، كما تقوم عــن طريق الجهاز الادارى (النقطة) باستدعاء الاهالى واحضار ماشيتهم لرشها بالمحاليل الطبية لقتل الحشرات الضارة العالقة باجسامها مثل القراد والطفيليات الخارجية كما تشمل خدمات الوحدة علاج الحيوانات المريضة واجراء الجراحات واعطاء الادوية اللازمة لها ،

ومن اهم مصادر الانتاج الحيوانى اللحوم والالبان .

وتشكل منتجات الالبان نسبة كبيرة من دخل الفلاح سواء مــا استهلك داخل المنزل او ماتم بيعه خارجه ،

ومن الملامح الثقافية المميزة فى هورين ان بيع اللبن فى صورته الاولية وهو سائل يعد عيبا كبيرا ولاتجرؤ اسرة على بيع لبن ماشيتها ، اذ يقابل ذلك باستهجان واستنكار من المجتمع الهوريني ، بينمـــا لايعتبر هذا عيبا فى قرى اخرى مجاورة ولاتبعد عن هورين سوى كيلــو مترين مثل قرية كفر هلال مثلا حيث تتنافس الاسر فى الحصول على اكـبر عائد نقدى من بيع اللبن .

ويكمل النشاط الحرفى فى القرية متطلبات النشاط الزراعى مــن عدد والاتجسد حاجة الاهالى فيما يحتاجونه من مهن وخدمات اولية ، وهذه الحرف متعددة فى القرية حيث تفى بالاحتياجات الاوليـــــة البسيطة لسكان القرية . وتختص بالاعمال الحرفية طبقة معينة ، تتوارث

هذه الحرف عن الاباء وبعض هذه العائلات لم تكن اصلا من اهل القرية ولكنها اتت من قرى او مدن مجاورة منذ وقت مبكر وطاب لها المقام فاستقرت فى هورين وعلمت اعضاءها هذه المهن .

وتنقسم الحرف من حيث طريقة دفع الاجر الى قسمين :

اولا : حرف يدفع مقابلها بالاجر العينى دون النقدى ، وذلك بان يدفع للقائمين بها نسبة معينة من المحصول (ذرة — قمح) مقابل الخدمات التى يقدمونها طوال السنة وهو ما يعرف بنظام المسانية .

ويمكن اعتبار نظام المسانية بمثابة وسيلة للتبادل الاقتصادى بين الحرفى والمزارع كما يتميز هذا النظام بعدة خصائص نجملها فيما يلى :

١ — ان لكل حرفى من اصحاب حرف المسانيات عائلات معينة يتعامل معها وبذلك تتوزع القرية على عدد محدود من اصحاب هذه الحرف .

٢ — توجد علاقة تعاقدية عرفية غير مكتوبة بين حرفى المسانيات وعملائهم ، فيعرف كلا منهما حقوقه وواجباته . وتستمر هذه العلاقة لسنوات طويلة ولاتتأثر بوفاة رب الاسرة او احد اعضائها اذ يقوم الوريث باداء نصيب الحرفى عند جمع كل محصول من الذرة والقمح كذلك اذا توفى الحرفى او لم يعد قادرا على العمل فان ابنه الذى ورث عنه هذه الحرفة يقوم بالعمل لدى نفس العائلات .

٣ — ان امثال هؤلاء الحرفيين لايملكون غالبا ارضا زراعية وهم يعيشون عادة على مايحصلون عليه من مسانيات .

٤ — تقتصر مهمة حرفى المسانيات على العمل بأدوات يمتلكها ، اما الخامات الاولية او الاخشاب التى سيتم تصنيعها كما فى حالة النجار ، فيقدمها صاحب الدار .

اما اصحاب هذه الحرف والمهن فهم :

النجار الجفاوى : وهو الذى يقوم بصناعة وصيانـــة الادوات الزراعية الثقيلة مثل المحراث والقصابية والزحافة والنورج ، والاجـــزاء الخشبيةمن الحلزونة ويصنع ايضا الابواب والشبابيك وبعض الاثــــاث المنزلى البدائى مثل الاريكة (الكنبه) و (الطبلية) والكروتيه (الدكه)

السمكرى : يقوم بتركيب وصيانة الطلمبات والطلمبات لهـــا دور هام فى حياة اهالى هورين حيث يعتمدون عليها منذ امد بعيد بصفـة اساسية كمورد للمياه النقية .

ويقوم السمكرى ايضا بصناعة بعض الاعمال المعدنية الخفيفة .

العددى (السروجى) : يقوم بصناعة وصيانة الامتعة (العدد) التى تركب على ظهور وسائل الركوب والنقل من الحيوانات مثل الجمـال والحمير والخيل ، والتى تصنع من الجلد والقش وبعض انواع من القماش السميك وبعض القطع الخشبية .

القصاص : وهو المختص بقص شعر الحمير والخيول وبر الجمال وجز صوف الغنم .

القارىء (الفقى) : يقوم بتلاوة القرآن الكريم فى داخل الدور مرتين فى الاسبوع ، ويقابل من اهل الدار باحترام وتبجيل .

الحلاق (المزين) : ومهنته تقتصر على الرجال والابنــــاء ويطوف الحلاق على زبائنه فى المنزل او فى الحقل .

وللحلاق ايضا دور فى اعداد العريس يوم الحنة حيث يقوم بوضع الحنة فى يدى العريس ورجليه .

وهناك عدد من الحرف والصناعات اليدوية تندرج تحت نظـــام المسانية يدفع مقابلها للحصول عليها نقودا اهمها :

صناعة النسيج : تنتشر الانوال الخشبية اليدوية التى تقوم بنسج المنسوجات القطنية والحريرية وانتاج اقمشة المفروشات (الكوفرتات)

صناعة الفحم : وتختص بهذه الصناعة عائلة واحدة بالقرية ويقوم العمال بقطع اخشاب الاشجار بالطرق البدائية الاولية دون الاستعانة بوسائل آلية حديثة ٠ فيستخدمون البلطة والمنشار الكبير الذى يمسك به عاملان ٠ وصناعة الفحم بالقرية تتم عن طريق وضع قطع الخشب فى حفرة وتغطيتها بطبقة من الطين المخلوط بالتبن وتترك فتحة من احد الجوانب ، ثم تشعل النار بها وتترك عدة ايام حتى يتم تفحيم الخشب ثم يصدر الى الشركات المستهلكة ويباع لتجار الفحم فى المدن ٠

حرفة الشلف : الشلفة عبارة عن شبكة كبيرة تصنع خيوطها الغليظة من حبال التيل وتجدل بطريقة معينة وتستخدم الشلفة لاغراض مختلفة منها تعبئة التبن والقطن والمحاصيل الزراعية الكبيرة الحجم لامكان تحميلها على الدواب ٠

جساس الماشية : وهو الذى يقوم بالكشف على الحيوانات لكى يعرف ما اذا كانت (عشر) ام لا ، وفى اى مرحلة من مراحل الحمل ٠ كما يستعان به عند شراء الماشية او بيعها ٠

قياس المساحة : وهو شخص تخصص فى قياس مساحة الاراضى الزراعية ومعرفة حدود وزمام كل حوض ، كما انه يعرف الى حد كبير تطور تاريخ ملكيات الاراضى ٠

تقسيم العمل بين الجنسين :

تقوم الاسرة بوظيفة انتاجية متكاملة حيث يتعاون افرادها فى العمل والانتاج الزراعى ، فيتوزع العمل بينهم بشكل يتكامل فيه الانتاج فالرجال يقومون بالاعمال الزراعية الخارجية عن نطاق الدار بينما تختص النساء بالاعمال التكميلية او المتصلة بالماشية داخل الدار واعداد الاغذية والاعلاف الخاصة بها ، كما تقوم بحلب الماشية وصنع

الالبان من مسلى وجبن ، كما تختص النساء بعملية دهك (ترصيع) الحوائط والاسقف بالطين سواء عند بناء منزل جديد اوعند عمل العمرة السنوية التى تتم عادة فى فصل الصيف بسبب ماتحدثه امطار الشتاء من اتلاف بالاجزاء الخارجية من الدار . ويقع على النساء ايضا عبء جميع الاعمال المنزلية وخاصة تلك التى تختص بغذاء الاسرة ومايتصل بها من شراء السلع الغذائية والاستهلاكية من السوق والذهاب الى ماكينة الطحين لطحن الحبوب ، وكذلك عملية عجن الدقيق وخبزة فى فرن الدار . وتتزامل النساء فى عملية الخبز والعجن .

الاسواق : يقام فى قرية هورين سوق محلى (سويقة) مرتين فى الاسبوع ، ويعرض به الخضروات والفاكهة وكذلك الادوات المنزلية البسيطة والاقمشة الشعبية .

ويقوم بعرض هذه السلع تجار وسطاء يجوبون اسواق القرى المجاورة كما يعرض بعض الحرفيين مصنوعاتهم المحلية وقد تنزل احدى القرويات للسوق لبيع بعض المنتجات الزراعية او منتجات الالبان كالزبد او الجبن .

ومما يلاحظ ان الذى يقوم بالشراء هن النساء ، حيث ان شراء احتياجات الاسرة من اختصاص المرأة فقط . ولاتباع فى هذه السوق الماشية او الحيوانات ، حيث ان ذلك مقصور على الاسواق الرئيسية التى تقام فى مراكز المحافظات مثل سوق بركة السبع حيث توجد جميع احتياجات الفلاح .

واحيانا لايقتصر التعامل بالسوق على النقود ، فقد يتم على نطاق ضيق تبادلات سلع ومنتجات بسلع اخرى كمبادلة كمية من الذرة بكمية من الملح مثلا .

وبجانب الوظيفة الاقتصادية التى للسوق ، فانه يقوم بوظيفة اجتماعية ايضا حيث تتداول فيه اخبار القرية واحوال اهلها ومعرفة

آخر التطورات فى المسائل التى تهم القرية مثل وصول السماد الكيماوى او البذور او الكسب للجمعية .

الى جانب هذا فان الشباب يذهبون الى مكان قريب من السوق لاختيار فتاة احلامهم .

نظام الزمالة : ينتشر نظام الزمالة فى هورين وهو نظام يقوم اساسا على التعاون والتكامل بين صغار الفلاحين ويحتم على كل عضو تضم لجماعة زمالة بمساعدة زميله فى العمل الزراعى فى مختلف المجالات التى لا يستطيع ان يقوم بها بمفرده على ان يرد له هذا العمل فى ايام اخرى تالية .

ويتميز نظام الزمالة بعدة خصائص اهمها :

— كثيرا ما تمتد الزمالة لتشمل العلاقة بين اكثر من زميلين .

— لاتقتصر الزمالة على الجهد البشرى وحده بل تتسع لتشمل اعارة الزميل احد قطعان الماشية او الدواب .

— ليس من الضرورى ان يرد الزميل بنفسه ايام العمل التى قضاها عنده زميل له ، فاحيانا يرسل عوضا عنه احد العمال الاجراء ليقوم بهذا العمل او احد ابنائه القادرين .

— ان الحقوق والواجبات بين اطراف الزمالة فردية . بمعنى أن كل زميل مسئول امام زميله فى سداد التزامات العمل وليس امام مجموع الزملاء للفرد الواحد . كما ان فض الزمالة من جانب فرد لا يستلزم فضها بين جميع الزملاء .

— الاتصال بين الزملاء للاستدعاء للعمل يجب ان يتم فى مساء اليوم السابق للعمل (يبيت عليه) حتى يمكن للمزامل ضمان تفرغه فى اليوم المحدد للعمل .

— هناك مواسم زراعية تتطلب اكبر عدد ممكن من الايدى العاملة فى الزراعة وفى تلك المواسم يقسم الزملاء انفسهم للعمل عند كل منهم اياما محددة •

الاجهزة الادارية بالقرية :

من الملاحظ ان قرية هورين كانت تابعة لمركز السنطة محافظة الغربية منذ عشر سنوات ، وانتقلت الى زمام محافظة المنوفية بعد اعادة تنظيم الادارة المحلية الذى استتبع انشاء مركز بركة السبع •

وبهورين مجلس قروى يشرف على سبع قرى هى :

هورين — كفر هورين — الحلامشة — كفر نفره — كفر هلال — كفر الشيخ طعيمة — كفر عليم • ورئيس المجلس القروى يختار من بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى بالمركز وهو متفرغ بالمجلس •

ويمثل كل قرية من القرى السبع مندوب فى المجلس القروى يشغل منصب رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بها ، كما يضم المجلس اعضاء بحكم وظائفهم مثل طبيب المجموعة الصحية ورئيس نقطة الشرطة ومنسق التسليف والشئون الاجتماعية بهورين •

والاتحاد الاشتراكى من اهم التنظيمات الرسمية بالقرية ، حيث ان اعضاءه يمثلون ابرز الشخصيات فى القرية ، كما انهم ينتمون لعائلات لها مكانتها الاجتماعية والسياسية • وذلك ييسر لهم القيام بوظيفتهم على اكمل وجه • فمثلا فى لجنة فض المنازعات يتم كل شئ فى جو تسوده الروح العائلية اكثر من كونها اجراءات رسمية وبذلك يقبل الافراد المتنازعين حلولها عن طيب خاطر • كما انه فيما يخص المشروعات الاجتماعية التى تحتاج اليها القرية نجد ان القادة السياسيون يلعبون دورا هاما فى السعى لدى الجهات المسئولة لتسهيل مهمة انجاز هذه المشروعات •

هذا وما هو جدير بالذكر مساهمة ومشاركة التنظيمات الشعبية والاهالى فى هذه المشروعات ٠

وقد وجد ان بعض المشروعات العمرانية والاجتماعية لهـــا جاذبية خاصة فى نفوس الاهالى واقبالهم على المساهمة فى تكاليـف اقامتها مثل المساجد والمدارس ٠

ويلعب القادة المحليون دورا كبيرا فى تجميع الجهود وتنظيم حملات جمع المال اللازم لاقامة هذه المشروعات ٠

ومن وسائل الضبط الاجتماعى التربية والعرف والقانون — حيث يتدرب الفرد على مختلف انماط السلوك السائدة فى المجتمع منذ طفولته حيث يتلقى التراث للجماعة التى يعيش فيها وذلك عن طريق اتصالـه بالجماعات الاولية التى تعيش فى بيئته كافراد الاسرة او الاجيران أو اى جماعة اخرى يتصل بها فى مراحل نموه المختلفه ٠ ويتخذ هـــذا التدريب اما طرقا مباشرة ومنظمة كما هو الحال فى المدارس والاندية ٠ واما طرقا غير مباشرة وغير ظاهرة كما هو الحال فى الاسرة وزمرة الرفاق فى القرية وكذلك كبار السن ٠ حيث يحاط الفرد بعدة جماعات تمارس عليه ضبطا اجتماعيا فى كل وقت عن طريق الثواب او العقاب او مايعرف فى القرية باسم " العيب " ولايقل عن هذا قوة العرف والتقاليد لانها تعتبر احيانا اقوى من القانون لان السلطة التنفيذية التى تطبـــق القانون والمتمثلة فى جهاز الشرطة فى القرية لاتتواجد فى كل ارجاء القرية وبين الحقول ومساكن القرويين فى الاوقات المختلفة ٠ فبينمـا يشترك كل اهالى القرية فى مراقبة سلوك وتصرفات بعضهم بعضـا ٠ مما لايدع مجالا لخروج الافراد على الانماط العرفية ٠ فكل فرد يعرف نوعية الافعال التى تعتبر مقبولة اجتماعيا ٠ وماهى الافعال التى تعد من قبيل الخروج على النظام العام فى القرية ٠

كما تشكل ايضا مجموعة القواعد الدينية باوامرها ونواهيهـــا ضوابط اجتماعية ذات سلطة عليا ٠ والقروى شديد التدين بطبيعـــة ٠

وذلك بحكم النشأة والتكوين ورؤيته المباشرة للظواهر الطبيعية فيما يصادفه فى عمله من زرع وانبات •

ولذلك يعرف القروى ان الله يراقبه فى سلوكه وتصرفاته وبذلك نجد ان الدين كضابط اجتماعى اكثر تغلغلا وشمولا فى نفوس الافراد من الضوابط الاجتماعية الاخرى •

اما القانون كضابط اجتماعى فيعتبر اقل تأثيرا فى مجتمع القرية عنه فى مجتمع المدينة • وذلك لان القرية مجتمع متجانس متكامل الى حد كبير مما لايتيح الفرصة للافراد للخروج عن النظام العام •

ولكن نظرا لعوامل التغير الاجتماعى التى بدأت تظهر فى القرى مؤخرا واتساع دائرة العلاقات الخارجية بين القرى والمدن لسهولة المواصلات وتعددها وخروج غالبية افراد المجتمع سواء للدراسة أو العمل خارج القرية • ضعفت الروابط الاجتماعية الضابطة بين افراد المجتمع الريفى واصبحوا بمنأى عن الرقابة المباشرة لسلطة الجماعات الاولية التى اعتادوا عليها فى مجتمع القرية • لذلك قويت الحاجة الى الاستعانة بالقانون وتزايد الاتجاه للالتجاء الى السلطات القضائية أو التنفيذية للفصل فى منازعاتهم وشهدت ساحات القضاء بعض القضايا التى كانت من قبل يفصل فيها عن طريق كبار السن فى القرية •

العلاقات القرابية لسكان القرية :

اما عن العلاقات القرابية • فقد عرف من الروايات المتداولة[1] ان معظم العائلات الحالية قد وفد مؤسسوها الى القرية منذ فترة لاتزيد عن اربعمائة سنة تقريبا • وان زادت او قلت عن هذا فذلك تبعا لظروف مؤسسى كل عائلة • كما تختلف الجهة التى هاجر منها • فمؤسس عائلة " اللاشاينة " هاجر من بلدة قمبوط القرد ـ محافظة

(١) هذه المعلومات اخذت شفهيا من كبار السن فى القرية •

الغربية . اما عائلة الرخاوى ، فقد هاجر موسسها من بلدة ميت الرخا مركز زفتى محافظة الدقهلية . وموسس عائلة نصار هاجر من بلدة ســن الوجه القبلى . وموسس عائلة الشرقاوى اتى من بلدة القرين محافظـــة الشرقية ، اما موسس عائلة الحوالة فأتى من بلدة الباجور محافظـــة المنوفيـــة .

ولقد دامت الاتصالات والزيارات المتبادلة بين موسسى هـــذه العائلات واصولهم فى البلاد التى هاجروا منها ثم انقطعت بمرور الوقت ولم يعد الابناء الحاليون يعرفون عن اسلافهم فى الوطن الاول شيئا . سوى مايذكره لهم كبار السن من روايات تتعلق بالنشأة الاولى للاجداد الاوائل والظروف التى احاطت بمقدم كل منهم الى قرية هورين واستقراره بهـــا .

وعندما استقر هولاء المهاجرون تزاوجوا من القرية وكونوا عائلات تحمل اسماءهم واستقل كل منهم بناحية معينة من البلدة . ولظـــروف الامن والحماية التى لم تكن قائمة فى تلك العهود اقاموا بوابات(١) عنـــد المداخل الموءدية الى مساكنهم كانت تغلق ليلا ولا زال بعضها موجودا حتى اليوم .

القرابة بين العائلة الكبيرة والاسرة :

نظرا لما اشرنا اليه كان الزواج من داخل العائلة الواحـــدة (الاندوجامى) مرغوبا فيه لكى تحتفظ بتماسكها وزيادة عدد اعضائها وحتى بالارض الزراعية المملوكة للعائلة وعدم انتقالها عن طريق الميراث الى عائلات اخرى .

وبذلك كانت كل اسرة وحدة اقتصاديوقرابية واحدة يعيـــش افرادها فى مسكن واحد اوعدة مساكن متجاورة تكون نسبا قرابيا واحدا وينتسب جميع افرادها لرب العائلة الذى يتولى الزعامة السياســـية والاجتماعية للعائلة فى كافة المناسبات ولايخرج افراد العائلة عن طاعته .

(١) تسمى بعض هذه البوابات ، بوابة ابو احمد ، بوابة الشراقـــوة ، بوابة التراكوة ... الخ .

اما الان فقد تفككت العائلة وزاد الميل للزواج خارج نطاق الجماعة القرابية التى ينتمى اليها الشخص وذلك نتيجة التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى شكل العائلة بعد زيادة عدد افرادها زيادة هائلة مع بقاء مساحة الارض الزراعية كما هى وتفتيتها عن طريق التقسيم على عدة افراد وتطلع افرادها الى الاستقلال عن العائلة وانتشار التعليم وظهور انماط للعمل لاتقتصر على العمل الزراعى • وبذلك لم تعد العائلة الكبيرة وحدة اساسية فى البناء الاجتماعى للقرية بل حلت محلها الاسرة التى تتألف من زوج وزوجته واطفالهما •

ولهذا النمط من الاسرة عدة اشكال منها :

— اسرة مستقلة من الناحية الاقتصادية والسكن •

— أسرة مستقلة من الناحية الاقتصادية ولكنها لاتزال تقيم بمنزل العائلة القديم •

— أسرة شبه مستقلة من الناحية الاقتصادية ولكن لاتزال تشترك مع العائلة فى العمل الجماعى والسكن •

ومع ان استقلال الاسرة الجديدة اصبح ظاهرة ملفتة للنظر الا انه لازالت توجد القليل من الاسر التى تعيش فى كنف العائلة الابوية او الاموية فى حياة اقتصادية واجتماعية واحدة • ويشرف على شئونها الاب الكبير كما تشرف الام الكبرى على زوجات ابنائها وتتولى تقسيم العمل بينهن فى الدار •

ومما هو جدير بالذكر ان الاتجاه الان للزواج خارج العائلة (الاكسوجامى) وسع من دائرة العلاقات القرابية التى يمارسها الشخص وبذلك تغير اسلوب التماسك القرابى وتحول مساره من تماسك بين اعضاء العائلة الواحدة الى تماسك بين اكثر من عائلة وبذلك زاد التماسك بين مختلف العائلات التى قد تصل الى القرية كلها وعلى هذا احيط الفرد بشبكة من العائلات القرابية بالعصبة او بالمصاهرة •

اما فيما يخص التعليم بالقرية فهناك نوعان من التعليم :

١ — التعليم غير الرسمى : من المعروف ان تربية الاطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة يعتمد اساسا على الام وذلك الى ان يبلغ الطفل السن المدرسى ، ولكن غرس البذرة الاولى فى التعليم يرجع الى جهود شخصية فى البداية قام بها احد المتحمسين المستنيرين من اهالى القرية • والذى قام بهذا العمل فى قرية هورين هو ظهور رجل من اهلها يسمى الشيخ الشرقاوى الذى وصل الى مرتبة علمية عالية بان كان احد علماء الازهر الشريف — ولقد بدأ الشيخ الشرقاوى فى نشر التعليم بالقرية عن طريق انشاء (الكتاتيب) لتعليم الاطفال القرآن الكريم ، وبعد ذلك القراءة والكتابة وقد اتصفت جهود هذا العالم بانه لم يكن داعية لنشر التعليم بين ابناء القرية فقط ولكنه كان مصلحا اجتماعيا ايضا حيث نادى بنبذ بعض العادات البالية ودعى الناس الى الاقتداء به ثم تابع هذه الرسالة الشيخ الرخاوى وهو عالم آخر فى الازهر الشريف • فتابع حالة التعليم فى القرية وارسال التلاميذ النابهين من اهلها الى القاهرة لاستكمال تعليمهم فى المعاهد الدينية او دار العلوم وحث الاهالى على اتاحة الفرصة امام الابناء لمواصلة التعليم فى المراحل المختلفة ورعايتهم اجتماعيا وماديا على حسابه الخاص •

٢ — وقد تحول بعض هذه (الكتاتيب) الى مدارس ابتدائية بعد اهتمام السلطات الرسمية بادخال التعليم فى القرية ولازالت احداها تحمل اسم موسس التعليم فى القرية — ثم تبعها انشاء المدارس الابتدائية فى القرية ثم مراحل التعليم التالية — وذلك بعد ان تنافست العائلات فى تعليم ابنائها واصبح يقاس مركز الفرد الاجتماعى بمقدار ماعلم من ابناء ، ومستوى ذلك التعليم مما كان له اكبر الاثر فى نشر التعليم وذيوعه فى القرية وكان نتيجة ذلك تغيير ملحوظ فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية •

ويوجد الان خمس مدارس ابتدائية الى جانب مدرسة اعدادية وقد انشأت حديثا مدرسة ثانوية نتيجة لمطالب اهل القرية والجهود الذاتية للاهالى بالتعاون مع وحدة الاتحاد الاشتراكى العربى بالقرية وايضا مدرسة تجارية ثانوية .. كما ان عددا ليس بالقليل من شباب القرية قد وصل الى المراحل الجامعية المختلفة ولكن يغلب عليهم التعليم التجارى العالى .

وعندما نتحدث عن دورة حياة الفرد فى قرية هورين لابد أن تبدأ بالميلاد وغالبا ماتكون السيدة الحامل تحت رعاية واشراف الداية او المولدة التابعة للوحدة الصحية طوال فترة الحمل وخاصة خلال الاشهر الاخيرة ، واذا استعين بالداية فانها تقيم قبل موعد الوضع الذى تعرفه غالبا بالتحديد فى دار الزوجة لملاحظتها والعناية بها استعدادا للحظة الوضع .. وهى اثناء ذلك تشارك اهل الدار معاشهم . اما اذا استعين بالمولدة فانها تدعى فقط حين تشعر المرأة بالام الوضع . وربما تقيم والدة الزوجة الحامل او حدى اخواتها اقامة كاملة معها وتتعاون الام والحماة والاخوات فى الاعداد للوضع .

وغالبا مايكون للمولود الذكر فرحة اكثر من الانثى ويحتفل يوم السبوع الذى تحضره الداية او المولدة — واذا كانت الداية فانها تقوم بدور كبير فى تنظيم الحفل والتغنى فيه للطفل والدعاء له بالعمر الطويل والسعادة وربما تقوم بعمل حجاب للام او لطفلها او لكليهما او تعهد بذلك بنفسها لمختص .

كما انها تقيم ببيت الام ولاتغادره الا بعد السبوع — وكأنها واحدة من اهله .وكما يشارك الاهل والاصدقاء فى الافراح بهدايا عينية او مالية فانهم ايضا يشاركون فى السبوع وربما تكررت العملية فى حالة ختان الاولاد .

وفى يوم الاحتفال بالسبوع يحضر الاهل والمعارف مصطحبين معهم اولادهم وتوزع على الاولاد شموع واكياس مليئة بالفول السودانى

والحمص والحلوى ويبدأ الاحتفال باشعال الشمعة الكبيرة (يجهز ابريق فى حالة المولود الذكر ، وقلة فى حالة المولود الانثى حيث يزركش كل منهما بعد أن يملأ بالماء ويوضع على الفوهة شمعة كبيرة كما يغطى باشارب او مفرش ويزين بالذهب والمجوهرات من عقود واقرطة واساور) ، وفى بداية الحفل تشعل الشمعة الكبيرة ثم يشعل الاولاد شموعهم وتقوم الداية بوضع المولود فى (غربال) وتهزه يمنة ويسره بين يديها عدة مرات مع ترديد بعض الاغانى (ربما كان من بين ماتقوله للطفل وهى تهزه (اسمع كلام ابوك ، ماتسمعش كلام امك .. اسمع كلام عمك ، ماتسمعش كلام خالك) . الى مثل هذه العبارة التى تدعو الطفل لاحترام خط الذكور من اهله ويردد الجميع خلفها مقاطع من اغانيها . بينما تقوم فتيات الدار برش الملح على المدعوين (لمنع الحسد) واما فى مرحلة الطفولة والشباب فنجد ان الفرد لايكتسب من اهل البيت قيمهم وعاداتهم وسلوكهم وتصرفاتهم ولهجتهم فحسب .. بل ان اكتسابه لمعظم هذه العناصر يأتيه كذلك من خارج البيت ، من ابناء وبنات الجيران ـ حيث يقضى الطفل معظم وقته ان لم يكن كله معهم خارج البيت .

وتنحصر العاب الاطفال ـ خاصة الاولاد فى الجرى وتسلق الاشجار ـ وربما الاستحمام فى الترع ـ وكل الالعاب التى تحتاج الى سرعة وحركة ـ بينما تفضل البنات تقليد الامهات منذ الصغر فيغلب عليهن الهدوء ويملن الى حمل الصغار والتغنى لهن باغنيات يسمعنها فى الافراح وغيرها .

ويظل الابناء حتى المساء خارج البيوت وربما يعودون مرة اخرى بعد العشاء ليتوجهوا الى الطريق الزراعى حيث يتحاكون ، ويتسامرون ـ هذا فى الصيف ـ اما فى الشتاء فانه يختلف عن ذلك حيث البرد قارس والندى منتشر واحيانا الامطار ـ فيلجأ الابناء الى بيوتهم مبكرين . والشتاء هو الوقت الذى يتجمع فيه افراد الاسرة جميعا فى المساء داخل البيت يلتفون حول حلقة نار او مدفأة او بالقرب

من الفرن الكبير المنبعث منه الدفء ، يناقشون مشاكل العمل والبيت والجيران او يقصون الحكايات المختلفة عنهم او عن معارفهم من خلال تداعي الذكريات اما البنات فهن عادة يلزمن البيت عند المساء فيجلسن بين امهاتهن واخواتهم او يزرن معهن جيرانهن .

وغالبا مايمد الطفل — الذى بلغ السن المدرسى — يد المساعدة لابيه واخوته فقد يعود الابن من المدرسة ليتجه الى الحقل مشاركا الاب عمله بقدر استطاعته وعلى وجه الخصوص اثناء الصيف اذ يصبح احد الاشخاص المعتمد عليهم فى الحقل .

اما البنت فتدخل المرحلة التى تبدأ فيها معاونة الام والاخوات فى البيت وتوصيل الطعام الى الحقل او حمل اشياء اخرى منه او اليه واستحضار المياه من الطلمبة الخارجية الى البيت وغسل الاوانى والملابس وكل الاعمال الخاصة بالمرأة .

وليس هناك وسيلة لشغل وقت الشباب او استثماره غير مركز للشباب غير معد اعدادا كافيا ولايستوعب الجميع . ولذا يفضل بعض الشباب بان يتجمعوا فى احد الدواوير[1] لممارسة بعض النشاط — كنواة لناد خاص .

وسن الزواج بالنسبة للشباب يختلف بحسب حالته التى وصل اليها . فالشباب الذين اختاروا طريق التعليم — وهم الغالبية العظمى — لايقبلون على الزواج الا بعد ان يلتحقوا بوظائف مضمونة . اما الشباب منهم الذين اختاروا طريق العمل فى الحقل او الذين انتهوا من دراستهم المتوسطة والتحقوا باعمال — فهؤلاء يتزوجون مبكرا . وفى الاغلب يتزوجون من فتيات يماثلنهم فى التعليم — اى ربما يكتفى الفلاح بزوجة لم تستكمل المرحلة الابتدائية ، وربما اكتفى الشاب متوسط التعليم بزوجة كالسابقة او اعلى قليلا من حيث التعليم ،

---

(١) جمع دوار .

اما الجامعيون فغالبا مايتزوجون من جامعيات •

وبالنسبة لاختيار المتعلمين لزوجاتهم _ فغالبا مايتزوجون من بنات اقاربهم او معارفهم بالقرية • ويسهل الوصول للاختيار من بينهن• اذ ان الجميع يعرفون بعضهم البعض _ وخاصة وانهم تلقوا فى سن الطفولة تعليمهم معا وربما كانت هناك عاطفة حب _ سرية للغاية _ تربط بين الاثنين • وربما يحدث ذلك ايضا بالنسبة لشباب الفلاحين • الا انه من التقاليد الشائعة ان يتوجه نفر من هؤلاء الشباب الذين وصلوا الى سن الزواج يذهبون الى مرتفع معروف فى (السويقة) ويجلسون منتظرين مرور الفتيات اثناء شرائهن لوازم البيت او بيعهن منتجات مختلفة وذلك لكى يختاروا من بينهن زوجاتهن •

بعد ان يجد الشاب الفتاة المناسبة يعود الى البيت ويخبر امه او اخته " باختياره " وعندما يتم الاتفاق على الفتاة المذكورة يتوجه اكبر العائلة سنا الى بيت الفتاه ويخبر امها او اباها (بانهم) سيمرون (عليهم) فى المساء ليشربوا القهوة وهذا يعنى انه جاء ليخطب احدى الفتيات لاحد شباب عائلته • وعادة لايضم هذا المجلس سوى الرجال من كلتا الاسرتين فاذا اتفق الحاضرون على خطبة الشاب للفتاه قرئت الفاتحة واتفق على قيمة المهر والشبكة والتزامات اهل العروس لشراء الجهاز وتتفاوت قيمة المهر والشبكة باختلاف حال الاسرتين •

ويحدد (لتقبيض المهر) جلسة حيث يقوم كبير اسرة الفتى بتقديم المهر والشبكة السابق الاتفاق عليهما لكبير اسرة الفتاة بحضور افراد كثيرين من كلتا العائلتين وعلى اهل العروس الانتهاء من اعداد الجهاز فى اقرب وقت ممكن كما تحاول العروس الانتهاء بسرعة من اعداد الملابس والمفروشات •

وغالبا مايذهب عدد كبير من الاسرتين لشراء مايحتاجه العروسان من جهاز وادوات •

وقد يتم عقد القران مع الدخلة في يوم واحد وهو الشائع وفي عقد القران يقام حفل كبير في بيت العروس يحضره عدد كبير من المعارف والاصدقاء •

وتنتقل حاجيات العروس من ادوات ومفروشات من بيتها الى بيت العريس يوم الدخلة او في يوم سابق له وتسبق الدخلة عادة ليلة تسمى (ليلة الحنة) — وهي عادة يوم الاربعاء ، وفي هذا اليوم تحضر الماشطة الى بيت العروس وتقوم باعداد الحنة لتضعها على يدي العروس ورجليها وكذلك صديقات العروس واولاد الجيران كما تقوم بتزيين العروس وتعطيرها ويتم ذلك ايضا للعريس في بيته بواسطة الحلاق • وفي يوم الدخلة يصطحب احد الكبار من اسرة العريس — ربما الخال او العم او الاخ الاكبر بعض الاقارب ويذهبون لاستحضار العروس ، ويعود الجميع مصطحبين العروس وسط موكب بهيج ويتوجهون الى بيت العريس (من التقاليد المرعية حتى الان يبدأ خروج موكب العروس من بيتها — وكذا دخوله الى بيت العريس — بالرجل اليمنى) ويسير الموكب ناحية اليمين حتى لو كان بيت العريس ناحية الشمال (وهو نوع من التفاؤل والاستبشار) •

ويقف العريس في داره منتظر الموكب حيث يتقدم نحوه ويحيي عروسه ومن معها (ويتسلمها) ويدخل بها الى داره مع ارتفاع الزغاريد والتصفيق وعبارات التحية والمباركة وتقام وليمة كبيرة في بيت العريس ولايجب ان يمتنع احد عن تناول الطعام •

وفي صبيحة اليوم التالي — وهو مايطلق عليه اسم " الصباحية " تعد ام العريس طعام الافطار وتوقظ العروسين وبعد الفطور تحضر ام واخوات العروس للتهنئة ثم يتتابع حضور اهل العروسين ومعارفهما واصدقائهما •

وتبدأ العروس ابتداء من اليوم الثاني مباشرة — العمل داخل المنزل بمساعدة اخوات العريس • ويخرج العريس الى عمله ابتداء من

اليوم الثالث مباشرة ، بينما لاتبرح العروس البيت حتى لزيادة اهلهـا الا بعد مرور شهر كامل . ويقدم العريس لعروسه فى بعض المناسبات هدايا رمزية (كعروسة حلاوة) فى اول مولد نبوى تحتفظ بها حتى تنجب الطفل الاول او قطع القماش الملون او الملابس فى الاعياد وعادة تتعجل الاسرتان العروسين لانجاب الاطفال ويكون السؤال الرئيسى لام العريس او ام العروس متصل بهذا الموضوع دائما .

عادات متصلة بالوفاة :

عند حدوث وفاة بالقرية يخرج مناديا ليعلن على اهل القرية نبأ وفاة فلان من عائلة كذا . وتقام ليلة المأتم التى قد تمتد الى ثلاثة ايام متتالية لاستقبال المعزيين من اهل القرية والقرى المجاورة .

وكانت كل اسرة فى القرية — فى الماضى — تخرج صينية عليها بعض انواع الطعام مشاركة لاهل المتوفى فى اطعام وفود المعزين التى ترد اليهم بالتالى عند حدوث وفاة عندهم . وعلى هذا تصبح هذه الصينية دينا واجب الاداء عندما تحين الفرصة لردها .

ولكن احد كبار رجال القرية — الذى نادى بابطال بعض العادات القديمة واسس التعليم فى القرية — نادى ضمن ما نادى به من ابطال عادة ارسال الصوانى واقامة السرادقات ومايستتبع ذلك من تكاليف تشكل عبئا على كاهل اهل المتوفى ماديا ونفسيا . وليس هناك طقوس معينة فى الوفاة الا الصلاة جماعة على الميت فى المسجد ، ثم تلاوة القرآن بعد العودة من الدفن وتقبل العزاء من المعزين .

ولكن زيارة المقابر تلعب دورا هاما فى القرية حيث انهم يزورون المقابر كل يوم جمعة وخاصة النساء وايضا فى المواسم والاعياد .

الرعاية الصحية :

انشئت بقرية هورين وحدة صحية لخدمة هورين والقرى المجاورة

لها • وتنقسم الوحدة الى عدة اقسام منها : القسم الباطنى ويشرف عليه الطبيب المقيم وقسم الاسنان وتشرف عليه طبيبة غير مقيمة ثم قسم الولادة وبه مساعدة مولدة مقيمة الى جانب تمورجى وتمورجية •

والامراض المنتشرة بالقرية هى : البلهارسيا ونسبتها كبيرة جدا والانكلستوما • ورغم وجود الوحدة نجد ان الاهالى يفضلون الالتجاء الى الاطباء الخصوصيين فى المدن القريبة كزفتى او بركة السبع •

ومع ذلك نجد ان الكثيرين يفضلون العلاج بالطرق البلدية أو باعمال الشعوذة ويشيع هذا الاعتقاد بصفة خاصة بين السيدات كبار السن • فمثلا عند علاج الاطفال المستعصى علاجهم بالطرق او الوصفات البلدية يضعون فيما يسمى " الطاقة " وهى (نافذة المسجد الصغيرة)• وذلك عن طريق وضع الطفل المريض فى طاقة المسجد ثلاث جمع متتالية عند الصلاة • وتقوم اثنتان من السيدات بادخال الطفل فى الطاقة وتتلقاه الاخرى من الناحية المقابلة وتقولان اثناء هذه العملية " خذوا ابنتكم وهاتوا ابننا " اذا كان الطفل المريض ذكرا اما اذا كانت المريضة انثى فيقال " خذوا ابنكم وهاتوا ابنتنا " ويقال انهن يقصدن من هذه العملية ابطال العمل الارضى " الجن " الذى سبب المرض للطفل واستعصى علاجه بالطرق العادية ويعتقدون ان العمل يبطل فى ثالث جمعه [1] — وهذه الطاقة تكاد تكون مهجورة ويوضع فيها الطفل دون ان يسمى عليه " اى قول بسم الله الرحمن الرحيم " •

ويشترط فى هاتين السيدتين ان تكونا من كبار السن ويشهد لهما بالتقوى والايمان ومثل هذه العملية تجرى ايضا لمثل هذا الطفل فى ثلاث جمع متتالية ولكن فى المقابر حيث يترك الطفل هناك قبل صلاة الجمعة وتعود بها الام بعد ذلك ويقال انه فى ثالث جمعة اما ان يشفى الطفل تماما من مرضه او يموت •

(١) هذه المعلومات اخذت عن بعض السيدات المسنات اللاتى يقمن فعلا بهذه العملية •

اما فى حالة عدم الانجاب فان الشخص يسير حول البلدة من جهة اليسار فى اخر جمعة من الشهر العربى وذلك قبل طلوع الفجر ماسكا بيده عمود من الحديد ولايتكلم اثناء سيره ويعتقد فى ان السيدة ستحمل فى نهاية هذه الحلقة .

ومنها ايضا ان تصعد السيدة العاقر المئذنة يوم الجمعة اليتيمة وتدور حولها وفى نظير ذلك تدفع مبلغا لخادم المسجد .

اما عمل الاحجبة والتعاويذ والذهاب الى المنجمين وعمل حفلات الزار فهو شئ سائد بكثرة فى البلدة للوقاية من جميع الامراض .

فمثلا تعمل الاحجبة "عمل" لجلب الحب والكره . وتعمل الاحجبة للوقاية من الامراض اولايذاء الاشخاص ايضا مثل الكتابة على الباذنجان الاسود ويقال ان مثل هذا الشخص الذى كتب له على الباذنجان يصاب بالجنون فى موسم الباذنجان ويزول عنه المرض بعد هذا الموسم .

ويلاحظ ان الذين يقومون بهذه الاعمال لديهم كتب قديمة اصلها من المغاربة وهى اساس السحر فى هذه البلدة وقد تركوا كتبهم لبعض عائلات القرية التى مازالت تحتفظ بها وتمارس معظم انواع السحر عن طريقها .

الديـــن :

يدين اهالى القرية جميعا بالاسلام وليس بينهم واحدا يدين بغيره ولذلك فاماكن العبادة كلها تنحصر فى المساجد .

ومن العوامل التى اثرت فى الناس وجعلتهم يتمسكون بالدين فى تعاملهم ما ورثوه عن اهليهم الاولين فلقد حظيت القرية قديما بعدد من (الاولياء) او المشايخ الصالحين الذين كانوا يعتبرون (قادة) فى القرية وهؤلاء لقنوا من تلاهم هذه التعاليم وتناقلت عبر الاجيال .

ويعرف معظم الذين قابلناهم اثناء البحث الكثير عن الدين الاسلامى معرفة صحيحة واما معظم المساجد الموجودة بالقرية يوجد بداخلها اضرحة لاولياء الله الصالحين الذين يقال عنهم انهم كانوا اصحاب (كرامات) اى فى استطاعتهم الاتيان باعمال خارقة . ويتسمى المسجد باسم الشيخ او الولى صاحب المقام .

ويرتبط موضوع الاولياء او ذوى الكرامات بوجهين ، الوجه الدينى والممارسات السحرية والشعوذة كوجه ثان . بمعنى اننا سنتطرق الى الحديث عن السحر اذا تناولنا موضوع الدين والعكس .

واذا كانت نظرة الناس الى اصحاب المعرفة بالدين لاتختلف عن نظرتهم الى باقى الناس — وان كان هؤلاء العالمون به قد يحتلون احيانا مكانا يتسم بالاحترام والتبجيل — فان نظرتهم الى الممارسين لانواع السحر والشعوذة تختلف كثيرا عن ذلك وان كان شعور المتدينين بما يدينون بهيضفى عليهم نوعا من الطمأنينة والراحة فان شعورهم تجاه السحر والشعوذة يختلف عن ذلك كثيرا .

ولكن قد يقترب اعتقادهم فى بعض الاحيان فى الاولياء والصالحين ومايؤتونه من معجزات خارقة من اعتقادهم فى السحرة والمشعوذين — ومايقومون به من ممارسات تقترب الى حد الاعجاز .

وقد اتاحت لنا دراستنا فرصة للتعرف على بعض هؤلاء المشعوذين ومايقومون به واثر هذه الاعمال فى الناس وفى حياتهم اليومية . من هؤلاء من يقوم باعمال الربط ، وفتح الكتاب وقراءة النوى ، والزار ... وبالرغم من ان بعض هؤلاء كان من الصعب التدخل فيما يقومون به او محاولة التعرف عليها و مشاركتهم اعمالهم الا اننا استطعنا مع كل الصعوبات التى واجتنا ان نقف على مايقومون به واثره فى الناس ونظرة الناس لهم ومكانتهم بينهم .

فالقائمة باعمال الربط — وهو عمل يؤدى الى فشل الزوج فى

الاقتراب من عروسه ... يعرفها الجميع ويعرفون مدى قوتها فى هذا المجال ويخشونها حقا حتى ولو لم يصرح بعضهم بذلك . وهذه المرأة كانت تقوم اصلا باعمال (الماشطة) [1] فى القرية ولكن نظرا لضعف نشاطها فى السنوات الاخيرة حيث اصبحت الفتيات تتزين بالطرق الحديثة وليست فى حاجة ماسة الى الماشطة من ثم فقدت مورد رزقها فتحولت الى عملها الجديد (الربط) بعد ان قام بتلقينها (سر المهنة) رجل مغربى تعرفت به اثناء تيامها خارج القرية — وقد نجحت فى هذا العمل الجديد ويؤكد الجميع — حتى المتعلمين منهم — ان لها قوة سحرية وانها قادرة مثلا على (ايقاف) الزيجة .

ويتلخص ماتقوم به من اعمال فى حصولها على كمية من الدقيق المطحون توا — حيث يكون دافئا — او حفنة من تراب الارض التى سار عليها العريس او عروسه وقراءة (تعويذة) معينة عليها (تقول انها بعض آيات قرآنية) وفى حالة الدقيق لابد ان تعرف اسم العريس وامه — اما فى الحالة الثانية (حفنة التراب) فلايهم معرفة الاسماء ثم تأتى بشعرة من ذيل جمل او (قشة) من حصيرة وتقوم بعمل ثلاث عقد بها وتضعها مع الدقيق او التراب فى قطعة قماش وتحفظها معها وتستطيع (فك) هذا الربط (العمل) بمجرد حل العقد الثلاث ونشر التراب او الدقيق فى الهواء .

واما قارىء الكتاب فلايتعدى عمله قراءة صفحات معينة فى كتب الطب القديمة وذلك بعد تحويل اسم الشخص الى ارقام وعمل عملية حسابية يعرف من خلالها رقم الصفحة والسطر الذى يخص هذا الشخص .

اما عن قارئة النوى فعملها ينحصر فى قراءة المجهول عن طريق عدد من النوى (نوى البلح) ... عددها ٧ ، تمسك بها صاحبة الحالة وتهمس اليها بما فى داخلها من رغبات ثم تلقى به امامها وامام

---

(١) لقد استطعنا ان نصادق هذه المرأة ونتعرف على بعض خفاياها وجميع هذه المعلومات اخذت منها شخصيا .

القارثة على الارض ٠

وهناك من يقوم بعمل الزار — وهو عبارة عن اقامة حفل موسيقى راقص (باستخدام الناى والدف والطبلة) فى حلقة شبه مظلمة يقوم المدعوون من رجال ونساء بالرقص على نغمات الالات ٠

وهو فى الحقيقة حالة نفسية معينة تحتاج لتفريغ شحنات انفعالية عن طريق الرقص والموسيقى ٠

خاتمة
موجز لاهم حقائق ومحصلات البحث

فى دراسة النواحى الاقتصادية لمجتمع قرية هورين اظهر البحث ان لبعض الاستخدامات التكنولوجية الحديثة اثر هام وسريع على نواحى الحياة الاجتماعية ٠ كما يلاحظ ان نظام الصرف المغطى قد زاد من المساحة المنزرعة وتبعه بالتالى اثار اجتماعية وصحية — وان المجتمع الريفى قد استبدل من الاعتماد على محصول نقدى واحد كالقطن مثلا الى محصولات اخرى ٠

كما تبين ان ارتفاع نسبة المتعلمين بالقرية قد انعكس على نظمها السياسية والاقتصادية والقرابية وكذلك على نمط الملكية السائد ٠ وان نظم التبادل الموجود بالقرية قد لاتعتمد على النقود كوسيلة وحيدة للتبادل ولكن توجد انظمة اقتصادية اخرى تفوق فى اهميتها قيمة النقود كوسيلة للتبادل وذلك بتبادل السلع او الخدمات او حتى مجرد جهد العمل ٠ وان هذه النظم تكون مايسمى " نظام المسانية " ٠

كما ان المجتمع الريفى يحافظ على تماسكه وتكامله وحماية صغار الزراع فيه بتبادل العمل ومساندة بعضهم البعض فى اطار نظام اقتصادى متكامل يحكمه العرف ويحافظ على بقائه التقاليد — يعرف

بنظام " الزماله " ... واظهر البحث ان مفهوم السوق فى القرية يختلف عنه فى المدينة نظرا للروابط والعلاقات الاجتماعية التى تصاحب الانشطة الاجتماعية وبذلك يقوم السوق بدور اقتصادى واجتماعى معا .

وفى مجال النظام السياسى ابان البحث ان القيادات المحلية رغم احتفاظها ببعض سلطاتها القديم على الافراد فى القرية الا ان سلطاتهم قد بدأت تضمحل . ويعطينا هذا اشارة تحذير لايجاد وسيلة بديلة من هيئات او تنظيمات تقوم بهذا الدور القيادى فى مجتمع القرية وحتى يمكن استغلال الطاقات وخلق الشخصيات السياسية التى تسوس القرية بمفاهيم حديثة تمشيا مع الاتجاهات المعاصرة وهو ماتحاول ان تقومه التنظيمات الشعبية بالقرية معتمدة على شخصيات لها وزنها السياسى والمكانة المرتفعة .

هذا وقد قل اعتماد المجتمع الريفى على العرف والتقاليد والسلطة الاولية الممثلة فى كبار السن بالقرية كوسائل فعالة فى الضبط الاجتماعى وزاد الاتجاه الى الالتجاء للسلطات الادارية والقضائية لفض هذه المنازعات .

اما فى مجال العلاقات القرابية وتركزها فى عائلات كبيرة مغلقة على افرادها . فقد تبين ان هناك تحولا ظاهرا لاستقلال الاسر الجديدة فى معيشة منفردة بعيد تعن تمركز العائلة واحيانا يتجه نمط الزواج من داخل العائلة الى خارجها فى مساكن مستقلة . مما كان له اكبر الاثر على البناء الاجتماعى فى القرية فادى الى زيادة الجماعات القرابية التى ينتمى اليها الشخص وزيادة التماسك بين افراد القرية جميعا بل وتعدى ذلك الى القرى المجاورة . وبذلك اصبحت الاسرة هى الوحدة الاجتماعية بدلا من العائلة فى البناء الاجتماعى القروى . وتغير الكثير من وظائفها واصبح الفرد ينظر الى مصلحته الشخصية مضحيا ببعض المصالح العائلية فى سبيل ذلك .

وفيما يخص العمران ، فقد وجد ان القرية قد اتسعت عمرانيا

وقد وجد ان سمة امتداد قرية هورين كباقى قرى الجمهورية وان كانت تتصف بالقدم الزمنى •

ويلاحظ ان شكل القرية يأخذ شكل هندسى دائرى تمثله سكن قرية هورين والتى يميزها طريق يحزم القرية من كل اتجاهها ويأخذ الشكل الدائرى وهو كما يظهر من اسمه — طريق داير الناحية —

ويغلف نواة القرية السكنية سكن ناحية هورين وهو امتداد عمرانى يتجه ناحية الجنوب والجنوب الغربى • ظهرت الاضافات السكنية والتى سجلت على الخريطة الاصلية لمصلحة المساحة مقياس ١ : ٢٥٠٠ واعتبرت الفترة منذ ١٩٤٠ تاريخ آخر مسح للمنطقة وزيارة فريق البحث ١٩٧٢ ، ما اضيف هو امتداد للعمران لم تسجله الخرائط المساحية ولكنه مجهود انشائى جاء نتيجة دراسة ميدانية تم التوقيع على كل اضافة فى الاتجاهات الاربع الاصلية وكان امتداد سكن القرية فى كل الاتجاهات شمالا وشرقا وجنوبا وغربا •

وظهر ان اعظم امتداد للعمران فى هذه القرية ناحية الشرق والجنوب كما يلاحظ على طول الطريق الزراعى مبانى حديثة " الطوب الاحمر والمسلح " • بعضها خاص بالاهالى والبعض الاخر بمنشآت حكومية مثل المدينة السكنية للمغتربين " مدرسين وموظفين " الوحدة البيطرية على الطريق الزراعى فى اتجاه بركة السبع وبعض المدارس الابتدائية — الوحدة الصحية ومساكن الاطباء والمجلس القروى والمدرسة الاعدادية والثانوية التجارية ايضا على الطريق الزراعى فى اتجاه زفتى • هذا مع بقاء البقعة الزراعية كما هى •

اما اذا تكلمنا عن مستقبل الامتداد فالمؤشر واضح ان تأثير سهولة المواصلات ناحية القرية " الى بركة السبع " وكذلك امتداد الطريق الزراعى البرى " بركة السبع — زفتى " كان له الفضل فى ان تحدد ان مستقبل العمران سيكون فى هذا الاتجاه •

ولعل العوامل السابقة هى نفسها التى حددت عدم نمـــو العمران فى الاتجاهات الاخرى ٠

وتبعا لمشروع كهربة الريف المصرى فقد شمل هذا المشروع ايضا قرية هورين مما ظهرت اثاره واضحة بالنسبة للشباب خاصه وباقى افـراد الاسرة عامة حيث يحلو السهر فوق اسطح السطوح ويستمر اللهو واللعب حتى الفجر ومن الشباب من يقوم بقراءة بعض الكتب العلمية او مناقشة بعض المسائل الهامة او ممارسة لعب الطاولة والكتشينة (١) ٠

ومما لاحظه ايضا فريق البحث على قرية هورين بصفة خاصة أن معظم الشباب يتجه الى التعليم بجميع مراحلة والكثير منهم ممن اتـم تعليمه العالى ٠ اصبح يعمل فى المدن او فى العاصمة وهذه الفئـة ليست قليلة ـ حيث أنها تزيد سنة بعد اخرى مما يدعو للقلق وخاصة ان العمال الزراعيون ايضا بدأو يتجهون الى العمل فى المدينـة لزيادة دخلهم وللمزايا التى وجدوها بالمدينة ٠ من مسكن نظيف وملبس وملهى مما جعل القرية تكاد تكون خالية الا من كبار السن وذلك علـى مدار السنة ولكن هذا لايمنع من ان الغالبية العظمى تحس بالحنـين دائما الى مسقط رأسها والى الريف المعروف بهدوئه وجماله وخاصة فى الاجازات(فتنعكس الاية فى الصيف) حيث يعود معظم الشباب اليها٠ والمراد هنا هو ان هذه الاقلية المسنة هى التى تمارس الزراعة لكـى تحافظ على مستوى الانتاج الزراعى مايدعو الى الخوف والقلـق ويجعلنا نتساءل ماذا سيكون مصير القرية ومصير الزراعة والانتاج الزراعى بعد ان تنقرض هذه الاقلية من المسنين ٠

سيجئ اليوم الذى تصبح فيه اراضى هورين الزراعية جميعـها للاجراء وان هذا اليوم ليس بالبعيد ـ ومن العادات التى بدأت فى الزوال تدريجيا عادة ارسال الصوانى واقامة السرادقات فى المآتم ومـا

---

(١) ملاحظات شخصية ٠

يستتبع ذلك من تكاليف عبئا على كاهل اهل المتوفى • كذلك زالت عادة الصوانى ايضا في الافراح • كذلك النقوط •

ومن العادات التي يجب ان تزول عادة زيارة المقابر خاصة ايام الاعياد حيث يصبح يوم العيد دائما عزاء والم على الاموات بدلا من الفرح والسعادة والاحتفال مع جميع اعضاء الاسرة بهذا اليوم من ايام السنة •

ومما يوصى به فريق البحث فيما يخص نظام المسكن هو تخصيص حجرة للقش والوقود تماما كما تخصص الاسرة حجرة للتبن والاهتمام بالمكان المخصص للمواشي وياحبذا لو كان خارج الدار حيث يقام لجميع عائلات الحى مكان واسع لمواشيهم ويحرسه الاهالى بالتناوب او يخصص حارس بالاجر لذلك •

كما يجب التفكير في ادخال المياه في المنازل وتطهير [illegible]

هذا ويراعى الاهتمام بالعمال الزراعيين ومد الاهالى بما يلزمهم من ادوات زراعية واسمدة كيماوية وغذاء للمواشي •

(ب) قريـة العشـــى (*)

يهدف هذا البحث الميدانى الى التعرف على نماذج السلوك والتصرفات الاجتماعية وانماط الثقافة القروية كما تمارس فى قرية مصرية تتوسط محافظات الوجه القبلى وهى محافظة قنا ولذلك فهو يصور طبيعة الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة بين قطاع عريض من الشعب المصرى هو سكان الصعيد الذين بسبب الظروف الطبيعية والبيئية التى يعيشون فيها يتميزون بثقافة مغايرة لما يوجد بين سكان الوجه البحرى رغم مابين كلا الثقافتين من اوجه التشابه •

ويتكون مجتمع قرية العشى التى يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية الاف نسمة من تسع بدنات رئيسية تتفرع منها عائلات القرية التى تتوزع مكانيا على النجوع المتناثرة • ونظرا لقيام المجتمع على النظام الابوى وشيوع مبدأ العصبة والانتماء القرابى يتمتع رؤساء البدنات وكبار السن فى العائلات بسلطة قوية على الاهالى تمكنهم من القيام بدور اساسى فى استقرار النظام والضبط الاجتماعى فى المجتمع ومراعاة عدم الخروج عما الفته الجماعة وارتضته معيارا للسلوك المثالى التقليدى لاعضائهـا •

ورغم اعتماد الحياة الاقتصادية اساسا على الزراعة المستديمة بالرى من مياه النيل الا ان الاهالى هناك يمارسون بجانب الزراعة تربية الحيوانات للاستفادة من لحومها كغذاء وايضا للمعاونة فى الاعمال الزراعية المختلفة بالاضافة الى قيام بعض الحرف والصناعات البسيطة اللازمة لمتطلبات الحياة فى مجتمع قروى وبسبب ضيق المساحات القابلة للزراعة وزيادة معدل السكان يفضل البعض ابتغاء لحياة ارغد الهجرة

(*) دراسة انثروبولوجية ميدانية للدكتورة سعاد شعبان منشور بمجلة الدراسات الافريقية العدد الرابع ، ١٩٧٥ •

من القرية الى مدن اخرى للعمل كاجراء وبخاصة فى مجال التشييد والبناء ، لما اشتهر به سكان الصعيد من قدرة على التحمل والجلد فى تلك الاعمال البدنية الشاقة — ويترتب على تلك الهجرة غير المنظمة ايضا عدة مشكلات لكل من القرية والمدينة على السواء .

وتتضح اهمية هذا البحث فى ابراز القيم والتقاليد الموروثة التى يحترمها الاهالى فى تلك المجتمعات القروية ويحرصون على التمسك بها ، رغم تعارضها مع الافكار التحررية التى تحملها تيارات التغيير التى بدأت تجتاح تلك المجتمعات لرفع مستوى معيشتها ورفاهية سكانها .

وقد تبين من الدراسة ان عناصر التغير المادية كاستخدام الكهرباء ومبتكرات التكنولوجيا الحديثة تلقى قبولا عاما على العكس تماما من عناصر التغير غير المادية كفكرة تحديد النسل او اشتغال المرأة او التخلى عن الاخذ بالثأر . ولكن اذا كان التغير الاجتماعى ضرورة حتمية فبفضل الدراسات الميدانية المركزة ستتمكن هذه المجتمعات من التخلص تدريجيا من معوقات التنمية وتعيد تكيف نفسها مع الاوضاع الجديدة .

الموقع الجغرافى :

تقع قرية العشى فى محافظة قنا وتتبع مركز الاقصر من الناحية الادارية ، وهى تبعد عن الاقصر بحوالى ١٢ كيلومترا شمالا .

يحدها من الشمال زمام قرية خزام .
ومن الجنوب زمام قرية الصعايدة .
والغرب مجرى نهر النيل
ويبلغ زمامها حوالى الفى فدان .

تتميز قرية العشى بشكلها المستطيل وبتوسطها مبنى الوحدة المجمعة وتقع اراضيها الزراعية على خط واحد تقريبا ومساكنها على خط

آخر حيث توجد منازل القرية بين الاراضي الزراعية ونهر النيل •

اما عن تاريخها فلا يعرف احد تاريخ انشائها بالضبط ولكن الاهالي ينسبون تسميتها الى اسم الشيخ محمد العشى الذى يقال انه من الصحابة الذين هاجروا الى مصر ثم استقر فى مكانها الحالى وتوفى بها ولذا سميت (بقرية العشى) • ويعتقد الاهالى ان القرية لم تكن موجودة قبل قدوم الشيخ محمد العشى الذى يعتبرونه مؤسس اقدم البدنات بالقرية واليه يرجع الفضل فى انشاء القرية ككل •

ومعظم الاهالى سمر البشرة طوال القامة الى حد ما • عيونهم عسلية اللون وملامحهم دقيقة التقاطيع يعتزون بانتسابهم للقبائل الوافدة من الجزيرة العربية •

ويتحدث اهالى القرية العربية التى تغلب عليها اللهجة الصعيدية •

اما عن الجانب الحضارى للقرية (مسكن • ملبس • غذاء • ادوات عمل وانتاج) • فنجد ان معظم المساكن مبنى بالطوب اللبن ومسقوف باعواد النخيل والجريد وجذوع الاشجار والبوص المجدول بالحبال والمغطى بطبقة من الطين • ويلحق بها حظائر الماشية والحيوانات •

ومنازل القرية متجاورة ومتلاصقة والشوارع ضيقة جدا وملتوية ولا يوجد اسماء للشوارع ولا ارقام للمنازل ومع ذلك يسهل الاستدلال على اى شخص بمجرد السؤال عنه •

وتتجمع كل (بدنة) (١) فى مربع سكنى ولا يبنى افرادها بيوتا

---

(١) البدنة : تمثل الجماعات القرابية بالقرية وفروعها هى العائلات التى تنقسم بدورها الى بيوت تتجاور حسب درجة القرابة وقد يشمل البيت الواحد عدة اسر مكونة من اب وام واولاد •

خاصة بهم خارج هذا المربع الا فى حالة ضيق المساحة او لصعوبة الحصول على قطعة ارض سواء بالميراث او الشراء .

والشكل الشائع فى بناء المنزل ينقسم الى قسمين :

الاول : خاص بالاعاشة وغالبا ما يكون الطابق العلوى .

الثانى : خاص باستقبال الضيوف والغرباء وغالبا مايكون الطابق الارضى .

ويعتبر الطابق العلوى قسم خاص بالاسرة لايدخلة الغرباء مهما كانت الظروف وهو عبارة عن صالة واسعة نصف مسقوفة تحيطها الغرف من جميع الجهات الا من جهة السلم الموصل الى السطح الموجود بـه الفرن وادوات عمل الخبز وحجرات نوم جميعها فى الدور العلوى . وغالبا ماتجهز بسرير ذو اربعة اعمدة وناموسية ودولاب ويراعى تخصيص مكان للطهى وحفظ الاوانى وكل مايلزم الاعاشة بحيث لاتوجد ضرورة تدعو النساء للنزول الى الدور الارضى اللهم الا عند نظافته وجلب المياه فى غير اوقات الزيارة او الضيافة والحجرات واسعة وجيدة الاضاءة والتهوية .

اما الطابق الارضى فيتألف من (مندرة) وهى حجرة واسعة نسبيا وتكون فى مدخل الباب الخارجى الذى نادرا مايغلق نهارا وهى حجرة جيدة الاضاءة والتهوية يوجد فى معظمها شباكان من الحجم الكبير كما يفرش بها الحصير والاكلمة ومزودة بالاراثك الخشبية المفروشة بالمساند والمراتب القطنية ويعتنى بنظافتها والعمل على بقائها جاهزة ومعدة دائما لاستقبال الضيوف ويوجد بعد المدخل والمندرة حوش داخلى فسيح بغرفة مخزن واخرى لتربية الطيور كما يجهز الدور الارضى (بمدود) (١) .

(١) المدود : عبارة عن حوض مستطيل على امتداد الحائط يرتفع الى حوالى ٧٥ سم بعرض ٥٠ سم تقريبا وبعمق ٣٠ سم ومبنى من الطين واحيانا من الاسمنت لتأكل فيه الدواب .

ويوجد بالحوش الداخلى السلم الثابت المبنى من الطين أو الطوب الاحمر والاسمنت وله باب لحجب روية اهل الدار وتحت انحناء السلم الذى يراعى فى بنائه ان يكون على شكل زاوية قائمة يبنى المرحاض البلدى وهو عبارة عن فتحة سفلية تودى الى خزان يفرغ مرتين او اكثر سنويا ويزود باناء صغير للاغتسال غالبا مايكون ابريقا من الفخار • يراعى ان يكون المرحاض فى الجهة القبلية للمنزل حتى لاتفسد رائحة الخزان هواء المنزل •

وقد توجد طلمبة المياه فى بعض البيوت واما البعض الاخر فيحصل على المياه من الصهاريج التى عملت بالقرية حديثا •

ومعظم المنازل مرتفعة الاسقف ذات فتحات كبيرة كافية للتهوية والاضاءة وارضية المنازل بطابقيها اما من الطين المخلوط بالتبن أو من الطوب الاحمر باستثناء الموسرين من الاهالى فتكون مكسوة بطبقة من الاسمنت او البلاط ومفروشة بالحصير او بالاكلمة كما تطلى معظم المنازل من الداخل بالجير وان تيسر تطلى من الخارج ايضا وتضاء بالكهرباء خاصة بعد اتمام السد العالى واستكمال شبكة الكهرباء فى ١٩٧٣/٧/٣١ م •

اما عن الملابس : (أ) فملابس النساء تتكون من بردة أو خلالية او جبة وهى عبارة عن سترة من القماش الاسود تلبسها السيدة فوق ملابسها وهى فضفاضة واسعة بحيث تغطى الجسم كله من قمة الرأس حتى اظافر القدمين • والقنائع هى عبارة عن قطعة من القماش الاسود تلبس من اعلى الرأس وتتدلى حتى تلمس الارض وهى التى يلبس فوقها الجبة ويكونان معا الملابس الظاهرة التى يراها بها كل من يقابلها • وتلبس النساء ايضا ثوبا تحت البردة او الجبة يحدد لونه حسب المناسبة التى يلبس من اجلها • ويلبس فى القدم المداس أو الكندرة واحيانا حذاء بدون كعب ورباط •

تلك هى ملابس الغالبية من النساء ولاتختلف ملابس زوجات أو بنات الموسرين عن غيرهن الا فى النوع والخامات •

ويغطى النساء روءوسهن بجردة او تربيعة وهى منديل غالبا مايكون من الستان الاسود ويغطى بالطرحة •

كما يتحلين بلبس الحلى المصنوعة من الذهب والفضة واحيانا من النحاس والعاج وتكون على شكل اساور او خواتم او عقود وغيرها ، كما يلبسن الخلخال من الفضة •

(ب) ملابس الرجال : تتكون من سروال ابيض اللون ينتهى تحت الركبة ويلبس فوقه قميص ذو اكمام واسعة وقصيرة وفوقة الصديرى ثم جلباب ابيض او سمنى ذو اكمام واسعة تزيد فى الاتساع كلما وصلت الى اطراف اليد وكذلك الجلباب كلما اتجه الى اسفل لكى يمكنه من السير • اما الرأس فتغطى بطاقية من الصوف او القطن بيضاء اللون ويلف عليها (عمامة) •

ويحرص كل فرد على ان يكون لديه جلبابا من الصوف او التيل او الجبردين للمناسبات •

(جـ) اما الاطفال فيلبسون جلبابا ذا طوق من قماش الزفير وسروالا وقميصا وطاقية من صوف الغنم او القطن المزركش ، ولايلبسون العمامة الا اذا بلغوا سن الرشد •

ولابد لكل رجل ان يحمل عصاه التى يطلق عليها اسم (الشومة)

وعند الزواج يلبس العريس (لاسة) وهى عبارة عن قطعة من الحرير المحلى بنقوش اسلامية وتوضع على الكتف فوق الجلباب الصوف وقت الزفاف •

ويتحلى الرجال بخواتم من الفضة والذهب •

اما الموتى فيشترى لهم (الجهاز) وهو الكفن ، عبارة عن قماش ابيض اللون يحاك على شكل كيس مستطيل يغطى الجسد كله من الرأس الى القدم ويعمل (للرجال) طاقية بيضاء ويلف رأسه بعمامة كما لو كان على قيد الحياة ويحضر الموسرون طربوشا احمر وعمامة بيضاء ليدفن بهما .

اما النساء فيشترى لهن قماش ابيض يبطن بقماش اخضر اللون وتربط رأسها بطرحة خضراء لتدفن بها .

الغذاء :

تعتبر وجبه العشاء هى الوجبة الرئيسية حيث يقدم فيها اللحوم او الطيور والخضر .

اما الافطار فيتكون عادة من اللبن والجبن والعسل ونوع من الخبز يطلق عليه (العيش الشمسى) يلعب دورا هاما فى جميع المأكولات وهو سميك الحجم يخمر فى اشعة الشمس بعد ان يقطع قطعا مستديرة الشكل على مقارص طينية ويوضع فى الفرن الى ان يحمر لونه ، ويقومون فى العادة بعملية الخبيز هذه كل اربعة ايام . كما يوجد نوع آخر يطلق عليه الرقاق ويستعمل فى عمل (الفتة) . ولديهم ايضا المطبق او الفطير المشلتت ويعرف من انواع الخبز مايسمى (الغايش أو الشريك) ويؤكل مع السوائل كاللبن او الشاى .

ومن الاكلات المشهورة (العصيدة) التى تعمل من الدقيق واللبن والسكر . ولايشترى اهالى القرية اى نوع من انواع الخبز كما انه لايوجد بالقرية من يبيع الخبز او مشتقاته السابقة .

اما عن ادوات عمل الخبز فهى : الماجور يستخدم لعجن الدقيق به والمقارص ويوضع الخبز عليها قبل ان يدخل الفرن ، المطرحه وتصنع من الخشب على شكل قرص دائرى رقيق السمك له يد طولها متر

تقريبا تستخدم فى اخراج وادخال الخبز من والى الفرن • ويعتبر الفرن من ابرز تلك المستلزمات وله شكل خاص حيث يبنى من الطين وله فتحتا ن جانبيتا ن • الاولى علوية والثانية سفلية جانبية • وقاعدة الفرن مستديرة الشكل مصنوعة من طمى النيل المخلوط بروث الحمير المحرق وهى التى يسوى عليها الخبز ويوقد تحتها للغرض نفسه ووجود الفرن بالمنزل يعد امرا لازما للاسرة •

ومن انواع الغذاء التى تقدم : العدس ، البامية ، الملوخية والارز ، الفول ، ومشتقاته ، اللحوم والطيور وغالبا مايتناول الطعام على الطبلية ولايستعمل الاهالى من ادوات الطعام غير الملعقة اذا مادعت طبيعة الطعام اليها •

ولايختلف الطعام العادى اليومى عن ذلك الذى يعمل فى المناسبات كالعزائم والافراح والمآتم •

اما عن آنية الطهى : فمازال يستخدم عدد كبير من الاهالى الانية الفخارية كالبرام وهو عبارة عن وعاء من الفخار المحرق والطاجن والمقلاية التى تستخدم كالاطباق كما يوجد المغرفة الخشب وليس معنى ذلك ان استخدام انية نحاسية او الومنيوم او صينى او صاج غير موجود ولكن ذلك هو الشائع • ومن الشائع ايضا ان يطهى الاهالى طعامهم على الكانون • هذا وقد تقتنى بعض الاسر وابور جاز لنفس الغرض •

اما بالنسبة للاوانى التى تستخدم للمياه فمنها : الزير ، وهو الوسيلة المفضلة والمضمونة للشرب من ماء النيل بعد ترسيبها به رغم وجود المياه الصالحة للشرب بعد تنفيذ مشروع تنقية مياه الشرب سنة ١٩٥٦م • كما تستخدم القلل •

ومن المشروبات الشائعة بالقرية الشاى ولابد من تقديمه للجميع •

الجانب الاقتصادى السائد بالقرية :

(أ) الزراعـــة :

تعتمد الزراعة اساسا على مياه النيل ويبلغ زمام القرية حوالـــى الفى فدان مقسمة الى ٢٤ حوضا تمر بينها ترعة الكلابية وعلى جانبيهـــا ـ بعد بناء السد العالى ـ ترعة الكرنك الشرقية والغربية وترعـــة ساحل العشى كما توجد ترعتا الصغيرة والروضة وترعة الاقصر ومضافـــا اليها مصرف على حدود زمام قرية خزام •

ولما كان رى الحياض هو السائد قبل خمس سنوات كانت اهـــم المحاصيل الزراعية هى العدس والحمص والقمح والشعير والذرة الرفيعـــة والذرة الصفراء (العويجة) • كما لم يكن هناك نظام للدورة الزراعية •

ولكن بعد ان تحول نظام الرى الى رى دائم ـ بعد بنـــاء السد العالى ـ وتوفر المياه طوال العام اصبحت تزرع الارض ثلاثـــة مواسـم :

(أ) شتوى ويزرع فيه القمح والعدس والحمص والحلبة والبرســـيم والفول والباذنجان والخضروات •

(ب) صيفى ويزرع فيه الذرة الشامى والذرة العويجة والسمسم واللوبيا •

(جـ) نيلى ويزرع فيه الذرة النيلى الذى يستخدم فى طعام الدواجن والمواشى •

واصبح المحصول النقدى الرئيسى حاليا هو قصب السكر حيــث تزرع ثلث الارض الزراعية به •

ويفرق الاهالى بين نوعين من الاراضى الزراعية :

الاول : ارض صفراء تلك التى يقولون عنها انها تصلح لزراعة الحمـــص

والعدس وهذه لاتحتاج الى اسمدة كثيرة ٠

الثاني : وهو الارض السوداء التي يجود فيها محصول قصب السكر الذي يحتاج الى اسمدة اكثر من غيره ويفضل الاهالي عادة النوع الاول على الثاني رغم حاجتهم الى زراعة قصب السكر باعتباره المحصول النقدي الاول ٠

كما يزرع من انواع الخضر النقدية ايضا الباذنجان ٠

اما الملكية الزراعية فموزعة على كل الاهالي ولايوجد اى شكل لتركيزها فى ايدى قلة محدودة منهم ٠

هذا وتسمى الارض الزراعية باسم البدنة وليس باسم الافراد الحاليين ٠

فالاربعة والعشرون حوضا المقسمة اليها اراضى القرية تحمل اسماء العائلات الكبيرة ٠

والملكية عموما مفتتة وتتراوح بين خمسة قراريط وخمسة وثلاثون فدانا للعائلة وذلك بسبب الميراث ٠

اما ادوات العمل المستخدمة فى الزراعة فما زالت الالات التقليدية البدائية كالمحراث والنورج الزحافة والفأس هذه الالات التى يحرص على اقتنائها المشتغلون بالزراعة تعتبر الرئيسية والمفضلة لديهم جميعا كما تروى الارض بالساقية وماكينات الرى وكليهما يستخدم فى رفع المياه من الترع الى الحقول ٠

هذا وتقدم الجمعية التعاونية الزراعية المبيدات الحشرية للقضاء على الافاق والفئران التى تهدد محصول القصب والاسمدة وكافة الخدمات الزراعية ٠

اما عن طريقة الزراعة الشائعة فتمر بمراحل متتالية فبعد تنظيف الارض من المحاصيل تترك فترة معرضة للشمس ثم تروى وتترك لتجف حتى تستحرث[1] فتحرث ويبذر الحب بها بعد تسميدها بالسماد البلدى ، ثم تعرض للشمس مرة اخرى ثم تسوى بالزحافة وتقسم بعد ذلك الى بيوت وخطوط ثم تروى ويتابع المحصول بالرى والرعاية والتسميد حتى ينمو وينضج •

وبالنسبة لقصب السكر فيبدأ موسمه فى اواخر ديسمبر وينتهى فى آخر ابريل ويتم تصديره الى شركات صناعة السكر فى كل من نجع حمادى وارمنت وقوص ودشنا • وذلك عن طريق مندوبين لتلك الشركات بالجمعية التعاونية الزراعية •

اما عن العمالة فتعتبر الايدى العاملة مناسبة ان لم تكن تزيد عن حاجة العمل الزراعى فى غير مواسم الحصاد حيث توجد هجرة من القرية الى المدن وخاصة القاهرة والاسكندرية حيث تعمل تلك الايدى مع مقاولى البناء (كفعله) او كعمال تراحيل بالسكة الحديد أو كعمال موقتين فى مصانع السكر •

ورغم هذا فانهم لايقطعون صلتهم بالقرية فهم يشاركون فى المناسبات العامة كالاعياد والاحتفالات بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى الى جانب تقديم المساعدات المالية لذويهم وكانت تلك الهجرة واضحة وقت ان كان رى الحياض هو السائد لان العمل الزراعى كان يستمر اربعة اشهر فقط فى العام • هذا ولايفكر المهاجرون بهدف التعليم فى العودة الى القرية رغم محافظتهم على الود والاتصال بالاهل وتتبع اخبار القرية • كما ان القرية تستقبل هجرات خارجية من القرى المجاورة فى مواسم الحصاد خاصة فى موسم كسر القصب كعمال

---

(١) تستحرث اى تصبح درجة الرطوبة بها ملائمة للحرث لاهى بالجافة جدا او باللينة فيصعب حرثها •

تراحيل يقيمون عند رؤوس الاحواض ولا يقل عدد الترحيلة عن خمسين فردا •

اما عن تربية الماشية :

فيحرص الاهالى على اقتناء الجمل الذى يقدم خدمات كثيرة فى الحمل والجر وكذلك يربون الابقار للجر بينما يقتنى الجاموس بهدف الحصول على الالبان والنسل • كما يقتنون الدواب حيث تعتبر وسيلة من وسائل المواصلات بالنسبة للاهالى وخاصة الرجال وهناك ايضا الماعز والاغنام •

(ب) الحرف والمهن الموجودة :

هناك اعداد من سكان القرية متخصصة فى مهن وحرف غير الزراعة التى يشتغل بها غالبية الاهالى ومن اهم هذه الحرف والمهن :

(١) النجار : ومهنته متوارثة ويفرق الاهالى بين نوعين منها :

الاول : نجار دقى وهو الذى يعمل الابواب والشبابيك والارائك •

الثانى : النجار العادى او البلدى الذى يصنع الساقية والمحراث والنورج والفأس وغيرها من ادوات العمل الزراعى •

هذا ويتناول النجار اجرة اما نقدا وذلك يكون فى الاغلب عند صناعة شىء جديد • واما عينا عند صيانته •

(٢) السرايرى : هو الذى يقوم بعمل الاسرة من الجريد •

(٣) الترزى البلدى : وهو يزاول المهنة فى المنزل مقابل اجر نقدى •

(٤) السقا : ومهنته وراثية ويضاف الى عمله رش المنزل والشوارع المحيطة فى المناسبات .

(٥) السمكرى : ومهنته وراثية ايضا وتعتبر مهنة حديثة العهد بالقرية ويحصل السمكرى على اجره نقدا نظير اصلاح وابور الجاز الكلوب ، وعمل الفوانيس ولمبات الجاز واعمال الصفيح .

(٦) الفحار (الحانوتى) : ومهنته وراثية كذلك يقتصر عمل الفحار على حفر القبر — ثم دفن جثث الموتى . بينما يقوم اهل المتوفى بغسله وتجهيزه . ويحصل الفحار على اجره عينا كأن يأخذ عدس وحمص فى موسم الحصاد كما يأخذ جلد ورأس الذبيحة التى تنحر فى المأتم .

(٧) الحلاق والداية : ومهنتهما تختص بها عائلات معينة والحلاق يحلق للرجال والاطفال مرة كل اسبوعين على مدار العام نظير اجر عينى من المحاصيل الزراعية او نقدا اذا كان الشخص مغتربا كما انه هو الذى يقوم بختان الاولاد وتزيين الشباب عند الزواج وله دورا فى علاج بعض الجروح والاسنان .

اما الداية فتختص بشئون النساء من حيث الاشراف على الولادة ومتابعة السيدة الوالدة ومولودها كما انها هى التى تقوم بختان الفتيات وتقوم بعملية اعداد العروس ليلة زفافها وابداء النصائح لها .

(٨) الدلال : وهو دلال المساحة الذى يقوم بعملية قياس الاراضى الزراعية وتحديد الملكية ويستخدم فى ذلك (القصبة) ويستعان به فى فض المنازعات الخاصة بالاراضى الزراعية ويؤخذ برأيه كحجة قانونية وهو يستخرج خريطة رسمية من المساحة لتساعده فى اعماله وهو شخص متطوع لهذه العملية بدون أجر .

(٩) المداحون : وهم الذين ينشدون المواويل ويستخدمون في عملهم الالات الموسيقية كالرق والشخاليل والمزمار والربابه •

(١٠) مهنة صناعة الجريد وزعف النخيل : حيث تعمل الاقفاص والمقاطف والقفف والاسرة •

(١١) مهنة صناعة الطوب : وهى عمل قوالب الطوب واعدادها •

(١٢) البناء : وهو المختص باعمال البناء •

(١٣) مهنة صيد السمك : وهى مهنة وراثية ولكنها فى طريقها الى الانقراض لقلة كمية الاسماك بعد السد العالى ويتحول العاملون بها الى عمل المعدية حيث ينقلون اهالى القرية فى قوارب النيل •

(١٤) القزاز : وهى مهنة وراثية يقوم فيها القزاز بنسج اكياس مصنوعة من صوف الغنم كما يقوم بعمل الشيلان ويأخذ اجره على كل رطل ينسجه وهو يستعمل النول ولكنها مهنة فى طريقها الى الزوال نظرا لان الانتاج فردى ولايكفى لسد حاجة الاهالى •

(جـ) تقسيم العمل وتوزيعه :

لاتشارك النساء فى اية اعمال خارج المنازل ولكن يقمن بتربية ورعاية الاطفال والقيام باعمال نظافة المنزل وطهى الطعام وعمل الخبز وحلب الماشية وتربية الدواجن كما يقمن بغزل وبر الجمال وصوف الاغنام الذى يأخذه القزاز لكى يصنعهن اكياس تسمى بالتلاليس ويعبا فيها المحصول كما يصنع منه الشيلان التى يغطى بها المحصول كما يقمن بصنع المراوح والهوايات من جريد النخيل المكسو بخيوط وقماش مزركش والتى لايخلو منزل منها كما يختص بعضهم بعمل الافران من الطين وروث الحمير والجمال •

اما الرجال فيعملون بصفة رئيسية فى الزراعة او التجارة كالبقالة

او تجارة الخضروات او المحاصيل كالعدس والفول والبصل والمهن السابقة كالنجار والحلاق والبناء والقزاز ... الخ .

اما الاولاد الذين يقل سنهم عن السادسة فلا عمل لهم الا اللعب واللهو .

اما بعد هذه السن وفى اوقات فراغهم من الدراسة فقد يساعدون آباءهم فى جنى المحاصيل وزراعتها . اما كبار السن فينحصر عملهم فى فض المنازعات والتشاور فيما يهم القرية وتسيير دفة الامور بها . وبعض الاعمال الخفيفة فى الحقول كالحراسة او الاشراف على عمل ما واسداء النصائح للصغار .

(د) تنظيم الانتاج والتبادل :

تعتبر المحاصيل الزراعية سمة مميزة للقرية حيث لايوجد اى منتجات غيرها .

ويتداول الاهالى فيما بينهم المحاصيل التى يحتاجها كل منهم كما يتمتعون بخدمات المهن السابقة نظير تلك المحاصيل هذا وتتجر النساء فى الصوف والبيض والدواجن والجبن والزبدة .

الجانب السياسى :

يبلغ تعداد العشى حوالى ثمانية الاف نسمة ويتكون مجتمعها من بدنات وعائلات غالبيتهم من المسلمين .

والقرية فى عمومها تتكون من عدة نجوع [1] تحمل اسم البدنة التى تعيش فيه فيوجد : نجع الناصرية فى الجنوب الغربى ، نجع احمد

---

(١) النجوع جمع نجع وهو جزء من القرية يمكن تسميته (بالناحية) وتتميز نجوع العشى بان كل منها تتركز فيه عائلة .

عوض ويوجد بين نجع الناصرية ونجع عبد القادر ، يوجد فى الجزء الغربى ونجع يوسف فى شمال القرية ، ونجع الدار وهو عبارة عن خمسة بيوت فى الحد الفاصل بين قريتى الصعايدة والعشى .

وتمثل البدنة الجماعات القرابية فتنقسم البدنة الى عائلات تنقسم بالتالى الى بيوت مكونة من اسر تتركب من اب وام واولاد .

وابرز البدنات الموجودة حاليا هى :

١ ـ بدنة القواسم
٢ ـ بدنة العويضات
٣ ـ بدنة عجاج
٤ ـ بدنة عبد الهادى
٥ ـ بدنة حمص (الحمامصة)
٦ ـ بدنة الحسناب
٧ ـ بدنة العرانيط
٨ ـ بدنة الخطبة (مصدرها خطيب وهو مقرئ قرآن)
٩ ـ بدنة الناصرية .

واقدم تلك البدنات : القواسم والعويضات وعجاج [1] .

وكل بدنة تقيم ديوانا [2] عاما او اكثر حسب حجمها وتقام فيه شعائر المواسم والاعياد والافراح والعزاء وقد يترتب على عدم وجوده ،

---

(١) بنى هذا الاستخلاص على اراء كبار السن بالقرية من مختلف النجوع والنواحى .

(٢) الديوان عبارة عن مبنى من دور واحد واسع نسبيا له مدخل واسع ومزود بعدد كاف من الشبابيك والمصاطب والارائك ويسقف بافلاق النخيل عادة او الخشب ان تيسر ويبيض بالجير وبه حجرات جانبية ويعنى بنظافته افراد البدنة الذين يساهمون معا فى اقامته وتجهيزه .

تفكك البدنة وتشتت كلمتها ولذا يفضل ان يتوسط الديوان بيوت البدنة •

وبجانب تلك الدواوين الخاصة بالبدنات والعائلات يوجد ديوان عام للقرية يجاور ضريح الشيخ العشى ساهمت فى اقمته وتجهيزه كل البدنات وتناقش فيه الامور المتعلقة بالقرية ككل كذلك تحديد موعد الاحتفال بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى والاجراءات اللازمة لهاتين المناسبتين •

كما يعد الاعتقاد فى اثر الاولياء والمشايخ عاملا آخر يساهم فى تماسك وضبط السلوك الفردى داخل مجتمع القرية حيث توزع المسئوليات والتكاليف وتحديد دور كل بدنة خلال ايام الاحتفال بالمولد التى يتخللها اقامة الولائم وتقديم الاضحيات فمشاركة كل البدنات بل والقرى المجاورة فى تلك المناسبة وتناول الاطعمة معا يقوى الشعور بالتلاحم ويذيب الكراهية والخلافات كما ان تلك المناسبة تخفف من القيود التى تفرض على تحركات النساء اغلب ايام السنة حيث يسمح لهن بالزيارة ومشاهدة المولد فى غير اوقات الزحام او من فوق اسطح المنازل والنوافذ •

هذا ويلاحظ ان كبار السن لهم الكلمة والرأى •

بالنسبة للسلطة :

اولا : الشكل التقليدى القديم ويتمثل فى جوار البدنات وتماسك كل منها فيما بينها فى مواجهة الاخرى ووجود الدواوين كشكل مادى ملموس يمارس فيه الحوار لحفظ ذلك التوازن وحقق الجوار بالاضافة الى اعتقادهم فى اسرار وكرامات المشايخ والاولياء وخاصة الشيخ العشى الذى يلجأون الى معاونته وقت الازمات والكوارث • والسلطة التقليدية فى شكلها الرسمى تتمثل فى :

شخص العمدة والمشايخ او بشكل غير رسمى كبار السن ورؤساء البدنات وتقدير عامل القرابة •

فالعمدة كان يمثل اعلى سلطة فى القرية يعاونه مشايخ البلد او النواحى والخفراء ومشايخهم وكان مسئولا عن حفظ الامن والنظام • اما بالطريق الودى او الرسمى كما يقوم بفض المنازعات والخلافات الشخصية او العائليةبين سكان وبدنات القرية •

وكان شيخ القرية او شيخ الحصة او الناحية يستمد مكانته من العمدة ويعتبر ممثلا لحصته فيتحدث بالنيابة عنهم امام السلطات الرسمية ويبحث المشاكل التى يحولها اليه العمدة ويجرى المعاينات والتحقيقات المبدئية ويعتبر مسئولا عن المحاضر والاخطارات الرسمية وعن التبليغ فور حدوث مايعكر صفو الامن •

وقد عزز العمدة ومشايخه بعدد من الخفراء وهم ينفذون اوامر العمدة بقوة السلاح وذلك لمن يعصى التعليمات وليس للخفراء حق الاعتراض اومجرد ابداء الرأى فيما يقومون بتنفيذه من اوامر •

ورغم كل ما للعمدة ومشايخه من سلطة فان السلطة غير الرسمية والتقليدية الممثلة فى كبار السن ورؤساء البدنات لها دور كبير فى تسيير دفة الامور بالقرية وفض المنازعات وديا دون علم السلطة الرسمية فى كثير من الاحيان كما ان الافراد يقبلون حكمها عن طيب خاطر •

ثانيا : اخذ شكل السلطة حديثا بعد ١٩٦٠م فى انشاء وحدات محلية صغيرة بالقرية يدير شئونها مجلس قروى له رئيس وكذا وحدة اساسية للاتحاد الاشتراكى العربى • فضلا عن انشاء الجمعية التعاونية الزراعية بالاضافة الى الابقاء على وظيفة العمدة •

ولكن سلطة العمدة قد انكمشت بعد التنظيمات الجديدة وتوزيع السلطة على الهيئات السابق سردها عما كان عليه من قبل رغم المساس باجهزته التقليدية كوجود مشايخ البلد وشيخ الخفراء والتليفون وأصبح العمدة حاليا مسئولا فى المقام الاول عن الامن واستتبابه ومنع الجرائم وفض المنازعات بالطريق الودى او الرسمى • كما

فقد جانبا هاما من مكانته الاجتماعية واصبح يعتبر وسيلة من وسائل تنفيذ رغبات مجلس القرية او الاتحاد الاشتراكى •

ولكن الشكل الحديث فتح الفرصة امام كل البدنات للمشاركة فى السلطة الرسمية بدلا من تركزها فى فرد او عائلة او بدنة واحدة •

ورغم هذا كله فان اهل قرية العشى لايعبأون الا بالشكل الفعلى غير المباشر للسلطة قديمها وحديثها والذى تلعب فيه القرابة دورا رئيسيا ويمتد اثر القرابة فى المحافظة على الامن حيث تحرص كل بدنة على احترام حقوق الاخرين واحترام الجوار وبهذا تكونت شخصية البدنة وحفظ لكبار السن كيانهم واحترامهم فى حسم الامور وتربية الصغار وتوجيه الشباب وبذلك يوجد الضبط الاجتماعى والرسمى ممثلا فى العمدة والمشايخ وكذلك الضبط غير الرسمى ممثلا فى رؤساء البدنات وكبار السن ويعمل كلاهما على حفظ وتوكيد النظام فى المجتمع •

يضاف الى ذلك تأثير الاولياء ودلال المساحة فى فض المنازعات .. .. ..

فاذا كان الخلاف او النزاع بين فردين او بيتين فى عائلة واحدة فيكفى ان يتدخل لتصفيته كبار السن فى البدنة وان تعذر فلايلجأون الى الجهات الرسمية ولكن يستدعى رؤساء البدنات القريبة منها واذا كان الخلاف بين البدنات وبعضها فتتدخل بدنات اخرى ممن تربطهم بها اواصر القرابة والمصاهرة لفض النزاع وان كان الامر مستعصيا فتستنجد ببدنات من القرى المجاورة وفى حالة اليأس يترك الامر للثأر لفضه ولايفكر احد على اى مستوى فى اللجوء الى السلطات الرسمية •

والدليل على ذلك — كما يقول الاهالى — ان كل جرائم القتل التى تصل الى السلطات الرسمية والتى يتم الحكم فيها بالبراءة يكون اهل القتيل موقنين بتلك البراءة لايتهمون احدا رغم معرفتهم بالشخص القاتل الذى يترك امره للعرف السائد فى الاخذ بالثأر واكثر

من ذلك فان حكم عليه بالسجن فان اهل القتيل ينتظرونه حتى يخرج ليأخذوا بالثأر منه .

ويفضل الاهالى مجالس الصلح العرفية ويقبلون احكامها عن طيب خاطر .

ويمر مجلس الصلح العرفى بالمراحل التالية فى حالة النزاع بين البدنات :

أولا : يجتمع كبار السن فى البدنات بالقرية فى دواوينهم مساءا لبحث المشكلة وتحديد حجمها وحصر المتطلبات .

ثانيا : يستدعى العمدة ومشايخ الحصص لتقدير الموقف وابداء الرأى وحصر النزاع وقد تستغرق تلك الاجتماعات شهرا متصلا .

ثالثا : بعد تحديد المشكلة والاتفاق على الخطوط العريضة كلها لحلها يعرض الامر على الاطراف المتنازعة .

وفى حالة قبول العرض يأتى دور افراد هذا الصلح والذى يشهده معظم بدنات القرية فى ديوان عام القرية وبعد اقراره وقراءة الفاتحة تقوم البدنة المستضيفة بنحر الذبائح ويشترك الجميع فى تناول الطعام كدليل على الصفاء وتوديع الضغائن .

هذا وليس للمرأة فى العشى اى دور وسط هذا الشكل السياسى بالقرية فمازال الرجل ينظر اليها على انها قطعة من الاثاث يحرم عليها الخروج من المنزل بعد سن العاشرة الا فى حالات الضرورة القصوى ومصاحبة احد اقاربها من الرجال كما انه ليس لها حق فى اختيار شريك حياتها او مجرد ابداء الرأى فيه .

وهكذا تعيش قرية العش بتقاليدها العتيقة رغم ما تتعرض له من تيارات التغيير الحديثة كدخول الكهرباء والمياه الصالحة للشرب

وزيادة الاقبال على التعليم ووجود الجمعية التعاونية لزراعية والسلطة الرسمية اذ ان تلك التيارات ينبغى ان تقف طويلا امام تلك التقاليد لتستعين بها بوصفها مواطن للسلطة الفعلية غير المباشرة والممثلة فى كبار السن ورؤساء البدنات واستغلال تأثير المشايخ والاولياء وعامل القرابة فى اداء مهامها ٠

الجانب الاجتماعى :

القرابة والمصاهرة :

ان القرابة لاتؤثر على الجانب السياسى كما ذكرنا فحسب ولكن يمتد أثرها ايضا الى الجانب الاجتماعى فالعلاقات الاجتماعية بين الافراد والاسر والبدنات يحكمها عامل القرابة حيث يطبق مبدأ "أنا واخويا على ابن عمى ، وانا وابن عمى على الغريب" وكذا نجد ان احترام الصغير للكبير امرا ضروريا والتزام الكبير برعاية الصغير وارشاده امرا حتميا كما ان القرابة تفرض على الفرد حقوقا وواجبات تجاه من يرتبط معه بصلة القرابة طبقا للمبدأ السابق ، ففى فض المنازعات التى تحدث بين اسرتين يتدخل كبار السن فى العائلتين وان كان بين عائلتين يتدخل كبار السن فى البدنة وان كان بين البدنة وغيرها يتدخل فى فض النزاع البدنات التى تمت لكل منهما بصلة القرابة هذا وينعكس اثر القرابة فى بناء المنازل حيث يفضل كل فرد ان يكون بجوار عائلته وبدنته وذلك حتى يكون التعاون سهلا ويسيرا بينه وبين اقاربه خاصة وان اراضيهم الزراعية متجاورة ٠

كما ان للقرابة اثرا اجتماعيا ظاهرا حيث يفضل الزواج من داخل البدنة والدليل على ذلك ان القرية تعرف الزواج بطريقة التسمية ـ التى يتم فيها تزويج فلان بفلانه منذ التسمية بعد الولادة ـ ولاتتم تلك الطريقة الا بين الاقارب كان يسمى ابن العم لابنة عمه او ابنة خاله وهكذا ...

مركز المرأة والرجـــل :

المرأة ليس لها اى دور سياسى كما سبق ان ذكرنا كما انهـــا ليس لها حق ابداء الرأى فيما يفرضه ويراه الرجل ، فالسيادة والكلمـة والرأى للرجل دونها .

ويظهر هذا واضحا منذ الولادة حيث لايحتفل بولادة البنــت او بختانها كما انها تحجز بالمنزل من سن العاشرة وتراقب تصرفاتهـــا مراقبة شديدة بعد ذلك حتى تتزوج .

كذلك بعد الوفاة لايعمل لها مأتم الا اذا كانت امـــا لاولاد كبار السن ولا يستمر اكثر من سبعة ايام ــ ان عمل ــ بينما الرجـــل مهما كان عمره فيعمل له المأتم الذى قد يستمر خمسة عشر يومـــا ، ولاتدفن المرأة فى مقابر زوجها الا فى حالة ما اذا كانت امـــا لاولاد ، الكبار وفيما غير ذلك فتدفن فى مقابر والدها .

وعلى حد قول بعض الاهالى (لولا الدين للاقت المرأة معاملة نظيراتها قبل الاسلام) .

ورغم ذلك فان لوجود المرأة اثر فى حياة القرية ومظهرهـــا الحضارى فلايبنى الدور العلوى من المنزل الا من اجل (الحريم) كما انها هى الوسيلة التى توثق البدنات والعائلات والاسر بعضها ببعض بالزواج والمصاهرة هذا بالاضافة الى اثرها الفعال فى تنشئة الاطفال والقيام بالواجبات المنزلية .

دورة حياة الفرد من " الميلاد حتى الوفاة " :

تقوم الداية باجراء عملية الولادة ومن عاداتهم اعطاء الوالـــدة بعضا من السكر والبيض المقلى بالزيت والثوم لتسهيل الولادة والشائع عندهم ايضا ان لاتلد السيدة وهى مستلقية على ظهرها ولكنها تجلس على " ماجورين " ويسندها اهلها واقرباؤها من النساء اللاتى حـررن

بنفس التجربة . وبعد ماتتم الولادة تربط الداية المشيمة " الخـلاص " بخيط ثم تقطعة بسكين ساخن لتكوى العرق وتدفن المشيمة بجوار حائط الحجرة او ترمى فى النيل واحيانا تحفر لها حفرة كبيرة تحت الماجـور الذى تمت عليه الولادة وتدفن فيها - وتسمى هذه الحفرة " البـورة " وهناك اعتقاد برش البسلة (١) .

هذا وتتناول الوالدة الطافية (٢) لمدة ثلاثة ايام ثم تتنـاول وجبات مطهوة من الخضر والطيور .

ويراعى عدم غسل ملابس المولود بل وضعها فى وعاء به ماء وتترك منقوعه به حتى الصباح بجوار راسه وفى الصباح تغسل ولايرمى مـاء الغسيل الا بجوار حائط حتى لايتخطاها احد خوفا على المولود من الموت وتستحم الام هى والمولود فى اليوم السابع .

ويعمل فى اليوم السابع " السبوع " وهو الاحتفال بمرور سبعة ايام على ولادته حيث يوضع فى غربال ومعه نرل سودانى وحلويات وملح . وفى هذا اليوم يتجمع الاهل والجيران والاحباب وتاتى الدايه وتـ ـعم بفتح عينى المولود فى ضوء الشمس " حتى لايخشى النظر اليها عندما يكبر " ثم تدق له الهاون ثم تقول له بصوت عال " اسمع كلام امك وكـلام ابوك وكلام عمك وخالك وتكون حنين علينا وسؤالك يكون حلو . وان قالوا لك مشرق يبقى مشرق او مغرب يبقى مغرب " .

ثم يقوم الاهل والحاضرون بتقديم النقوط وتناول الحلوى وشرب القرانية وفى العادة تذهب الزوجة فى حالة الولادة الاولى الى منزل اهلها لتضع مولودها الاول بين اهلها وتحت رعايتهم وعلى الزوج ان

---

(١) البسلة : عبارة عن تركيبة من سبعة اشياء هى : كمون اسـود وشعير وحسناء وفول وعدس وملح وقطعة خبز . وترش فـوق الحفرة التى تحفر لدفن المشيمة او الخلاص ويظن ان البسلـة حصنا ضد المشاهرة .

(٢) الطافية : هى مشروب الحلبة مضافا اليها سمن وسكر .

يرسل اليها كل ماتحتاجه من نقود وطعام .

ومن العادات التى تتبع فى الولادة ايضا ان يوضع تحت فراش الوالدة سكين ومرآة ومكحلة ولقمة عيش ظنا ان ذلك يمنع الاصابة بالمشاهرة [١] وفى اليوم الثالث للولادة تقوم الام برش قليلا من لبن ثديها على وجه المولود وتمسحه به ويرضع لمدة عام ونصف او عامين كاملين ثم يفطم ليأكل مما تأكله الاسرة . وتجرى عملية الختان للبنين والبنات ، حيث يتم الختان بالنسبة للبنت من سن ٤ — ٦ والولد من ٦ الى ١٠ سنوات ، ويتم ختان البنت سرا وتقوم به الداية بينما يجرى الحلاق عملية الختان للولد ويكون فى احتفال كبير يشبه الاحتفال بالزواج ويدعى اليه الاهل والاقارب والاصدقاء ويكسى الولد بقميص ابيض مزركش ويقام الاحتفال بعد صلاة الظهر حيث يزف الولد بالمزمار البلدى والرابة او الارغول وتطلق الاعيرة النارية ويقام الذكر ويتلى القرآن ويكون ذلك قبل اجراء الختان وفى اليوم التالى يقوم الحلاق بعملية الختان حيث يجلس الطفل على ماجور ويلبس سوار فضة على صدره ظنا منهم ان الفضة تبعد عنه الانزعاج والعين الشرية والحسد .

وبعد ان يشفى الولد من الختان يدخل مرحلة الفتيان حيث يذهب الى كتاب القرية ليحفظ القرآن وفى تلك الفترة يتعلم الطاعة ويتعود على تلقى النصح والارشاد من خارج اسرته ويذهب البنين والبنات الى الكتاب الا ان البنت تحجب بالمنزل بعد سن التاسعة أو العاشرة لمساعدة والدتها فى اعمال المنزل وجلب المياه كما تتعلم

---

(١) المشاهرة : تعرف بانها رد الفعل العكسى الذى يحدث للسيدة الحديثة الولادة عندما يدخل عليها اى شخص يكون حالقا راسه او معه باذنجان او لحم او آت لتوه من السوق او تخطى قضبان السكة الحديد اثناء مجيئه والمشاهرة تتمثل فى عدم الانجاب بعد ذلك او جفاف اللبن من ثديها او اصابة طفلها بالضعف والهزال المضطرد حتى يموت او تصاب هى بالضعف وعدم القدرة على القيام بالاعباء المنزلية .

الطهى وعمل الخبز وشئون المنزل حتى تتزوج اما الولد فيستمر فى تلقى العلم والدروس فى المدرسة الابتدائية ثم الاعدادية ثم الثانوية .

ويقضى البنين والبنات اوقات فراغهم فى اللعب واللهو والاستمتاع بفترة الصبا وخاصة بعد ان اضيئت القرية بالكهرباء .

وتأتى بعد ذلك مرحلة الزواج حيث يتزوج الفتى من سن ١٦ ـ ٢٠ والبنت من سن ١١ الى ١٦ سنة .

وعندما ما يفكر الشاب فى الزواج فانه يرابض عند مورد الميـــاه والصهاريج فى انتظار فتيات القرية وهن يملأن جرارهن وعندما تعجبه احداهن يخبر والده برغبته فى الزواج منها فيذهب والده الى والـــد الفتاة ويطلبها منه . وفى احيان اخرى يتم الزواج بعد الخطوبة عـــن طريق التسمية .

وبعد موافقة الطرفين على اتمام الزواج يشترى العريس شـــوب وفول سودانى ويرسلها مع والدته لاهل العروس ثم يتفق على تحديـــد ميعاد لقراءة الفاتحه . ويحضر العريس لهذه المناسبة قمح وسكر وشـاى واقمشة وحلوى وهذا يسمى " النيشان " ويقوم اهل العروس بتقديـــم العشاء بعد قراءة الفاتحة ويزور اهل العروس منزل العريس بعـــد الخطوبة بثلاثة ايام ومعهم ذبيحة كاملة النضج ليأكل العريس واحباؤه من طهى العروسة ثم يتفق على المهر .

هذا ويزور العريس اهل عروسه ومعه الهدايا ولكنه لايـــرى عروسه ولايجلس معها .

وعلى اهل العروس شراء الاثاث الذى يتكون عادة من ســـرير وصندوق لحفظ الملابس ووسادة ولحاف وبعض الاوانى النحاسية .

وتقوم العروس بتجهيز ملابس الفرح التى تكون من الحـــرير والستان ...

وقبل الفرح بيوم تقوم العروس بزيارة ضريح الشيخ العشى لملا مع اقاربها وتأخذ معها خبز وكعك وتعطى خادم المسجد بعض النقود كما يعطيها خادم المسجد او النقيب قليلا من الرمل وشريط من كسوة الضريح تبركا وحرزا لها ضد المجهول •

وتلبس العروس يوم الفرح فستانا ابيض اللون وتحته قميص زاه • كما تلبس طرحه بيضاء وتاج • واما الحلي فهى عبارة عن عقد وحلق من الذهب واساور وخلخال من الفضة •

ويرسل اهل العروس يوم الزفاف الخبز والقايش(١) الى منزل العريس وفى منزل العريس يحضر الحلاق لتزيينه ثم يركب بعد ذلك حصانا مزينا وتركب العروس خلفه ويسير موكب العرس من جهة اليمين حول القرية • حتى يصل الى منزل الزوج ويقوم اهلها بانزالها وادخالها الى المنزل • ولكن قبل دخولها تعطيها ام العريس اناء مملوءا بالماء حيث تأخذ منه بعض الماء وتفاجىء العريس ببخ المياه عليه كما يكون هو ايضا مستعدا لبخها •

وفى صباح اليوم التالى يحضر اهلها الهدايا ويقدمان النقوط ثم يتناولون الغذاء ويستمر ارسال العشاء للعروسين من جانب اهل العروس لمدة سبعة او عشرة ايام •

وبعد الزواج يدخل الشاب مرحلة الرجولة حيث يسعى لكسب قوته وقوت اولاده • ثم يصبح ابا فجدا وهكذا تدور الحياة •

الوفـــاة :

عندما يتوفى شخص فى القرية يعلن ذلك فى القرى المجاورة وذلك بارسال اخباريين اليها • كما يذهب الحفارون الى المقبرة لتجهيزها بينما يقوم اهل الميت بغسل الجثة وتكفينها والصلاة عليها •

(١) القايش نوع من الكعك •

ثم تحمل فى الحسانية " النعش" الى المقابر ولما كانت المقابر فى طريق الشيخ الاقرب فعند الاقتراب منه يقف ركب المشيعين لقراءة الفاتحـــه والدعاء للميت ويطلب من كبار السن والعجزة غير القادرين على مواصلـــة الطريق حتى المقابر ، العودة ويشكر لهم سعيهم •

واذا كان الفقيد شابا او زوجا فقد تحلق الزوجة او الام شعرها وتلبس ملابس الحداد السوداء ربما بقية حياتها على فقيدها ولكـــــن النساء لايذهبن الى المقابر مع الرجال • ثم يعود الرجال بعد ذلـــك ليجلسوا فى ديوان البدنة لاستقبال المعزيين •

ويستمر العزاء فى الديوان لمدة خمسة ايام واحيانا لمدة خمسة عشرة يوما وفى هذه الفترتيقدم الاقارب واهل النجع الطعام لمـــــنزل المتوفـــى •

وفى اليوم الخامس تعمل الصدقة التي توزع على الفقراء والقـــراء الذين يتجمعون عند قبر المتوفى لقراءة القرآن على روحه ثم يذبـــــح خروف اذا كان الفقيد رجلا ونعجة اذا كانت امرأة ويوزع على الفقـــراء والسائلين ويذهب الفقهاء والحاضرون لاحضار ملابس المتوفى وماكـــان خاصا به ويتلى القرآن الكريم لصرف روحه ويأخذ الحفار " الحانوتـــى " جلد وامعاء الذبيحة ويدفن الرجل فى مقابر اهله من ابيه ، بينمـــــا المراة فى مقابر اهلها من ابيها الا اذا كانت اما لاولاد كبار فتدفـــن فى مقابر زوجها •

وبعد الوفاة لايجوز للارملة ان تتزوج واذا حدث اعتبر هــــذا امرا مشينا بالعرض وخرقا للعادة ، بينما يسمح للرجل ان يتزوج بعـد وفاة زوجته •

الجانب التعليمـــــى :

ينقسم الى التعليم غير الرسمى والتعليم الرسمى • والتعلـــــيم

غير الرسمى يرتبط بالكتاب حيث يوجد في العشى ثلاثة كتاتيب لتحفيظ القرآن وهى تعمل فترتين صباحية ومسائية وينتظم الطفل فى الكتاب منذ ان يقوى على السير والنطق وتكون لديه القدرة على التحدث والفهم ويقوم بتحفيظهم القرآن ومبادىء الدين معلم يسمى "سيدنا "[1] ويتعلم الطفل الى جانب ذلك القراءة والكتابة ويستخدم فى ذلك لوحا من الصفيح وقلما من البوص والحبر الاسود ويظل الطفل فى الكتاب حتى يبلغ سن السادسة فيلتزم بالانتظام بالتعليم الابتدائى الرسمى .

ومن مظاهر التعليم الرسمى بالقرية وجود مدرستين ابتدائيتين مدرسة الوحدة المجمعة والمدرسة الازهرية والالتحاق بايهما الزاميا عند بلوغ الطفل سن السادسة وقد انشئت مدرسة الوحدة عام ١٩٢٦م .

ومن الملاحظ ان عدد الفتيات يقل فى السنة السادسة عنه فى السنة الاولى حيث وجد ان عددهم فى السنة الاولى ٢٣ طفلة فى حين انه وصل فى السنة السادسة الى ٦ فتيات فقط ، وذلك يتمشى مع تقاليد القرية الخاصة بحجب الفتاة عند بلوغ التاسعة من عمرها .

واما المدرسة الازهرية فقد انشئت سنة ١٩٥٤ وتتبع وزارة شئون الازهر ويتركز التعليم فيها على علوم الدين الى جانب المواد العلمية .

ومن ناحية الاقبال على التعليم المدرسى فيلاحظ ان نظام الالزام المطلق هو الذى يجبر الاهالى على ارسال اولادهم الى المدرسة وذلك لانه تتخذ اجراءات قانونية ضد ولى الامر المخالف كالغرامة .

ومن يكمل تعليمه الاعدادى والثانوى منهم نادرا مايفكر فى

---

(١) سيدنا : يكون شخصا راشدا متدينا صالحا حافظا للقرآن الكريم حسن السير والسمعة وغالبا مايكون له مورد رزق غير تلك المهنة .

العودة الى القرية للاقامة بها .

الناحية الصحـــية :

للعلاج فى القرية طرق كثيرة منها الشعبى التقليدى والحديث ويستخدم فى معظمها اعشاب ونباتات كما تستخدم أدوات محليـــــة ويستعينون بالاولياء فى الحالات المتعسرة .

وفيما يلى بعض انواع العلاج فى حالات معينة :

فمثلا فيما يصيب الاطفال من امراض يتم العلاج على النحـــو التالـــى :ـ

لعلاج الاسهال : يسف الطفل مسحوق الترمس وقشر الرمان ، كما يسحق القرض وينخل ثم يخلط بماء الفول المدمس ويعطى للطفـــل ليشرب منه قبل الافطار او قد يغلى ويشرب بدون اضافة سكر اليوم يعطى له فنجان قبل الافطار وقبل النوم .

امافى حالة الاصابة بالكحة فيغلى ورق الجوافة ويشرب كما تغلى بذور نبات السيسبان وتشرب قبل الافطار .

واذا ماكانت الاصابة ارتفاعا فى درجة الحرارة نتيجة الاصابـــة بالبرد فيدهن صدره بزيت الطعام ثم يلف جيدا بقطعة من القماش ثم تعجن الحناء مع الملح والبصل ويدلك بباقى جسم الطفل جيـــــدا ويستخدم كذلك الخل فى التدليك .

اما اذا كان الطفل هزيل الجسم كثير البكاء والصراخ بـــدون سبب فانه يعالج بحفر ثلاث حفرات فى مدخل الباب ويوضع فيه المـــاء وتقوم الام بتخطيها سبعة مرات وهى تحمل مولودها المريض ثم تدهـــن جسمه بتلك المياه ظنا ان السبب فى هذا المرض ان الام تكون دائمـــا متضايقة وهى ترضعه ولذا تتخطى تلك الحفر الثلاث لتمتص المضايقـــة

فتهدأ ويزول سبب بكاء الطفل وينمو ويشفى من الهزال •

واذا كانت الاصابة هى تأخر الطفل فى المقدرة على السير فتربط رجليه من عند مفصل القدم بزعف النخيل الاخضر ثم يضعوا الحلوى والترمس فى حجرة ويذهبوا به الى ضريح الشيخ العشى اثناء اداء صلاة الجمعة انتظارا لخروج اول المصلين من المسجد فيطلبوا منه فك الاربطة من رجليه واخذ ما بحجره من حلويات ويوزعها على الحاضرين وبعد ذلك يزورون ضريح الشيخ العشى وينذرون له نذرا ان تمكن من السير وشفى من ضعفه •

اما التطبيب الشعبى بالنسبة لامراض النساء فيتخذ الاساليب والممارسات الاتية :

اذا كانت المراة تشكو من الام تصاحب الدورة الشهرية فتنصح بشرب الدمسيسة [1] • اما اذا كانت الشكوى من الام الحمل والوضع فتشوى بصلة وتوضع على الفرج • ولتسهيل عملية الولادة يوضع الثوم مع الزيت على النار ويسوى مع البيض ويؤكل كما تشرب القرفة والجنزبيل •

اما اذا كانت الاصابة هى النزيف فيغلى لها قشر الرمان المحمص وتشرب ثلاث مرات فى اليوم •

اما اذا كانت السيدة عاقرا لاتنجب فيحضر لها معدن الذهب ويشترط عدم استعماله من قبل وتحضره سيدة كبيرة السن ثم تضعه فى اناء به ماء •

ويعمل لها عملية (الطق) [2] ثم تزور الجبل وتعود من

---

(١) الدمسيسة هى خلطة تشترى من العطار •

(٢) الطق : هى ان تدخل على سيدة كبيرة السن بعد ان تشرط احد ارجلها (ارجل السيدة العاقر) وذلك قبل ان يهل هلال الشهر العربى •

طريق مخالف لذلك الذى ذهبت منه ويكون ذلك فى الصباح الباكر ، كما تزور المقابر احيانا وهو مايعرف بعملية (الشق) ، ثم يحضر لها قالب طوب محروق حديثا ويطلب منها ان تستحم عليه حيث ينزل الماء فوقه . واحيانا تنصح بان تبلع عصفورا صغيرا حديث الفقس لايوجد به اى ريش ، او قد يقتل ثعبان ويطلب منها ان تخطوه سبعة مرات جيئة وذهابا ، كما قد يشار عليها بزيارة قبر مهجور او زيارة السوق والمجازر او تعدية نهر النيل .

اما اذا كانت الاصابة هى المشاهرة فتلبس المرأة مايعرف (بالمشهرة) وهى عبارة عن خيط ابيض يعقد سبعة عقد ويوضع به بخور ويسمى " عقاد " وتلبسه فى صدرها كما تلبس طفلها مشهرة كذلك فى يده اليسرى وتنصح بلبس كل حليها وماتمتلكه من ذهب وفضه وخاصة دبوس الانف كما تستعين السيدة المصابة بالمشاهرة بالبسلة السابق وصفها عند الولادة . وهم يعتقدون ان البسله حصنا ضد المشاهرة . ولكن اذا اصيبت السيدة باحد مظاهر المشاهرة كجفاف لبن الثدى مثلا فعليها ان تقوم بعمل " كباس " ويتم باخذ بعض حبوب القمح من جيرانها وتعطيها لاحد جيرانها بالتالى التى تقوم بدورها بطهيه على النار فى صباح اليوم التالى ويدلك به صدر المصابة ثم يغسل بعدها بالماء فينزل اللبن عقب ذلك .

كما تحرص النساء عند الولادة ان لاتمسها سيدة قامت بعملية الولادة حديثا ظنا انها اذا مسكتها وهى تلد تعطيها مالديها من اوجاع حيث يقولون " فلانه لما مسكت فلانه وهى تلد اديت لها الوجع بتاعها " اى تخلصت من الامها وخلعتها على غيرها .

اما اذا كانت الظاهرة المرضية عند السيدة ان يتوفى اولادها فيظن السبب فى ذلك ان الزوج متزوج من جنيه تقوم بخنق اولاد زوجته الادمية وتسمى الجنيه فى هذه الحالة " مرافقة " وللتخلص من ذلك تذهب الزوجة الادمية الى احد المشايخ الذى يعمل لها حجابا معينا

ويصف لها بخورا لمدة سبعة ايام وغالبا مايكون كمون اسود وكسبره ثم يبخر الطفل (بالطوالين)[١] ٠

ومن الاشياء المعروفة لعلاج الجروح والدمامل للجميع سواء الذكور او الاناث او الاطفال والكبار وهى وضع ملوخية ناشفة فى الجرح او وضع عجينة مضافا اليها سكر على الجرح او الدمل لامتصاص الصديد ٠

بينما الصداع يعمل له عجينة من طحين الترمس مضافا اليها القرنفل ثم يعجن بالماء ويعمل منه لبخة تربط على الجبهة ٠

واحيانا يؤتى بخيط من الصوف المأخوذ من نعجة بكر ويربط على الجبهة ثم يضغط على الرباط بمفتاح خشبى يفتح الباب من الشمال الى اليمين وليس العكس كما يشرب ينسون وكراوية وحلفابر واذا اشتد الصداع فتربط الرأس بمنديل ثم يوضع فوقه خل ولبخة مكونة من حناء وملح وليمون ٠

اما اذا كانت الاصابة ضربة شمس فتعالج بتكسير بصلة وعجنها فى حناء وملح وتوضع على جلد الرأس لمص ذلك الارتفاع فى درجة الحرارة ويقوم بعمل هذه العملية الرجل لزميله والمرأة للمرأة ٠

اما اذا كان المرض هو القىء فيغلى له لبان دكر ويشرب قبل الاكل ٠ ولكن المغص يشرب له حلفابر وينسون وكراوية وحرجل او تحويجه تشترى من العطار ٠

واذا كانت الاصابة دوسنتاريا (تعنية) فتعمل له قهوة مضافا اليها ليمون ٠

---

(١) الطوالين : عبارة عن آيات من القرآن الكريم تكتب فى قصاصات من الورق ويقوم بعملها شيخ متخصص ٠

اما اذا كان المرض يصيب العين كان يحمر لونها او تلتهب فيوءتى (بجنزاره) • وهى حجر ازرق اللون فى حجم التمرة ثم تذاب فى الماء ويقطر منها فى العين واحيانا يقطر من لبن الثدى فى العين فى حالة الالتهاب• اما اذا كانت العين محتقنة فتكسر بيضة طازجة مضافا اليها كمون ابيض وعليها قليل من الماء وترج وتستعمل كقطرة للعين يقطر منها ثلاث مرات يوميا • اما اذا كانت اصابة العين هى الانتفاخ والورم فيعمل لها كمادات شاى او يذاب الاسبرين فى قليل من اللبن ويقطر منه فى العين •

واذا كان المرض فى الاذن فتعمل له عصيدة من الدقيق والبيض يلف حول الاذن لمص الالم واذا كانت اصابة الاذن هى وجود الدود وهذا غالبا مايصاب به الاطفال — فتعالج عن طريق (الدوادة) وهى سيدة متخصصة فى علاج هذا النوع من المرض حيث تقوم بتنظيف الاذن من الدود وذلك بعد قراءة دعوات وتعاويذ معينة يخرج على اثر الانتهاء منها الدود وتشفى الاذن •

اما اذا كان بالاذن التهاب فيستخدم زيت الطعام بوضعه بداخلها لازالة تلك الالتهابات •

واذا ما اصيب الشخص بالزكام استعمل الليمون وقد تغلى الحلبة مع الملح وينصح بان يشرب منها عدة مرات وتذبح له دجاجة سمراء " غطيس " اى لايوجد بها ريشة واحدة ليست سوداء ثم يأكل لحمها ويحتسى حساءها •

واذا كان المرض هو الرطوبة او الاصابة بالروماتيزم فيدفن الجسم فى الرمال الساخنة وبعدها ياخذ حمام ساخن وياكل طيورا اما اذا كان الروماتيزم فى عضو معين من الجسم كالايدى او الارجل او الظهر فيكوى الجزء المصاب بالنار بواسطة مسمار ليشفى وقد يعالج الروماتيزم (بالحمصة) حيث يعمل جرح فى العضو المصاب ثم توضع الحمصة فيه ويستبدل كل يوم لمدة سبعة ايام وهى تقوم بدورها فى امتصاص

الماء وبعد ذلك يزول الالم ـ واحيانا يستخدم (الوشم) لعلاج الروماتيزم الموضعي • اما اذا اصيب الفرد بالدوخان فيغلى له كسبره ليشربها ويتناول معها طعاما دسما كالطيور والخضروات المطهية للشفاء منه •

واذا كان المرض بالاسنان فيستعمل القرنفل ويسمى (مسمار الريحة) واذا اصيب الشخص بالصفراء يقطع العرق الاسود الموجود تحت اللسان ويسحب •

اما امراض الحساسية فيعجن لها الحناء مضافا اليها ليمون ومياه وتدلك به الاماكن المصابة لكى تشفى •

ولالام القلب يشرب لها مشروب النعناع او القرفة او شراب الحلفابر واما فى حالة لدغ العقرب فيستدعى الحاوى الذى يقرأ الفاتحة اربعين مرة بدون ذكر لفظ (ولا الضالين) وفى هذه الحالة يتجمع السم فى مكان اللدغ ثم يشرط مكانه ويحضر سكر وماء ساخن ويدلك مكان اللدغ ثم يصفى الدم (بالمحجام) وهو قطعة من الحديد على شكل قمع يستخدم فى تلك الحالات •

اما اذا كانت الاصابة نفسية او عقلية كالخبل فلايوجد لها علاج عقارى او نباتى فيكون الذهاب الى الاولياء واتباع طقوس معينة هو العلاج كأن يذهب اهل المريض به الى شيخ معروف بكراماته فى علاج تلك الحالات او يزورون مارى جرجس بالقرب من الاقصر ويلبس المريض جلبابا ابيضا ويمكث فى زيارة ضريح الولى اسبوعا على الاقل •

اما المرض المستعصى والذى تفشل معه جميع المحاولات يظن ان الشيطان هو السبب فينقل المريض الى الشيخ الذى يطلب احضار زيت كافور طيار وزبده بقرى ثم يخلطهما ويدهن به جسم المريض مرة كل يوم بعد ان يعمل له احجبة معينة يلبسها المريض•

ولكن لايستعان بالمشايخ فى تلك الامراض فحسب بل فى حالات الامراض الخطيرة كالاصابة بالحمى التى فشل فيها العلاج بالعقارات والنباتات حيث يقوم الشيخ بكتابة آية الكرسى على ظهر المريض ويعزم عليه بقراءة القرآن الكريم ويعمل له الاحجبة اللازمة ثم يعطى المريض ثلاث ورقات صغيرة مكتوب عليها آيات قرآنية ويطالبه بعمل البخور بالكسبرة الذى يسمى (تفاحة الجن) ، ويبخر منه ثلاث مرات يوميا وفى كل مرة يلقى باحدى تلك الاوراق الثلاثة فى نار البخور وتسمى تلك الاوراق (فوايد) •

كما يدخل دور المشايخ والاولياء فى التوافق الزوجى حيث يعمل الشيخ احجبة معينة ويبخر كلا من الزوج والزوجة المتنافرين بالبخور ليقرب ويوفق بينهما • وفى حالة المرض بالوسواس يحضر الشيخ ترمس مطحون ويعجنه بالرشاد وهو نوع من النشادر ويضعه على رأس المريض ثم يربطها بقماش ابيض مكتوب عليه آيات من القرآن لطرد الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس املا فى الشفاء •

كانت هذه هى طرق العلاج الشعبى المنتشر فى قرية العشى وكان لابد من استخدام مثل هذه الطرق طالما انهم لايعرفون طرق العلاج الطبية الحديثة ولكن منذ انشاء الوحدة المجمعة بالقرية وانتشار الوعى الطبى تعرضت تلك الافكار الشعبية فى العلاج لتغييرات كثيرة خاصة وان الوحدة تشتمل على وحدة صحية كاملة بها ثلاثة اطباء مدربين ومتخصصين منهم طبيب الاسنان وعدد ٢ مساعدة مولدة ، ١ زائرة صحية ومراقب وملاحظ صحيين الى جانب العمال والطباخ وسائق سيارة الاسعاف فضلا عن ان المبنى معد بالادوات الطبية الحديثة •

وقد لوحظ اقبال الاهالى على الوحدة فى حالات كثيرة منها الولادة ولدغات العقرب وعلاج الاسنان وغيرها مما يعانى منه اهل القرية •

كما يوجد بالوحدة ايضا مكان لرعاية الامومة والطفولة حيث تتابع الحوامل بواسطة الزائرة الصحية منذ البداية وتعطى العقاقير

والادوية اللازمة ، كما تقوم المولدة ومساعدتها بمباشرة الولادة ومتابعة صحة الام والمولود حيث تقوم بتطعيم الاطفال ضد الشلل والدرن والجدرى كما يوجد ايضا مركز لتنظيم الاسرة .

الناحية الدينية :

يقال ان القرية لم يكن لها وجود قبل مجئ الشيخ محمد العشى مؤسسها وعلى هذا فلم تمر القرية بمراحل دينية تاريخية فالدين الغالب هو الاسلام وملكية الاراضى الزراعية كلها للمسلمين ولايوجد بها ديانات اخرى باستثناء اسرة واحدة تعتنق المسيحية واتت نازحة الى القرية ويعمل معظم افرادها ببعض الحرف .

والناحية الدينية هامة جدا فى حياة اهالى العشى فالقرآن هو الحكم الذى يلجأون اليه عند فض اى نزاع او انشاء اى علاقة اجتماعية حتى بين شخصين ومن هذه المظاهر مثلا ان الارتباط والاتفاق على عهد مايكفى فيه قراءة الفاتحة .

وبالقرية عدد كاف من المساجد والزوايا . واهل القرية يهتدون بمشايخ واولياء القرية ويتقربون من سيرتهم ويتمسكون برضائهم . كما انهم يقيمون لهم احتفالات سنوية تخليدا لذكرى مولدهم وابرز تلك الاحتفالات هى المولد النبوى الشريف والاحتفال بمولد الشيخ العشى حيث يستمر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف شهرا كاملا . وتحتفل به كل بدنة فى ديوانها الخاص وتنحر الذبائح فى اليوم السابع كما يقرأ القرآن وتقام حلقات الذكر كما تزين القرية بالاعلام وزعف النخيل ويقدم الطعام لكل سائل ومحروم .

كما يعتبر الاحتفال بالمولد النبوى مناسبة لتقديم الهدايا ، وايضا من المناسبات التى يتم فيها الزواج او تصفية الخلافات او المنازعات بين العائلات او البدنات . واقرب الاحتفالات الى [illegible] الخاص بمولد الشيخ العشى الذى يعد حدثا اجتماعيا يحتفل به [illegible]

عام ، ويستمر خمسة ايام تبدأ من ١٥ / ٨ فى الغالب ويدعى للاشتراك فيه الى جانب كل بدنات وافراد القرية ، القرى المجاورة للمشاركة فى احياء تلك الذكرى كما يشترك جميع الاهالى فى شراء الذبيحة الكبيرة التى تنحر بجوار ضريح الشيخ العشى الى جانب الذبيحة التى تذبحها كل بدنة لنفسها •

ويطلق على آخر ايام الاحتفال يوم (الفكه) وهو الذى يحتفل فيه (بالدوره) وهى عبارة عن حمل كسوة الاضرحة واولها كسوة الشيخ محمد العشى على الجمال وتسمى (بالتوابيت) وباتمام الدوره والدوران حول القرية تنتهى كافة المراسم الخاصة بالاحتفال بمولد الشيخ العشى •

هذا ويحافظ اهالى القرية على ممارسة الشعائر الدينية والتمسك باركان الاسلام الخمسة كما انهم يحثون اولادهم على حفظ القرآن والتمسك باهداب الدين ومعرفة السيرة النبوية الشريفة بارسالهم الى الكتاتيبمنذ الصغر •

خاتمة
حقائق البحث ونتائجه

ـ

تقع قرية العشى بمحافظة قنا وتبعد ١٢ كيلومترا عن مدينة الاقصر ورغم ذلك فليس لها اية صلة او علاقة بالاثار الفرعوية حيث وجد فريق البحث ان الاهالى لايذهبون الى الاقصر للعمل فى الاثار وحتى البعثات الاثرية لاتعرف شيئا عنها الا ان معظم احتياجاتها تأتى اليها من الاقصر حيث لايوجد بها سوق او مخبز فيما عدا بعض المحلات التجارية الصغيرة التى تشبه الاكشاك ولايصل اليها القطار وترتبط القرية بالاقصر والقرى المجاورة بخط اتوبيس وبعض سيارات الاجرة والطريق المؤدى الى الاقصر ترابى وغير ممهد وملتوى •

والغريب عن القرية يشترى حاجاته يوميا من الاقصر او اسبوعيا من القرى المجاورة لها مثل قرية خزام وغيرها من القرى التى يقام بها سوق مرة كل اسبوع ٠

اما الهجرة الى المدن للعمل فى اعمال البناء والحفر فهى سائدة بالقرية وغالبا مايترك المهاجر زوجته واولاده ويرسل اليهم ما يستطيع ادخاره من نقود لاعاشتهم ولكن رغم اغراءات المدينة فلايقطع العامل صلته بالقرية ولاينسى اهله وذويه ٠

اما الهجرة بسبب التعليم فنادرة لانه نادرا مايكمل احدهم تعليمه العالى ٠

ونظام السكن حيث يقطن بالحى بدنة واحدة له مزايا كثيرة هى الحفاظ على روابط واواصر القرابة وهذا يدعو الى التعاون والمجاملة ولكنه ربما يشجع على التعصب اكثر من اللازم ٠

اما من حيث الاوانى المستخدمة فى الطهى والشرب فمما هو ملحوظ ان الجميع يستخدم الاوانى الفخارية التقليدية التى كان يستعملها ايضا قدماء المصريين ولكن استخدامها فعلا مفيد لانها تعطى الطعام طعما اشهى مما تكسبه اى انيه اخرى الى جانب انها ارخص بكثير من الاوانى الحديثة ٠

ويمارس اغلب الاهالى الزراعة مستعملين الالات الفرعونية القديمة وتوجد بعض الحرف الاخرى الى جانب ذلك ٠ بالنسبة للمحاصيل الزراعية فقد دخل القرية ايضا محصول جديد الى جانب محاصيلها التقليدية هو محصول القصب وقد غير من مفاهيم القرية حيث يتطلب مجهودات كبيرة وعمالا كثيرة وقد شجع على الهجرة الداخلية فى مواسم معينة مما ساعد على ادخال عناصر حضارية جديدة ويتبادل الاهالى المحاصيل الزراعية فيما بينهم كما يتمتعون بخدمات الحرف الاخرى نظيرها ٠

ومما لوحظ ان المرأة ليس لها اى دور واضح فى المجتمع ، رغم مالها من اثر غير مباشر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يسمح لها ان تقوم باى عمل خارج المنزل حتى حرية الرأى فى المنزل ايضا قد حرمت منها ولذلك فانها تمارس كل العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة ولم تتأثر بالتيارات الحديثة فى مجتمعها رغم قيام برامج التنمية الاجتماعية بمهامها خير قيام • بالقرية وحدة صحية ووحدة اجتماعية بالاضافة الى المجلس القروى ومايقوم به من خدمات ولكن اذا اردنا تغيير افكار المرأة من حيث المعتقدات الراسخة فيجب اولا اقناع الرجل ، وهو بدوره يستطيع ان يخرجها من هذا الحيز الضيق الذى تعيش فيه • فعلى الرجل فى هذا المجتمع القروى يقوم وينفذ كل شئ •

ولكن بالنسبة للرجل فهناك ايضا عادة يجب ان تزول تلك وهى عادة الاخذ بالثأر التى لم تمحها التطورات الحديثة ولم تستطع السلطات الحكومية ان تغير منها شيئا وربما يتظاهر بانه تنازل عن حقه وترك الامر للمسئولين ولكنه فى قرارة نفسه لن يفعل ذلك بل يتربص لكى يأخذ بثأره بعد عشرات السنين وهذه مشكلة ازلية بالنسبه للوجه القبلى جميعه •

اما من ناحية التربية الدينية فالمجتمع يهتم بها اهتماما كبيرا مما يجعل الشباب يحافظ على حفظ القرآن واتباع التعاليم الدينية فالجميع يخشون الله ويعملون حسابا لكل صغيرة وكبيرة فهم متدينون للغاية وهذه سمة رئيسية فى القرية التى يشتهر اهلها عامة بالكرم وحب الغير والتعاون والمجاملة واحترام اراء كبار السن •

ومما احدث تغييرا واضحا بالقرية ادخال الكهرباء حديثا مما ساعد الرجال على السهر خارج المنزل فى الدواوين او فى الوحدة المجمعة للتشاور ، او للصلح او للتسلية وقضاء وقت لطيف معا ، وكذلك الاولاد وذلك لان الجو لايشجع على القيام باى نشاط اثناء النهار •

اما بالنسبة لادخال مياه الشرب النقية فى القرية فلم يلق اقبالا كبيرا لان الجميع مازال يفضل شرب مياه النيل وربما يرجع ذلك الـــى العادات الفرعونية التى تقدس النيل ومياهه .

وهكذا تعيش قرية العشى بتقاليدها العريقة ومعتقداتهـــا العتيقة رغم متغيرات العصر المتاحة لها حيث انها حديثة العهد بها ، ولذلك نتوقع ان تحدث تأثيرات كبيرة ملموسة فى شتى نواحى الحيـاة وجوانبها ولكن على المدى البعيد حيث يتطلب ذلك جهدا ووقتـــا كبيريـــن .

الحضارة والثقـــافة :

لقد عرفنا قبل ذلك ان الانثروبولوجيا الحضارية تهتم بدراســة مخترعات الشعوب البدائية وادواتها واجهزتها واسلحتها وطــــرز المساكن وانواع الالبسة ووسائل الزينة والفنون والاداب والقصــص والخرافات او كافة انتاج الشعب البدائى المادى والروحى كما تركز علــى الاتصال الحضارى بين الشعب ومن يتصل به من الشعوب ومايقتبسه منهم والتطور الحضارى والتغير الاجتماعى ٠

وقد سبق ايضا ان اشرنا الى ان تايلور (١٨٧١) هو اول مــن عرف الحضارة او الثقافة وذلك فى كتابه الشهير (الثقافة البدائية) وهذا التعريف ينص على ان الثقافة (هى ذلك الكل المركب الذى يشتمل علــى المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات واى قــدرات، اخرى اوعادات يكتسبها الانسان بصفته عضوا فى المجتمع ٠

وهذا التعريف يمثل القاعدة التى قامت عليها جميع تعريفـــات " الثقافة " فيما بعد وهذه بعض التعريفات الحديثة التى وردت منهـــا مثـــلا :

تعريف بواز Boas وتشتمل الثقافة على كل مظاهـــــــر العادات الاجتماعية فى مجتمع ما وردود فعل الفرد فى تأثره بعـادات الجماعة التى يحيا فيها ونتاج الانشطة البشرية كما تحدده هـــــذه العادات ٠

ويقول كروبر ان الثقافة تمثل " مجموع ردود الفعل المركبـــــة المكتسبة والمتناقلة والعادات والافكار والقيم والسلوك الذى يؤدى ا[illegible] هذا الى جانب عدة تعريفات تدور كلها حول هذه المعا[illegible] واخــــيرا يقرر هيرسكوفيتس Heroskovits ان " ال[illegible] ى ذلك الجانــب [illegible]ن البيئة الذى هو من صنع الانسان [illegible] مصطلح بيئة هنا باوســع معانيه بما فى ذلك البيئة الاجت[illegible] هذا ويعتبر مالينوفســـــكى Malinoviski .

اكثر من ساهموا فى هذه المجموعة من التعريفات وهو يعرف الثقافة (بانها الميراث الاجتماعى الذى يشتمل على العناصر المادية الموروثة والسلع والعمليات التكنولوجية والافكار والعادات الفردية والقيم ويذهب ابعد من ذلك اذ يقدم تفسيرا لجوهرها ووظيفتها • فالثقافة " تسبغ على الانسان امتدادا اضافيا لجهازة العضوى وهى تؤكد اساسا من خلال اشباع الاحتياجات البيولوجية وهكذا تظهر الثقافة اول ما تظهر وبصفة رئيسية على انها التنظيم الاجتماعى والافكار والعادات والمعتقدات والقيم وجميعها تتيح للانسان اشباع حاجاتة البيولوجية من خلال التعاون وفى ءاخل بيئة اعيد تنظيمها وتكيفها) • [٥]

من هذا يتضح ان المفهوم العام للثقافة انما يحمل فى ذاته معنى التكيف • كما تكشف فكرة الثقافة عن بعض " الدلالات " التى تشير الى تدخل الانسان فى تعديل الطبيعة او تحويرها باضافة عناصر بشرية على الوجود الطبيعى وادخال اشياء اجتماعية لم تكن موجودة فى الطبيعة فكل اضافة انسانية على الوجود الفيزيقى او العالم الطبيعى " هى ثقافة " هذا ويستخدم بعض العلماء كلمة ثقافة بنفس معنى كلمة حضارة ولكن البعض الاخر يقصرون كلمة ثقافة على الامور المعنوية فى المجتمع كالاراء والمعتقدات والمعارف والنظريات ومايستحدث من مظاهر الفن ويطلقون لفظ حضارة على كل مايتعلق بالناحية المادية فى المجتمع وهى التى تتمثل فى المخترعات والابتكارات والتنظيمات التى يلجأ اليها الانسان لدعم كيانه الاجتماعى وتحقيق اهدافه فى سهولة ويسر •

ولكن هذه التفرقة لاتقوم على اساس معقول فهناك تشابك بين المظاهر المادية والمعنوية للثقافة فالمخترعات كالراديو والتلفزيون مثلا كانت قبل خروجها الى ميدان التطبيق العملى افكارا ونظريات •

وقد يكون من الاصح ان تستخدم كلمة حضارة فى التعبير عن مستويات من الثقافة اكثر تقدما • فالحضارة هى ثقافة معقدة وهى درجة من ثقافة متقدمة نوعا ما فهى من ناحية ارقى اشكال الثقافة ومن ناحية اخرى الشكل الخارجى " المادى للثقافة " •

ومع ذلك فان جمهور المتخصصين فى الدراسات الانثروبولوجية لايفرقون بين التعبيرين تفريقا كبيرا بل يستخدمون الاصطلاحين مترادفين لنفس الحقيقة وذلك وفقا لتعريف تايلور السابق . هذا ومهما اختلفت التعريفات فانها تتفق كلها فى النهاية مع تعريف تايلور وهذا التعريف يؤلف اهم خصائص الثقافة ومقوماتها . وقد اهتم علماء الانثروبولوجيا بدراسة لغات الجماعات المنعزلة عن التيارات الحضارية وقد وضعوا مزيد عنايتهم الى اللغات البدائية واللهجات الاقليمية والمحلية والاداب الشعبية وهذا الاهتمام يرجع الى ان اللغة خاصية انسانية ووسيلة للتواصل والتناقل الفكرى بين افراد الجماعة الواحدة (١).

وبهذا المعنى الواسع تدخل فى دراسة اللغة دراسة التعابير الحركية التى تفصح عنها اعضاء الوجه ومن امثلتها حركات العيون والفم وهزات الرأس ويدخل فى نطاقها الاشارات وحركات اليد والاشارات الصوتية ولذلك يستخدم المنهج العلمى فى دراسة اللغات ويعتبر احد فروع الانثروبولوجيا الثقافية لان اللغة كما عرفنا احد عناصر الثقافة بل هى اهم تلك العناصر .

وتوجد علاقات تعاونية بين عالم اللغة والانثروبولوجى الاجتماعى وذلك لان على الاثنولوجى والانثروبولوجى الاجتماعى ان يدرس لغة المجتمع الذى يبحثه ولايتم ذلك الا عن طريق دراسة مبادئ علم اللغويات ولكن من الناحية الواقعية نلاحظ ان علم اللغويات له اقسام مستقلة فى الجامعات والسبب فى ذلك امكان دراسة اللغة وتحليل عناصرها بصورة مستقلة عن بقية عناصر الحضارة . ويقوم المتخصصون فى تلك الاقسام بتدريس مادة اللغويات وفروعها لطلبة اقسام الانثروبولوجيا .(٢)

لقد تحدى الانسان موطنه بحضارة ذات الادوات التكنولوجية البسيطة والمصادر الاقتصادية المحددة ومن وجهة النظر هذه فقد قبل الانسان التحدى ، هذا التحدى الذى يبدو واضحا قويا فى تأثيرة على

(١) دراسات انثروبولوجية د . أحمد الخشاب ص ١٠٦ .
(٢) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، د . عاطف وصفى ١٩٧٥ ، ص ١٨ .

الانسان وتشكيلة لاسلوب حياتة فرضه علية الموقع الطبيعى ، وينطبق ذلك على من تكون بيئتهم قاسية ويعيشون فى الصحراء او فى مناطق مهجورة ، ولهذا وجب ان نركز بالضرورة على المكان ووسائل التكيف التى اتبعوها من اجل هذا التكيف .

ونأخذ كمثال لهذا (الاستراليون) فقد عرفوا البذور والجذور الصالحة للغذاء من خلال خبرتهم وتجوالهم فى البيئة الطبيعية كما عرفوا الفواكة والخضروات والزهور وعسل النحل والحشرات والضفادع والقشريات مثل سرطان البحر السحالى والسمك والتماسيح بالقرب من مجارى الانهار ، كما وجدوا من الطيور الحمام والدجاج والكنجارو لكن لم يكن عند هم فئوس للزراعة واسلحتهم كانت بدائية للغاية ، كما عرفوا طرقا واساليب للصيد تدل على دهائهم فقد وجدوا ان الكنجارو يمكن صيدة بارهاقة بالمطاردة فكانوا يتعبونة جريا طوال النهار ثم ينامون حيث تنتهى بهم المطاردة ويتعقبونة ثانية فى اليوم التالى حيث تضعف قواه لعدم تعودة على هذا المجهود فيهوى علية الصياد بهراوة غليظة .

وكمثال آخر لقسوة المواطن بلاد البشمن فى صحراء كلهارى والاقزام فى غابات الايتورى فى افريقيا فهم لم يعرفوا من ادوات الصيد سوى السهم البسيط والقوس . فكان الصياد يتخفى بلبس ريش النعام لكى يقترب من الطائر مقلدا حركتة بحذر شديد ويطلق سهمه فيه بدون ان يشعر ، وهكذا يستخدم ايضا فرو الحيوان المراد صيده للتخفى .

ولندرة الماء فى صحراء كلهارى فهم يحفظونة فى بيض النعام وقت المطر اما اذا جفت مواقع الماء فيزرعونها بنبات ذات شكل دائرى او مستطيل (تقارب الشمام والبطيخ) للحصول على قدر من السوائل منها ، ويستخدمون البوص الاخضر فى امتصاص الماء من الاماكن المنخفضة .

اما المثال الثالث لحالات تكيف الانسان والبيئة فبيد و ذلك عند الاسكيمو فى اتخاذ مساكنهم على شكل قباب من الثلج وتسمى بالكوخ القبوى الذى هو حصيلة الخبرة والتجريب باستخدام ماهو متواجد امامه . والكوخ القبوى يؤدى الوظيفة الكاملة للمسكن من توفر للمأوى والراحة فى البرد القارس ، كذا استخدام فيلة البحر والمركبات المنزلقة السريعة والغطاء الساقط من اعلى الرأس الى قرب الحاجبين ليحميهم من الشعور بانعدام التوازن بسبب السرعة او ضد طلوع الشمس فجأة .

كما ان رؤوس السهام المدببة تستخدم لصيد فيلة البحر والحيتان وطريقة صيدهم للحوت بتركه يطفو بعيدا ثم يستخدمون قطعة خشبية ثقيلة وطويلة يقذفونة بها من على بعد لتجنب ضربات المفاجئة التى تؤذى الصياد . وفيلة البحر المنتفخة بالدماء فتفجرها رأس الحربة المدببة .

ولبس غطاء للرأس سمين والكوخ الدائرى والملابس ، كل هذه وسائل تستخدم من اجل الدفء وهذا تكيف مع البيئة .

وتصف المدرسة الالمانية انطباع او تأثير الموقع الطبيعى على اساليب حياة الناس فيما يسمى " تاريخ الجنس البشرى " .

ماهية الحضارة :

يتميز الانسان عن الحيوان باختلاف تصرفاتة من مجتمع لاخر وخاصة فيما يتعلق بالطرق التى يؤدى بها نشاطة اليومى فهو يمارس تصرفات تختلف من مجتمع لاخر ومن وقت لاخر ويمكن ان نلمس هذا الاختلاف واضحا فى اغلب انواع النشاط الذى يمارسة الانسان فاذا مثلنا بنماذج التصرف التى تتعلق بالغذاء فى عدد من المجتمعات نجد مثلا ان قبائل الاسكيمو التى تعيش فى المناطق القطبية تقتصر ... على اللحوم والاسماك تقريبا فى الوقت الذى نجد فيه الهنود ... يعيشون فى المكسيك يعتمدون اساسا فى غذائهم على الحبوب

والخضروات كما اننا فى الوقت الذى نجد فيه اللبن ومشتقاته غذاء كاليا جدا بالنسبة لقبائل البجندا فى شرق افريقيا يعتبره سكان غرب افريقيا شيئا لا يؤكل بل وساما فى بعض الاحيان وبالمثل تختلف نظرة بعض المجتمعات الى السمك ففى الوقت الذى يعتبر السمك فيه غذاء هاما عند كثير من القبائل الهندية التى تعيش فى امريكا نجده عند قبائل اخرى شيئا لا يصلح للغذاء بل وينسب اليه حدوث بعض الامراض كما هو الحال عند بعض القبائل فى نيومكسيكو كما يمكن ان نمثل لهذا الاختلاف ايضا بموقف افراد المجتمع الواحد من بعض انواع الغذاء ففى الوقت الذى نجد فيه سكان السواحل فى مصر يقبلون على اكل كثير من انواع الحيوانات البحرية كالقواقع وغيرها نجد سكان المناطق الداخلية يشمئزون من منظر مثل هذه الحيوانات ولا يمكن اقناعهم باكلها (١) .واخيرا نجد كثيرا من المجتمعات تعتمد على لحم الكلاب كغذاء رئيسى مثل قبائل هنود المكسيك التى تربى الكلاب لاكلها بينما نجد مجتمعات اخرى تستنكر مجرد التفكير فى لحم الكلاب كغذاء .

ويمكن ان نمثل لاختلاف نماذج التصرف فى المجتمعات الانسانية بما هو متبع نحو الملابس وادوات وطرق الزينة وذلك حينما نجد عددا من المجتمعات مثل سكان استراليا الاصليين يعيشون شبه عرايا بينما نجد قبائل الباجندا فى شرق افريقيا يلبسون ملابس كاملة من الرقبة الى القدم كما تختلف شعوب العالم عامة فى الوسائل والطرق التى يغطون بها اجسامهم ويختلفون ايضا فيما يتعلق بوسائل الزينة التى نجدها كثيرة الاختلاف بين مجتمع واخر فهى قد تشمل حلقة الانف والشفة وحلق الاذن ودبابيس الشعر كما نجد مجتمعات اخرى تزين الجسم نفسه بواسطة الطلاء او الطين او الوشم . او باثار الجروح المعتمدة فى بعض الاحيان (٢) .

واذا اكتفينا الان بهذه الامثلة لتوضيح مدى اختلاف

---

(١) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، د . عبد الحميد لطفى ، ص ٧١ .
(٢) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، د . عبد الحميد لطفى ، ص ٧٢ .

المجتمعات الانسانية بعضها عن بعض في تصرفاتها فان الخطوة التالية هي ان نسأل عن الاسباب التي ادت الى كل هذه الاختلافات على الرغم من ان الانسان في كل هذه المجتمعات ينسب اصلا الى نوع واحد هو فصيلة الانسان العاقل ٠

واجابتنا على هذا السؤال يمكن ان نجدها فيما يلاحظ من ان الانسان يختلف عن الحيوانات الاخرى في انه يتعلم الجزء الاكبر من تصرفاته فهو حينما يولد يكون ضعيفا وتولد معه بالوراثة اية طرق للتصرف وهو لكي يعيش يجب ان يتعلم كيف يأكل وكيف يمشي ويتكلم بل ويتعلم كل التصرفات الاخرى التي تمكنه من ان يعيش ويظل الانسان على هذا الحال طوال فترة الطفولة والصبا في دورة لاتنتهي من تعلم اشياء جديدة تهيئة لكي يعيش وينسجم في المجتمع الذي ولد فيه وتعلم فيه ٠ فالانسان يعيش اذن في مجتمعات تشترك اعضاء كل منها في طرق مميزة للسلوك والتصرف ويتكون من كل هذا في النهاية ما اصطلح على تسميته بالحضارة (١) ٠ ولكل مجتمع انساني حضارته الخاصة والتي اذا تناولناها كوحدة بكل تفاصيلها وجدناها تختلف بالمثل عن حضارة اى مجتمع اخر وعلى الرغم من ان لكل جماعة انسانية حضارتها الخاصة فاننا نلاحظ ان هناك دائما حضارة مشتركة بين اغلب هذه الجماعات او بين عدد كبير منها على الاقل ففي منطقة السهول في امريكا الشمالية تعيش جماعات هندية مختلفة لكل منها حضارتها المميزة ولكل منها اسمها القبلي ولكل منها لغتها التي تتخاطب بها كما ان كل منها مستقلا سياسيا عن الاخر ولكن مع ذلك نجد ان لكل هذه القبائل عددا من الصفات الحضارية المشتركة بينها جميعا منها ان الجاموس كان يصاد للغذاء وان المساكن عامة كانت تبنى على اعمدة وتغطى بالجلود وان الكلب ثم الحصان فيما بعد كان يستعمل للحمل والجر وان الملابس كانت تصنع من جلد الجاموس والغزال ٠ اما عن رجال هذه القبائل فكانوا ينقسمون الى طوائف من المدافعين يسكنون في معسكرات على شكل دائرة ويمارسون في عباداتهم طقوسا تكاد تكون موحدة فيما بينهم ونظرا لاشتراك افراد هذه الجماعات المختلفة في كثير

(١) المرجع السابق ، ص ٧٢ ٠

من صفاتهم الحضارية أمكن تعيين هذه الحضارة الموحدة او الشائعة التى تظلهم جميعا وتسميها " حضارة السهول " تمييزا لها عن حضارات هندية أخرى تكون لها السيادة فى مناطق اخرى مثل حضارة سكان الغابات الشرقية او الشمالية او منطقة كاليفورنيا •

واذن فما نعنية بحضارة السهول او حضارة ساحل المحيط الهادى الشمالى او حضارة الغابات الشرقية هو طرق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التى تتميز باشتراكها فى عدد من مظاهر الحضارة نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل • وقد يتميز المجتمع الواحد بعدد من الحضارات اذا ما انقسم الى مناطق او اجزاء حضارية يتميز بها جزء دون غيره من الاجزاء الاخرى ويكون هذا التقسيم واضحا فى المجتمعات التى يسودها نظام الطبقات وحيث نجد لكل طبقة طرقها الخاصة فى السلوك وهذه الظاهرة لانجدها فى المجتمعات الامريكية فحسب بل وفى الاوربية والاسيوية والافريقية ايضا فى الماضى وفى الحاضر • ومن ذلك مانلمسه فى اختلاف بين المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية فى كثير من نماذج التصرف ويمكن ان نمثل لذلك بمصر وما نجده من اختلاف بين ريفها وحضرها او مانجده من اختلاف بين سكان المناطق الساحلية والمناطق الداخلية رغم انتساب هؤلاء السكان جميعا فى النهاية الى مجتمع واحد هو المجتمع المصرى (1) •

مما تقدم يمكننا القول ان الحضارة اصطلاح يستخدمه الانثروبولوجيون بمعانى مختلفة يمكن ان نجملها فيما يلى :

١ ـ طرق الحياة او نماذج المعيشة الشائعة فى وقت من الاوقات لكل المجتمعات الانسانية ويمكن ان نمثل لطرق التصرف هذه بالزواج وارتداء الملابس وغير ذلك من التصرفات التى تكاد تكون عالمية •

٢ ـ طرق الحياة او نماذج المعيشة التى تتميز بها مجموعة من

(1) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، د • عبد الحميد لطفى ، ص ٧٥ •

المجتمعات التى يوجد بينها نوع من التفاعل يختلف فى درجة عمقة ويمكن ان نمثل لذلك باشكال التصرفات التى تكاد ان تكون قاصرة على المجتمعات الاسلامية نتيجة لعقيدتها الدينية الموحدة كالصلاة بطريقة معينة والصوم والاحتفالات ذات الطابع الدينى .

٣ — طرق الحياة او نماذج المعيشة التى يتميز بها مجتمع بذاته مثل لبس شىء على الرأس يتميز به مجتمع بعينة عن المجتمعات الاخرى او الاحتفال باعياد معينة فى مجتمعات بذاتها .

٤ — طرق الحياة او نماذج المعيشة التى تتميز بها طبقات معينة او اجزاء بذاتها فى مجتمع واحد يظله تنظيم واحد مثل مانجده من اختلاف فى الزى بين سكان الريف وسكان الحضر او ختلاف فى اللهجات .

ولاتقتصر الحضارة من وجهة النظر الانثروبولوجية على مجتمع معين وانما هى موجودة فى كل المجتمعات بدائية وغير بدائية وعلى ذلك فعلم الانثروبولوجيا لايعترف بالاصطلاح الشائع بين الناس حينما يقولون (مجتمع عنده حضارة ، ومجتمع ليس عنده حضارة) لان هاتين الكلمتين انما تعنيان فرقا فى الحضارة وليس استبعادا لها فالحضارة توجد فى لندن وباريس والقاهرة كما توجد عند قبائل الباجندا والازاندى والتفاهو[1].

خصائص الثقافة ومجالها :

ولقد قدر ميردوك Murdock عدد الثقافات التى تم اكتشافها بما يزيد على ثلاثة الاف ثقافة تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة .

الخاصية الاولى : تتميز الثقافة باستقلالها عن الافراد الذين يحملونها

(١) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، عبد الحميد لطفى ، ص ٧٦ .

ويمارسونها فى حياتهم اليومية ومعنى ذلك ان عناصر الثقافة امور يكتسبها الانسان بالتعليم من المجتمع الذى يعيش فيه على اعتبار انها هى " التراث الثقافى " الذى يتراكم على مر العصور بحيث يتمثل فى آخر الامر فى شكل التقاليد المتوارثة .

الخاصية الثانية :

نجد ان كل العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة يعطون اهمية كبرى لعنصر التعليم او الاكتساب فالفرد يتعلم انماط السلوك التى تسمى " الثقافة " من خلال عملية التكيف الاجتماعى ويكتسب الطفل ثقافة المجتمع الذى تربى فيه والتى تصبح من خلال مراحل نموه جزءاً لايتجزأ من شخصيته بعد ان كانت عند ولادته خارجة عنه وعن طريق التعلم والمحاكاة يترسب فى شخصية الطفل مركب ثقافى مميز من العلاقات والعادات .

وهناك كثير من الشواهد التى توضح الدور الذى تلعبه الثقافة فى حياة الافراد فهى تمثل بالنسبة للفرد رأس المال الذى يبدأ به حياته فاذا عزل او حرم منه فقد الكثير من مقوماته حتى القدرة على الكلام او الاستجابة او التمييز لما حوله من الامور والمواقف فمعظم التعريفات تؤكد ان الثقافة هى حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعى او انها حصيلة النشاط البشرى وان وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الافراد من حيث هم افراد وحين يتكلم علماء الانثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة شعب ما من الشعوب فانهم يقصدون على العموم طرق المعيشة وانماط الحياة وقواعد العرف والتقاليد والفنون التكنولوجية السائدة فى ذلك المجتمع والتى يكتسبها اعضاؤها ويلتزمون بها فى سلوكهم وفى حياتهم .

الخاصية الثالثة : وهى الاستمرار :

فللسمات الثقافية قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن بل ان كثيرا من هذه الملامح والسمات التى تتمثل بوجه خاص فى العادات والتقاليد والعقائد والخرافات والاساطير تحتفظ بكيانها لعدة اجيال لا لشىء

الا انها وجدت فى وقت من الاوقات فى المجتمع فتظل موجودة حتى بعد زوال السبب الذى ادى الى ظهورها فى اول الامر وقد يتعرض المجتمع كله لبعض عوامل التغير التى تبدل بشكل مفاجىء او بالتدريج — الظروف العامة التقليدية — ومع ذلك تستطيع بعض هذه السمات البقاء والاستمرار مع احتفاظها بصورتها الاصلية • والثقافة تنتقل من مجتمع لاخر نتيجة الهجرة او غيرها من وسائل الاتصال الثقافى كاللغة مثلا •

الخاصية الرابعة :

هى انها كل معقد نظرا لاشتمالها على عدد كبير جدا من السمات والملامح والعناصر التى حاولت بعض التعريفات ان تذكر جانبا منها كما هو الحال فى تعريف تايلور مثلا ويرجع هذا التعقيد الى تراكم التراث الاجتماعى خلال عصور طويلة من الزمن وكذلك الى استعارة كثير من السمات الثقافية من خارج المجتمع نفسه وهذا التعقيد معناه ان الفرد لن يستطيع ان يكتسب كل عناصر الثقافة السائدة فى المجتمع الذى ينتمى اليه كما يعنى ايضا ان عالم الانثروبولوجيا او الاجتماع لن يستطيع مهما بذل من جهد ان يسجل كل مظاهر وسمات اى ثقافة من الثقافات التى يدرسها مهما بلغت من البساطة(١) ولذلك حاول بعض العلماء ان يردوا ذلك التعقيد الى شىء من البساطة التى تساعد على تحليل الثقافة ، فميزوا بين نوعين من الثقافة هما :

الثقافة المادية والثقافة المعنوية :

بحيث تشمل الثقافة المادية كل مايصنعه الانسان فى حياته العامة وكل ماينتجه العمل البشرى من اشياء ملموسة وتتمثل هذه الجوانب المادية فى السيارات والقطارات والعدد والالات والقناطر والطرق والمنازل والملابس والاثاث وغيرها من الادوات المستخدمة فى الاعمال الفنية •

(١) دراسات انثروبولوجية ، د • أحمد الخشاب ، ص ٣٥٩ •

وكل هذه الماديات من انتاج الانسان فلم تظهر السيارة كقوة خارقة بدون ان تمر فى خط طويل من المخترعات ومن ثم تمثل وسائل الانتاج واساليبه والادوات المصنوعة جانبا هاما من جوانب الثقافة الانسانية تتأثر وتؤثر فى غيرها من الجوانب الاخرى •

اما الثقافة اللامادية فتشمل مظاهر السلوك التى تتمثل فى العادات والتقاليد والتى تعبر عن المثل والقيم والافكار والمعتقدات (١)

وتمتاز الثقافة فى العصر الحاضر بسرعة الذيوع والانتشار نظرا لوجود العوامل التى تساعد على تحقيق هذه العملية فقد ارتقت وسائل المواصلات التى ساعدت على تيسير حركة المواصلات الفكرية والروحية بين الشعوب وبعضها وربطت بين اطرافها وقربت بين وجهات النظر بين معظم هذه الشعوب — وقد ساد بذلك التفاهم وتحققت المصالح المشتركة وتبادلت الشعوب المنافع العامة والمخترعات الحديثة ومن اهم هذه الوسائل انتشار الكتب العلمية واتساع نطاق الاذاعة اللاسلكية عن طريق الراديو والتلفزيون وارتقاء فن السينما والمسارح وتبادل الخبرات والبعثات وتتم عملية الانتشار بواسطة محركات او وسائل كالتجارة والحرب والتزاوج وتبادل الاثار العلمية والجامعات •

وتحتوى ظاهرة انتشار الثقافة على ثلاث عمليات هى :

١ — نقل العنصر او العناصر الثقافية من مكان لاخر •
٢ — قبول هذا العنصر بواسطة جماعة او مجتمع معين •
٣ — توافق العنصر او العناصر المنقولة والمقبولة مع عناصر الثقافة السائدة فى تلك الجماعة او ذلك المجتمع وانتشار الثقافة معناه انتقال النمط الثقافى من جماعة الى اخرى او من وسط ثقافى الى آخر •

وتنتشر الثقافات عن طريق الافراد والجماعات فالانماط الثقافية

(١) د • احمد الخشاب ، ص ٦٨ •

(لاحياة لها فى ذاتها ولا تنتقل الا بواسطة الاشخاص الذين يحملونها) •

واذا تم انتشار الثقافة عن طريق الهجرات التى يقوم بها الاشخاص والذين يتركون بلادهم بفعل عوامل الضغط الاجتماعى او عوامل الطرد المادى حاملين معهم الانماط الثقافية السائدة فى بلادهم واذا لاءمت هذه الانماط الثقافية الوسط الذى هاجروا اليه وانتقلت هذه الانماط الى ثقافة هذا الوسط الاخير او الجديد يسمى انتشارها بهذه الصورة " طريق عرضى " وهناك طريق آخر - طريق شعورى متعمد : ومنه يتم انتشار الثقافات عن طريق الهجرات الاستعمارية او التجارية التى تهدف من خلال فرض ثقافتها الى استغلال الشعوب المستعمرة [1] •

يتضح مما سبق ان مجال الانثروبولوجيا الثقافية او المادة التى يدرسها الباحث فى الانثروبولوجيا الثقافية هى (السلوك البشرى ومنتجات هذا السلوك) ويتم جمع هذه المادة عن طريق الدراسة المفصلة لسلوك اعضاء ثقافات معينة وتمثل انماط السلوك المحددة ثقافيا بوءرة اهتمام الباحث فى الانثروبولوجيا وتتطلب تحديد هذه الانماط وفهم دلالتها ودراسة تنوعها عبر الزمان والمكان •

وتقدم لنا دراسة تاريخ السلالات جانبا من المادة التى تتعلق بالثقافات القديمة ولكن علم الاثار يعد المصدر الرئيسى للمعلومات الخاصة بالجانب الاكبر من التاريخ البشرى •

وتهتم الاثنوجرافيا بدراسة ثقافات الشعوب الحية من خلال الملاحظة المباشرة وغير المباشرة للسلوك وتتطلب اختيار الشعوب للدراسة والاعداد لدراستها تمهيدا وتخطيطا على جانب كبير من الدقة ولقد كان هدف الاثنوجرافيا فى عصورها الاولى استكشافيا وصفيا اما اليوم فقد اتضح لنا مدى التنوع الثقافى وتتطلب الاثنوجرافيا استخدام اساليب فنية متنوعة فى الملاحظة والتسجيل فالانثروبولوجى على

---

(١) دراسات انثروبولوجية ، د ٠ احمد الخشاب ، ص ٧٢ ٠

خلاف اغلب المتخصصين فى العلوم الاجتماعية يقوم بجمع وتحليل مادتــة ويتم جانب من هذا التحليل فى الميدان ومع ذلك فان الجانب الاكـــبر منه يجب ان يتم بعد العودة من الميدان(١) .

الموطن والحضــــارة :

لقد وضع Forde مفهوما للحضارة حيث جعلها وسطا بـــين البيئة الطبيعية والنشاط الانسانى بحيث يصبح جوهر المشكلة فى تفاعل البيئة الطبيعية والانسان ومن هنا ظهرت الايكولوجيا البشرية لتـــدرس هذه العلاقة بمزيد من التقصى والتحليل لكيفية تكيف الانسان ، هـذا الكائن البيولوجى ، لنفسه مع الموقع الجغرافى .

وكلمة بيئة Environment بمعناها التخصصى تشير الى الموقع الطبيعى بمفهوم الجغرافيين الذين اهتموا بالمظهـــــر الطبيعى للعالم ، وهذا المعنى توضحه العبارة الاتية (حتمية البيئة) التى تعبر عن مركز او مكانة البيئة فى الحضارة ومراحلها التى مرت بها ، ويتركز الاهتمام بالبيئة اكثر من اى شىء آخر ، اى تفضيل الموقـــــع الطبيعى على ماعداه .

بينما يركز المهتمون بالموقع الاجتماعى (السكان) على كيفيـــة التفاعل بين الانسان والبيئة واسلوب الانسان للسيطرة على البيئـــة والتكيف معها ثم استمرار ذلك من جيل لاخر ، وفى الحقيقة فان العنصر الطبيعى وعناصر الحضارة والانسان هى كل واحد لكن التعريفـــات الاصطلاحية تجعلها غير ذلك . ولهذا الغرض فاننا سنوضح المقصـود بكل منها :

الموطـــن :

يعنى به الموقع الطبيعى للوجود الانسانى واثره فـــى الملامح الفيزيقية للجماعات البشرية او الناس فى المنطقة ، وكذا المناخ والسمات الجغرافية الاخرى التى كيف الانسان نفسه معها .

(١) مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، ص ٢٠٨ .

الحضـارة : تعنى ذلك الجزء من الكل الذى يشمل الاشياء المادية التى هى من صنع الانسان وطريقة صنعها مثل الادوات والالات وكذلك الاشياء الغير مادية مثل وجهات النظر والاراء وكذا العقوبات المترتبة على عدم الالتزام بالسلوك الاجتماعى المقرر ونتائجها ٠

أما البيـئة : بمعناها الشامل فتشمل التأثيرات الخارجية وتأثيراتها فى الحياة والنمو للكائن العضوى ، وفى هذه الحالة تعنى الانسان فى موقعة الطبيعى والحضارى ٠

وبعد هذه التعريفات نعود لنناقش كيفية تفاعل الانسان مع البيئة والى اى حد تؤثر البيئة فى حياة الانسان وفى ثقافتة وحضارتة وشخصيتة وماذا يفعل الافراد بحضارتهم فى البيئة واخضاعها لمصالحهم واخيرا مدى التوافق بين الانسان والبيئة ٠

اما الموطن فهو عامل محدد للسلوك الاختيارى اذا استطاع الانسان ان يقبل تحدى الموطن ، منها يصبح بعيدا عن تأثيرة ، اما الموطن فتأثيرة واضح فى تحديد الحاصلات الزراعية وكمية الحشائش وكذا تحديد الدورة الزراعية وطرق الزراعة ٠ ونقدم طرق زراعة الارز فى الشرق الاقصى كمثال جيد على ذلك حيث توجد انواع من الارز تنمو فى ارض جافة واخرى فى احواض للرى او البرك ذات الماء الضحل وكما هو متبع هناك فان الارز المبتل ينمو بسرعة ويكون ذو طعم افضل من الارز المهجن كما يزرع الارز فى الارض المستوية وفوق المدرجات الجبلية وتنصح التكنولوجيا الاوربية بتنوع وسائل الرى وذلك ايضا ينطبق على نظام الرى فى افريقيا المدارية ٠

فاساسيات الحضارة التكنولوجية وادواتها تسهل الكثير فى المناطق المدارية كما تحميها من الامراض الفتاكة ٠ وعلية فان الحضارة بخاصيتها التكنولوجية المميزة يمكنها ان تتحرك اكثر مؤثرة فى الموطن وبطريقة يمكن معرفتها وتحديدها ، ونرى اثرها على الموقع الطبيعى ٠

فكل الذين اقاموا نظاما للرى تغيرت ملامحهم الفيزيقية فى موطنهم واستمر ذلك مثل الايفا وزراعة الارز اذ تغيرت ملامحهم الفيزيقية بالرغم من وجودهم فى منطقة جبلية ولنذهب ابعد من ذلك فالتأثير الذى احدثته قناة السويس وقناة بنما على الموطن واستخدامه فى العبور لمجموعة بشرية ضخمة او الى السد العظيم الذى خلق بحيرات ، وعلى الانسان عند عبورها ان يعد خطوات معينة كل ذلك بفعل التأثير الهندسى الذى صنعه الانسان •

وهكذا رأينا ان المواطن وحده لايحدد حضارة الانسان ، وتأثيره فى كل الحضارات ليس تأثيرا بدرجة واحدة وما اختلاف الحضارات فى مظاهر خاصة عن بعضها الا مردة للتكنولوجيا والنظام الاقتصادى وتلبيته لمطالب البيئة الطبيعية التى تؤثر على الجانب الغير مادى من الحضارة كما تؤثر على الجانب المادى منه •

ويمكن ان نوضح العلاقة بين الحضارة والموطن بان سهولة حصول الناس على التكنولوجيا يقلل الى درجة كبيرة اعتمادهم على الموطن •

والحقيقة هى ان الحضارة وسط بين الانسان والموطن وهذه ظاهرة واضحة خاضعة لمقاييس الاختيار الجمعى ولايمكننا ان نفهم الحضارة الا بنظرة كلية للبيئة ولمحتوياتها والتى تعنى كما سبق ان عرفناها بانها تشمل الموقع الطبيعى اى الوجود الكلى للحياة الانسانية بالمعنى الشامل •

الحضارة وكيف تعمـــــل :

اولا قبل ان ندخل فى عمل الحضارة وماذا فعل الانسان لابد معرفة اساسيات المجتمع من اقتصاديات وايديولوجيات[1] وجنس وأى منهم اقوى من الاخر فى التأثير وايهم يعتبر مظهرا من مظاهر الحضارة : فنقول مثلا ان شعب الولايات المتحدة الامريكية يشمل (الموقع الطبيعى ، المناخ ، امكانية التصنيع ، التجارة ، الدين ، الامتداد ، كبر الحجم) • وبالرغم من ان ذلك قد يمثل امتدادا للحضارة التى صنعت الا ان دارسى الحضارة يعارضون بشدة ان ينسب ذلك الى عامل الحتمية البيئية وحده ، لان ذلك العلم (علم الحضارة) لايخضع فقط للضغوط الجغرافية والبيولوجية والطبيعية ، حيث ان التاريخ يلعب دورا هو الاخر مع انه لايمكن التأكيد على عامل واحد منهم باعتبارة العامل الرئيسى •

ولكى نوءكد عامل الحتمية البيئية او ننفيه فانه يجب علينا البحث عن موضوعات سلبية لم يظهر للبيئة فيها اثر كلى او جزئى فى تشكيل الحضارة •

وذلك يتأتى بعدم الاعتراف بالعوامل الضاغطة للبيئة او وجود حضارتين مختلفتين فى موقع طبيعى واحد يتعرض لنفس العوامل الضاغطة التى توءكدها الحتمية البيئية • ونسترجع حالات تحدثنا عنها قبل ذلك قامت على هذه النقطة ، فلقد اشرنا الى التكيف الذى تم بواسطة

---

(١) " ايديولوجى Ideology وهو نظام الافكار المتداخلة (كالمعتقدات ، والتقاليد ، والمبادىء والاساطير) التى توءمن بها جماعة معينة او مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها فى نفس الوقت •
قاموس علم الاجتماع ، د • محمد عاطف غيث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٤ •

الاسكيمو ولاسيما الاسكيمو الشرقيين بالنسبة لبيئتهم وموطنهم وقد تحدد ووضع مدى استخدامهم لما فى بيئتهم من خامات حتى بالنسبة للكلب، ذلك الحيوان الوحيد الذى يستخدم لجر الزحافات والمألوف لديهم . كما نجد القوارب المضادة للماء والتى يمكن استعمالها عدة مرات وتعرف باسم (كاياكا) وما زالت باقية لليوم مع مهارات اخرى للتكيف يمكن للدارس ان يتصورها لانها بديهية ومقبولة من الجميع الذين يعيشون فى هذه البيئة القاسية بشتائها الطويل .

وعندما نطوف حول سيبيريا الجليدية ، فبالرغم من تشابه المناخ الا اننا نجد حضارة مختلفة تماما ذات نمط اخر . فالكوخ الثلجي غير معروف . والملاجئ مصنوعة من الخشب بالرغم من ندرة الخشب هناك ، كما ان اهل سيبيريا رعاة وليسوا بصيادين كالاسكيمو ، وقد انقرض حيوان الرنة منذ فترة طويلة وكان هذا الحيوان هو غذاؤهم الاساسى . وبالرغم من ان الحرارة تصل الى ٣٠ ْم تحت الصفر فقد قاد الرجال قطعانهم الى اراضى جديدة بحثا عن المرعى تاركين وراءهم النساء والاطفال وواجب النساء اخلاء المعسكر ورفع الخيام وحمل الجلود والاوانى والاطفال حيث يحملونهم فى محمل مثبت خلف الظهر ليسهل حملهم ، كما ان الرجال وقطعان الماشية يصلون قبل النساء بفترة طويلة الى ارض المرعى الجديد . وهم لايبنون بيوتا من الثلج كما يفعل الاسكيمو ولعدم توافر الخشب لديهم للتدفئة يجلسون معا فى انتظار مؤخرة الحيوانات ومعها النساء التى تقوم باقامة الخيام حيث ان ذلك من عمل النساء وحدهن .

ونحن نرى هنا فى هذا الموطن الصعب نمطين مختلفين اختلافا واضحا من اسلوب الحياة ، احدهما يقوم على الصيد والاخر على الرعى ، ويلاحظ ان تكيف الانسان فى كلاهما مثمر جدا والدليل على ذلك هو استمرار بقاءهم فى هذه البيئة القطبية منذ اجيال طويلة وحتى الان .

فتأثير الاسكيمو على الموطن بالنسبة لاهل سيبيريا عظيم جدا بالرغم من انهما لم يتطورا فى وقت واحد ، لكن من الواضح ان هناك عوامل اخرى موثرة فى البيئة هى التى شكلت الحضارة ، وهذا هو ما تقولة الحتمية البيئية .

كما يوثر الموطن فى دوام الحضارة ومما سبق نخلص الى ان العلاقة بين عامل واخر ليس بنسبة واحدة اذا ما طبقناه على هذه الحضارات السابق ذكرها (البيئة والانسان) .

وتستمر ايضا الدراسات والمناقشات حول الشعوب التى تشهد الظروف بصعوبة موطنها بالاضافة الى التكنولوجيا والاقتصاد البسيط والتى تلفت الانظار .

الثقافة والمجتمع :

ومن اهم خصائص الثقافة انها تنتقل من جيل الى اخر فلايمكن بالطبع ان نفترض استمرارية مجتمع ما نعنى استمرارية افراده وادوارهم التى يلعبونها حيث ان المواليد والوفيات لابد وان تغير باستمرار من اشخاص المجتمع لكن تبقى انماط من السلوك يتم توريثها للافراد الذين يشكلون المجتمع الحالى .

وكما سبق ان اشرنا ان من اهم خصائصها ايضا انها ظاهرة انسانية ، فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يتمتع بالثقافة . فالذئاب تجتمع فى جماعات والثيران البرية فى قطعان ، وكذلك حشرة الخنفساء تجتمع فى جماعات للبيات الشتوى ، وقد تشكل الحيوانات التى تتشابه فى ذلك اجزاء من مجتمعات كبيرة لاتشتمل فقط على انواع مختلفة تسكن فى اماكن او اقاليم معينة ، ولكن تشتمل ايضا على كل مظاهر الحياة ، وحينما ندرس المجتمعات الحيوانية سنجد كثيرا من العناصر تنطبق على الجماعات البشرية فهناك عمليات السيطرة والخضوع وعمليات التنافس فيما بينهما وتشابك العلاقات .

أما الثقافة فهي ظاهرة ينفرد بها الانسان ، فهناك اختلاف كبير بين استجابة الحيوان الفسيولوجية وبين السلوك الثقافي للانسان . فالمنبهات الفعالة التي يشتمل عليها سلوك الحيوان تورث بصورة اساسية كعامل فسيولوجي ، اما في الانسان فنجد انه يحشد خبراته خلال احاديثة كما نجد ان سلوكه هو حصيلة حياة وخبرات افراد سابقين حتى البيئة التي يعيش فيها البشر هي حصيلة تراكم الاجيال السابقة .

في المجتمع الحيواني او مجتمع الحشرات يعتمد الحيوان على الوظيفة المباشرة لعامل الوراثة ـ اما في المجتمع البشرى فان العمليات الوظيفية تتأثر تماما بالعوامل النفسية تبعا لشكل الثقافة ، و الارث الاجتماعي .

(وخلاصة هذا ان المجتمع هو جامع الافراد وان الثقافة هي كيان السلوك المكتسب لهؤلاء الافراد جيلا بعد جيل) .

ولكننا نجد مجتمعات انسانية كثيرة وليس مجتمعا واحدا كليا ، وهناك اختلافات كبيرة بين كل من هذه المجتمعات الانسانية ، ولابد ان كل مجتمع يتعلم طرقا كثيرة للتفكير والعمل ويسلك سلوكا يختلف عن المجتمعات الاخرى . هذا التفكير وهذا السلوك هو مايصنع الثقافة التي تميز مجتمعهم عن مجتمعات الاخرين . والانسان هو الذى يملك القدرة على ان يطور مثلما نقل السلوك المتعلم او المكتسب . اما العملية التي يجد الفرد بها اكتماله في مجتمعة فهي ماتسمى التأقلم او التكيف في المجتمع وهي توائم الفرد مع تصرفات وسلوك الاخرين وتوقعاتهم منه وردود الفعل المتوقعة منهم وهكذا .

وكما ان المجتمع يتكون من عديد من المؤسسات والهيئات فان الانسان يتميز بمقدرتة على الاتصال برفقائه باشكال الحديث الرمزية والتصورية ، بل انه هو الكائن الوحيد الذى استطاع ان يخاطب هذا العدد الغير محدود والمختلف من الهيئات والمؤسسات كما يتخاطب

مع عائلته وبنفس اللغة الموروثة والمكتسبة معا (موروثة باعتبارها اساس التراث الثقافي نقلت اليه من اجيال سابقة ومكتسبة باعتباره تعلمها من المجتمع) .

والتثقيف ما هو الا عملية تكيف للفرد داخل الحياة الاجتماعية . والتثقيف هو عملية وعي ضرورية للتفرقة بين ما هو مقبول وما هو مرفوض . وبهذا المعنى فهو جزء من خبرات المجتمع حيث يترك جانبا كل ما لا يرضى الفرد داخل مجتمعه .

والتثقيف ايضا هو تلك العملية التي تسمح باظهار معظم السلوك لمستوى الوعي او الادراك حتى ليقبله الاخرين دون ان يتساءلوا عنه .

ويعرف منتاجو Montagu ايضا الثقافة بانها استجابة الانسان لاشباع حاجاته . فهي الوسائل التي يلجأ اليها الانسان لاشباع تلك الحاجات . وتقوم الحاجات الانسانية على حاجات ضرورية مثل المأكل والمشرب والملبس والمسكن وخلافه . وما يفرق الحيوان عن الانسان ان الانسان يلجأ الى عقله ليبدع لهوسائل وطرق ينظم بهما هذه الحاجات ويهيئها له . ويستطيع الانسان بعقلة وقدرته على التعلم ان ينشئ تلك الوسائل ويغير فيها وينقلها الى الخلف بعد ان نقلها من السلف . في حين ان الحيوان يعتمد على الغريزة في اشباع تلك الحاجات .

وتتميز الثقافة عند " منتاجو " بالصفات الاتية :

١ - انها اختراع او اكتشاف انساني وهي ميزة للانسان عن الحيوان .

٢ - انها تنتقل من جيل الى آخر على شكل عادات ونظم وتقاليد كما تنتقل من وسط اجتماعي الى آخر [1] .

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية - تصدير ومراجعة د . ابراهيم مدكور الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٥ .

٣ - انها قابلة للتعديل والتغيير ·

وتكثر التعريفات وتتعدد اذ انها تقارب مائة وستون تعريفا · وقد قام "كروبر" و "كلوكهون" بفحصها ووجدا قصورا فى التعريفات الكثيرة الا ان السمة المشتركة لمعظم تعريفات الثقافة هى انها تكتسب بالتعلم[1] وبالتالى فليست غريزية او فطرية كما انها لاتحدد بيولوجيا · ومعنى انتقالها واكتسابها بالتعلم انها تتعدل نتيجة المزيد من التعلم وينطبق ذلك تماما على العادات والتقاليد فقد يهذب التعليم من بعضها او قد يلغيها او يعدلها - ولما كانت الثقافة تكتسب بالتعلم فمن الطبيعى انها ترتبط بمجتمعات معينة او جماعات معينة وقد عرفها "كلوكهن" بانها جميع مخططات الحياة التى تكونت على مدى التاريخ · وتتعدد الثقافات وتكثر بتعدد المجتمعات البشرية ·

ونخلص الى الاتى :

١ - ان الانسان هو الحيوان الاجتماعى الوحيد الذى له ثقافة رغم وجود حيوانات تميل الى العيش فى جماعات مثل مملكة النحل ومملكة النمل وهما تقومان على العيش فى جماعات او تجمعات او مجتمعات ولهما حياتهما الاجتماعية القائمة على الغريزة ·

٢ - ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى له ثقافة ينميها ويغيرها ويبدلها وتنتقل اليه من جيل الى جيل وهو يختلف من غيره من الحيوانات ·

٣ - ان الثقافة هى اسلوب الحياة للانسان ·

٤ - ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى له تراث اجتماعى وان الثقافة تتمتع بالاستمرار والدوام ·

---

(١) د · الجوهرى - الانثروبولوجيا ، اسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعارف ١٩٧٩ ، ص ٧٥ ·

٥ — ان الانسان يستخدم عقلة فى اشباع حاجاتة الاساسية وتحديد اسلوب حياتة ، بعكس الحيوان الذى يعتمد على الغريزة • وتكتسب الثقافة بالتعلم •

فالمجتمع هو الذى يساعد على بقاء الثقافة واستمرارها وكما يقول تارد Tard ان المجتمع " يتكون من جملة افراد يحاكى بعضهم بعضا او يلتقون فى صفات مشتركة موروثة " كما يذهب بيرجى الى ان المجتمع جملة علاقات تربط الافراد بعضهم ببعض بعلاقات متبادلة ، فلايوجد مجتمع بدون افراد ، وكل مجتمع يقوم على العلاقات القائمة بين افراده لكنه يشمل الى جانب تلك العلاقات ثقافة المجتمع ونظمة وعاداته وتقاليدة •

وقد اوضح جريفتش فى ايجاز العلاقة بين الفرد والمجتمع بان الفرد كامن فى مجتمعة وان المجتمع كامن فى افراده • وعلى هذا فان العلاقات المتبادلة وما تمثلة او تعبر عنه من سلوك هى نابعة من المجتمع وثقافتة •

وهذا يبرز لنا دور المجتمع فى التنشئة الثقافية • فتعلم الفرد اللغة وعقيدة مجتمعة وممارستة للفنون والاوجه الاخرى للنشاط الثقافى ، كل ذلك يتعلمة الفرد من المجتمع وبالتالى يمكن ان يعكس سلوك الفرد نوع الثقافة السائدة فى مجتمعة ولذا فما قاله تارد Tard من ان المجتمع يعلم الفرد الثقافة التى تنعكس على سلوكه قول صحيح وكذلك ماذهب اليه جريفتش من ان الفرد كامن فى مجتمعة والمجتمع كامن فى الفرد هو صادق وتأكيد على اهمية هذه العلاقة وابعادها •

مما تقدم يتضح ان الثقافة تنتقل من فرد لاخر رغم تعرض الفرد للموت ، واضافة افراد جدد الى المجتمع • فالفرد هو الذى ينقل الثقافة للفرد الجديد القادم للمجتمع •

وبهذا الانتقال فان استمرار الثقافة امر حتمى • لانه لابد من

تماثل الفرد مع جماعته او مجتمعة ـ فالفرد اذ ن يتعلم الثقافة من المجتمع ويلزم نفسه بالتوافق مع المجتمع ليعامل بالمثل وتبقى عضويتة فيه مقبولة وذ لك لميل الانسان الى العيش فى حياة اجتماعية ، ويشاركة فى ذ لك بعض الحيوانات وبعض الحشرات كالنمل والنحل • ولكن ميزة المجتمعات الانسانية عن المجتمعات الاخرى هو وجود ثقافة للمجتمعات الانسانية ، وانعدامها فى المجتمعات الاخرى •

واذا طبقنا هذا الكلام على القارة الافريقية فسنلاحظ ان افريقيا من اكثر الاماكن تعقيدا بالنسبة لتعدد لغاتها ولهجاتها وكثرة قبائلها وتبعا لذلك ستتنوع الثقافات• واذا ما ادخلنا فى اعتبارنا الاحتكاك الاوروبى ونقل الثقافة الغربية الى افريقيا واثارة سواء اكان سلبا او ايجابيا لادركنا مدى الضغط الخارجى على اسلوب الحياة وسلوك الانسان فى افريقيا وتعرض ثقافاتة للتغيير بفضل المزيد من المعرفة عن العالم الجديد والثقافات الاخرى • واذا مالاحظنا زيادة ذلك الانفتاح الثقافى الجديد فى افريقيا بعد التحرر لادركنا ان التغير الثقافى فى افريقيا هو سمة بارزة فيها وان كان يعطينا فهما اكثر لقابلية الثقافة للتغيير والتبديل وسيبرز لنا ان الثقافة تتميز بالدينامكية المتوافقة مع مطالب الحياة المتطورة •

توافق الفرد مع ثقافة المجتمع :

ان كل مجتمع يتبنى انماط ثقافية معينة ومن ثم تصبح هذه الانماط كمعيار للتنشئة الاجتماعية التى يربى اعضاء المجتمع وفقا لها وتتشكل شخصية الطفل تحت تأثير التنشئة الاجتماعية فى بيئة ثقافية معينة وعن طريق هذه العملية يصل الوفاق الاجتماعى الى الطفل وعلى اعضاء كل مجتمع ان يتماثلوا لهذا الوفاق وتكمن الصعوبة او الخطورة فى حالة عدم وجود مثل هذا التماثل ويبدأ الفرد فى التوافق فى مرحلة مبكرة من العمر وبالممارسة يزداد سروره ويقل قلقه تدريجيا ومن ثم تصبح له الحياة اكثر سهولة ويسر فالطفل يتعلم مانطلق عليه (التوافق) الثقافى على قدر مايمكن ان يتكيف به من المحيط والمناخ الذى نشأ فيه •

وتختلف عملية التنشئة الاجتماعية فى كل مجتمع باختلاف طبيعة الثقافة فالمجتمع الذى يفرض سياجا من القسوة سوف يظهر نموذجا من الشخصية يختلف عن ذلك النموذج الذى يظهره المجتمع الذى يدلل فيه الاباء وابناءهم وتلك وغيرها من العناصر التى تفسر النمط الذى يمكن ان نطلق عليه (نموذج) الشخصية الاساسى لمجتمع ما ٠ وتعتبر الاسرة المختبر والمعمل الاساسى لعملية التنشئة ٠ فمن اهم الوظائف الاسرية ماتلقنة للطفل من مجموعة الانماط الثقافية التى يتعامل بها الطفل فى محيطه الاجتماعى ولما كانت التنشئة الاجتماعية للاطفال هى عملية تعلم المتوافقات المقبولة فالاسرة هى التى تعطى الطفل انماط الثقافة كما يبها ، وبهذه العملية تعلمه كيف يناضل ويتوافق مع كل العالم الفيزيقى والعالم الاجتماعى — وتختلف انماط الشخصية من مجتمع لاخر ومن فئة لاخرى فالفرد فى المجتمع العربى له قيم ثقافية مميزة ومختلفة عن تلك القيم التى يأخذ بها الفرد الذى نشأ فى مجتمع غربى كما توجد مظاهر هذا الاختلاف فى المجتمع الواحد الذى تتنوع وتتعدد فيه الثقافات الجزئية ويؤكد هذا مانجده فى الولايات المتحدة الامريكية من تفاوت بين القيم الثقافية التى تعكس شخصية الرجل الزنجى عن تلك القيم المميزة لشخصية الرجل الامريكى الابيض وهذا هو السر فى عوامل القلق واحتمالات التصدع فى هيكل البناء الاجتماعى الامريكى(١).

والوصول الى المشاكل الاساسية الخاصة بطبيعة الثقافة والسلوك الاجتماعى البشرى يكون عن طريق دراسة الشعوب دراسة ميدانية ، ونظرا لان عالم الانثروبولوجيا يدرس مجالا واسعا من افعال وسلوك الناس فان ذلك لايعنى على اى حال ان علم الانثروبولوجيا الثقافية يمكن تعريفة وتحديده بالعلم الذى يستطيع ان يدرس سلوك البشر البدائى او سلوك الناس غير المتعلمين وعلى دارس الثقافة ان يراقب ويصف ويحلل تقاليد وعادات الشعوب التى يقوم بدراستها ، وهذه مهمة ليست سهلة وتتطلب تدريبا خاصا لانه كما رأينا ان هذا الفرع

(١) دراسات انثروبولوجية ،د٠أحمد الخشاب ١٩٧٠ ص ٥٤ـ٦٤ ٠

المتخصص من هذا العلم يتطلب الاقامة الكاملة لوضع الحكم الصادق على المجتمع ومشاكله .

وعلى العموم فان نجاح الدارس في عمله يعتمد الى حد كبير على حساسيته للمواقف الانسانية التى يقوم بدراستها اكثر من اعتماده على مهاراته . ولابد ان يتضمن اى بحث تقريرا عن نتائج هذا البحث كما اوضح ذلك مالينوفسكى عام ١٩٢٢ فى دراسته التى قام بها وذلك من خلال ما اسماه (الملاحظ المشارك) الذى يعنى انه يجب على عالم الانثروبولوجيا اساسا ان يعيش بين المواطنين الذين يجرى عليهم الدراسة .

ونظرة مثل هذه الشعوب الى الدارس تختلف من منطقة لاخرى كما اوضح ايفانز ريتشارد انه عندما قام بدراسة النوير فانهم اصروا على ان يعاملوه كفرد منهم . اما عندما قام بدراسة قبائل الازاندى فانهم كانوا ينظرون اليه كغريب ويعاملونه كغريب .

وقد اوضح انه يجب على الباحث ان يحترم تقاليد وعادات الشعب الذى يدرسه والمكان الذى خصص له لان كل ذلك سيساعده على اكتساب ثقتهم .

وقد اوضحت الدراسات ايضا انه يجب على الباحث ان يحقق كيفية الالتحام بهذه المجموعة فورا حيث تعتبر هذه الخطوة من اصعب واهم الخطوات التى يجب عليه ان يواجهها .

وتعتمد طريقة الحصول على المعلومات على نوع الدراسة التى تجرى ونوع المجتمعات التى تجرى عليها هذه الدراسة واسلوب حياة هذه المجتمعات .

ومن المعروف ان الثقافة تمثل عدة اوجه وان وجهات نظر افراد المجتمع الواحد تختلف حول اسلوب حياتهم ولذلك لايمكن الاعتماد على مصدر واحد لجمع المعلومات ولاينصح بذلك ، ان استخدام اكبر عدد

ممكن من مصادر المعلومات للأدلاء بملاحظاتهم يعتبر هاما وضروريا للتأكد من المعلومات سواء بالنسبة لالغاء بعضها او تحديدها او تكذيبها . وقد يكون عدم الصدق او الدقة ناتجة عن الحذر او النسيان او حتى الخوف .

وبجانب اسلوب الملاحظة بالمشاركة يوجد اسلوب الملاحظة والاستفسار وتعتبر ملاحظات واستفسارات الانثروبولوجى عنصرا مفيدا للتحقيق من النقاط التى يغطيها فى دراسته .

وهناك اسلوب آخر هو اسلوب النسب ، وقد اثبت هذا الاسلوب نجاحا كبيرا لانه رغم بساطته فانه يوفر مجالا كبيرا من المعلومات الخاصة بالبناء الاجتماعى ومؤسسات الشعوب المطلوب دراستها . وباستخدام هذا الاسلوب فانه لابد من استخدام ابسط التعبيرات مثل الام ، والاب الزوج ، الزوجة . الا انه فى نفس الوقت فان هذا الاسلوب قد لايمكن استخدامه او لايكون عمليا فى بعض المجتمعات .

ويثار دائما سؤال عند مناقشة تحديد العمل الميدانى وهذا السؤال يختص بمدى استخدام اللغة المحلية (لغة المواطنين) . يفضل ويستحسن ان يعرف الدارس لغة المواطنين ، واذا لم يكن يعرفها فلابد ان يتأكد تماما من سيطرته على اللغة التى سيجرى بها بحثه والا سوف يجد نفسه طافيا على السطح لايعلم ماذا يبلغ له ولايتفهم مايسمعه .

ومن الممكن الاستعانة بمترجم ولكن هذا الاسلوب يمثل مشاكل كثيرة منها انه يجب ان يكون متحمسا للموضوع ، ليس فقط متفهما له . والطريقة المثلى هى استخدام قواعد اللغة المتوفرة ، فان اللهجة اللغوية المنطوقة تتوفر اذا توافرت لغة الجماعة ، ومعرفة الباحث اللغة الوطنية قد تمكنه من اجراء المراجعة على مدى كفاءة المترجم كما ان توجيه السؤال باللغة الوطنية قد يوضح بعض النقاط اكثر من توجيه نفس السؤال بلغة أخرى .

الثقافة وعلاقتها بالشخصية :

لقد قدر العالم ميردوك عدد الثقافات التى تم اكتشافها بما يزيد على ثلاثة الاف ثقافة تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة وفى مقدمة ماتوصف به الثقافة انها اما ان تكون ثقافة ظاهرة ملموسة ومتطورة واما ان تكون ثقافة ضمنية او متضمنة وتبدو انماط الثقافة الظاهرة فى الهياكل البنائية التى تجسد العادات الجمعية باعتبارها نماذج سلوكية مكتسبة ومعممة عن طريق الحس وخاصة حاسة السمع والبصر اى بالاذن والعين • اما الثقافة الضمنية فيقصد بها العادات الجماعية والاعراف المتواترة وانماط السلوك الذى يحدث بانتظام فنرى الناس مثلا يأكلون ويشربون ويعملون ويتزاوجون ويحاربون ويرتبطون فى كثير من اشكال التفاعل الاجتماعى وعندما نختبر هذه الانشطة نجد انها ليست انفرادية او جاءت عشوائيا ولكنها جاءت بفعل تقليد الاشكال المتعارف عليها •

كما نجد ان الممارس لهذه الانشطة لايشعر بطبيعة سلوكه نحوها بينما الملاحظ لها يستطيع ان يتصورها ومن خصائص الثقافة ايضا والتى توثر فى شخصية الفرد ان الفرد يتعلمها من خلال عملية (التكيف الاجتماعى) حيث يدخل الفرد فى تفاعل رمزى كامل مع الجماعة وبذلك يتعلم نسق السلوك التى تسميها الثقافة •

ويكتسب الطفل ثقافة المجتمع الذى تربى فيه كما تتحد الثقافة اتحادا كليا مع العناصر الاخرى لدرجة انها تقع دون مستوى الاحساس الواعى ومعنى انها تحرك سلوك الفرد وتوجهه دون ان يشعر هو بذلك او يتبينه بوضوح •

وقد اثبتت البحوث النفسية الاجتماعية ان الطفل يولد دون ان تتبلور شخصيته التى تتكون فى مراحل نموه بفضل امكانياته الفطرية وتفاعلها مع محيطه الخارجى وتذيب فى شخصية الطفل اثناء احتكاكه بثقافة المجتمع وشخصياتها مركب ثقافى مميز من العلاقات والقيم والعادات وذلك عن طريق التعليم والمحاكاة • وهناك كثير من الشواهد

التى توضح الدور الذى تلعبه الثقافة فى حياة الافراد فهى تمثل بالنسبة للفرد " رأس المال " الذى يبدأ به حياته فاذا ماعزل او حرم منه فقد الكثير من مقوماته البشرية حتى القدرة على الكلام او الاستجابة او التمييز لما حوله من الامور والمواقف كما سبق ان اوضحنا ذلك . يمكن للثقافة ان تنتقل من جيل الى جيل اخر ويمكن للفرد ان ينمو على حصيلة الاجيال السابقة فهو ليس فى حاجة لان يبدأ من جديد فى كل جيل ويجد الفرد طرقه السلوكية معدة ومستقلة عنه وماعليه الا ان يتبع هذه الطرق اذا رغب فى ان يكون ناجحا فى جماعته .

والثقافة بصفة عامة تشبع الرغبات والحاجات الانسانية وقد تكون هذه الحاجات بيولوجية كالجوع والعطش وما شابه ذلك او اجتماعية ثقافية مثل التى تظهر من خلال التفاعل الاجتماعى فغالبا ما تشبع العادات الاجتماعية للثقافة الحاجات الجماعية واية ذلك ان الفشل فى تحقيق ذلك يعنى الاختفاء التام لنمط ثقافى معين .

وينظر عادة الى العادات الجماعية التى تتضمنها ثقافة ما على انها انماط مثالية للسلوك وعلى الاعضاء ان يتوافقوا معها وان كان هناك تفاوت كبير بين المثل الاعلى وبين " التطبيق " ولكن وجود المثل الاعلى متفق عليه بصورة عامة اذ ان هذه الصفة المثالية تميز العادة الجماعية عن العادة الفردية التى لاتحوى اى مضمون مثالى .

فالثقافة : تحتل مكانها فى عقول الافراد ولاتجد تعبيرا عن نفسها الا عن طريقهم ولما كانت الثقافة نفسها شيئا غيرملموس ولايمكن استيعابها عن طريق الاحساس المباشر لذا يصعب على المرء ان يدرك بوضوح الفرق بين الثقافة ومظاهرها فى سلوك الافراد الذين يتمثلونها .

الثقافة والفـــرد :

التنشئة الثقافية هى الطريقة التى تقوم الجماعة فيها بنقل اشكال الثقافة السائدة فى الجماعة والقيم والمعتقدات — الى الفـرد —

ليبلور سلوكه الشخصى فى ضوئها — فهى بذلك (التنشئة الثقافية) ، عبارة عن المعبر (الكوبرى) بين الثقافة كأشياء مجردة وبين الثقافة كسلوك كلى ظاهر للافراد •

وبايجاز — يمكن القول بان التنشئة الثقافية تستهدف العمل على مساعدة الافراد على التكيف والتوافق مع ثقافة الجماعة والمجتمع الذى ينتمون اليه •

وعلى الرغم من انه قد لاتنجح فئة قليلة من الافراد فى التوافق مع الجماعة والمجتمع نتيجة لمقاومتها للثقافة السائدة او تعثر التنشئة الثقافية لها لظروف معينة • الا ان هؤلاء الافراد ليسوا الا قلة نادرة اذا قورنت بالغالبية العظمى من افراد المجتمع التى تجتاز مرحلة التنشئة الثقافية بنجاح •

فالانسان خاصة فى المراحل الاولى للتنشئة الثقافية يكون لينا سهل التشكيل وقادرا على اكتساب الثقافة السائدة فى جماعته وتحملها ، وتلقى مايضمن انتماءه وتقبله لانماط السلوك السائدة ، ولكنه سرعان مايؤثر فى ثقافة الجماعة فى مراحل نموه التالية لمرحلة الطفولة سلبا او ايجابا ، وفقا للظروف الشخصية التى مر بها •

وفيما يلى نماذج تطبيقية عن الحضارة وتشمل موضوعى :

(١) الفخـــار
(٢) الفن فى افريقيــا

١ — صناعة الفخـــار :

تعتبر صناعة الفخار من الحرف التقليدية التى كان يمارسهـــا قدماء المصريين وما زالت تمارس لليوم فى صعيد مصر • وهى من الصناعات التى تحتاج الى خبرة ومران طويل • ويتعلم الابناء هذه الحرفة مـــن الاباء والاجداد • ويقال ان السيدات هن اللاتى كن يقمن بهـــذه الصناعة قديما بمفردهن ، ولكن من باب الشفقة ساعد الرجال النســاء (كما يقول الرجال) ، وما زالت المرأة تقوم بالجزء الاكبر فى التصنيع • وتنتشر هذه الحرفة فى عدد كبير من قرى الصعيد ، ولكن تتخصص كل قرية فى صناعة صنف معين من الفخار ، اما المواد الخام والادوات التى تستخدم فهى نفسها لاتتغير ، ويكمن الاختلاف بين كل فاخـــورة والاخرى (الفاخورة هى المصنع الذى يصنع فيه الفخار) فى الانتـــاج الذى يخرج منها • وفى حجازه قبلى بصعيد مصر توجد عائلة واحـــدة هى التى تقوم بصناعة الفخار حيث يتولى احد افراد العائلة — من له دراية وخبرة بالمواد التى يحتاجها وهى الطين والـهمر ، والـهمـــر هو المادة الاساسية فى الفخار — احضار الطين من مكان معين الـــى المصنع محمل على عربات •

طريقة عمل الفخـــار :

يحضر الطين الاسود من الارض الزراعية ويضاف اليه الـهمـــر الذى يؤتى به من جبال البحر الاحمر ويسمونها الحاجـر • (وقـــد ارتفعت اثمانه فى السنوات الاخيرة لان الحكومة تحصل عليه رســـوم محاجر) • وتخلط المادتان بمقادير متساوية (المقدار عبارة عن اربـــع مقاطف (غلق) طين ، واربع مقاطف همر) ، ويطحن الـهمر بواسطـــة

الدق جيدا بالعتلة ، ويقوم بهذه العملية شخص اجير يسمى دقاق ، ثم ينخل الهمر بغربال ويخلط بالطين الاسود مع الماء ويمكن خلط الفخار القديم بعد تكسيرة ايضا مع الخلطة السابقة ، وهم يستعملون في عمليات العجن والخلط الايدى والارجل وتقطع العجينة حسب الحجم والنوع المراد عملة وتوضع قطع العجينة فوق الدولاب لتشكيلها وتلف الطبلية بحركة من رجل الفخارانى الى ان يتكون الشكل المطلوب ثم ترفع القطعة من فوق الدولاب وتوضع فى الشمس فترة حتى تجف ، وتقوم النساء بتركيب مقابض للآنية اذا كانت فى حاجة الى ذلك ، وتنعم الاسطح قبل تركيب المقابض وذلك ببل الايدى بالماء وتسوية وتنعيم سطحها ، وبعد ان تجف الاشكال فى الشمس تنظف بحجر احمر او قطعة من الزلط وتدهن بمادة حمراء ثم تلمع بقطعة قماش (بالخلع) ، بعد ذلك ترص جميع الاشكال الفخارية مقلوبة فى فرن كبير الحجم لكى تحرق ويشعل الفرن ثم يغطى بالتراب ويسقف ويظل الفرن مشتعل حوالى ثلاث ساعات ، وهم يشترون الوقود (الوجيد) .

وبعد ان تخرج الاوانى من الفرن تلمع مرة اخرى وتعرض للبيع .

وتشترك العائلة جميعها فى العمل حيث تقوم النساء بمساعدة الرجال ، فبعضهن يعملن العجينة والبعض يقوم بتشكيلها وحرقها ، ويشترك كذلك ايضا الابناء والاحفاد .

يتضح مما سبق ان المراحل التى تمر بها صناعة الفخار هى :

١ — اخذ الطينة السوداء من الارض الزراعية حيث تكون على شكل كتل كبيرة تكسر وتنقل بالمقاطف .

٢ — احضار الهمر وهو مادة تأتى من جبال البحر الاحمر وتضاف الى الطينة السوداء .

٣ — طحن الهمر بواسطة الدق بالعتلة ويأخذ الذى يقوم بهذه العملية اجرا على ذلك .

٤ — نخل الهمر بغربال •

٥ — خلط الهمر مع الطينة السوداء بنسبة ٥٠ ٪ لكل منهما ويعجن بالماء •

٦ — وضع قطعة من الخلطة على الدست — وهو القطعة الخاصة بذلك في الدولاب — ويتم تشكيلها بواسطة هذا الدولاب الى الاشكال المختلفة •

٧ — بعد رفع الشكل من فوق الدولاب تتولى النساء تنعيمة بالماء وتسويتة ثم يقمن بتركيب المقابض •

٨ — وضع الاشكال المنتجة فى الشمس حتى تجف •

٩ — بعد ان تجف الاشكال تنظف بحجر احمر او قطعة من الزلط وتدهن بمادة حمراء عبارة عن قطع من الحجر الاحمر •

١٠— تلمع بقطعة قماش •

١١— رص الاشكال المختلفة مقلوبة فى الفرن وبعد ان يمتلىء الفرن بالاشكال يغطى بالتراب ويسقف ثم يشعل لمدة ثلاث ساعات•

١٢— بعد ان تخرج الاشكال من الفرن توزع على البيوت فى القرية نفسها او فى القرى المجاورة او يذهب بها الفخارانى الى الاقصر يوم السوق •

وصف الـدولاب :

١ — الدولاب عبارة عن دستين من الطوب الاحمر او النىء يستخدم احدهما لجلوس الفخارانى نفسة ويوضع بجانبة وعاء به روث جاف لاستعمالة كبدرة لكى لاتلتصق العجينة • وتوضع العجينة على الدست الثانى •

٢ — عامود من خشب السنط •

٣ ـ قطعة حديد لتثبيت الدولاب مع العمود كمحور للتحرك •
٤ ـ دائرة تتكون من ثلاث قطع :
(أ) دائرة من الحديد •
(ب) دائرة من خشب السنط •
(جـ) دائرة من خشب الاتل (الاثل) •

٥ ـ قاعدة لتثبيت الدولاب عبارة عن قطعة من نواة ثمر الـــــدوم (المحص) •

فالدولاب المستخدم فى صناعة او تشكيل قطع الفخار عبارة عـــن طارتين احداهما خشبية من شجر الاتل والثانية من خشب الســـنط ويثبتان على عامود قائم خشبى ايضا يثبت بقطعة حديد تسمى علميا بنز•

وصف الفـــــرن :

يبنى الفرن من الطوب الاحمر وهو اما ان يكون دائريا او مربـــع الشكل ويرتفع عن سطح الارض فوق ربوة ترابية وبه مكان للوقود ، ويشعـل من المحمى فتشتعل النار فى جميع جوانبة ومكان المحمى ينظف منـــه الفرن من الرماد •

ترص الاوانى الفخارية طبقات فوق بعضها ويوضع بين كل منهـــا كمية من التبن ، ويترك الفرن مشتعلا لمدة ثلاث ساعات •

انواع الانتـــاج :

١ ـ البورم (جمع برام) باحجامها المختلفة •
٢ ـ الطواجن المختلفة الاستعمال " للبيض والسمك والتقالى " ، ومنها ماهو عميق •
٣ ـ محالب اللبن •
٤ ـ المَلزّ ويستخدم فى تسوية الفول ويطلق عليه اسماء اخرى مثـــل النطال ، ومن الملز نوعان ، نوع بمقبض واحد ويستعمـــــل

للعدس واخر بمقبضين ويستعمل للفول المدمس وهو اكبر من الاول ويسوى فيه اللحم ايضا وللملز غطاء ٠

٥ — البلاص الصغير ويسمى منشل ٠
٦ — القادوس ويستعمل لرفع المياه من قاع البئر بواسطة الساقية لرى الزرع ٠
٧ — ماجور اللبن ٠
٨ — البوكلة " بلاص او قلة صغيرة " ٠
٩ — الازيار ٠
١٠ — المباخر ٠
١١ — رحاية صغيرة " لعب للاطفال " ٠
١٢ — قصيص للزرع باشكال مختلفة ٠
١٣ — مواسير من الفخار مفتوحة من الناحيتين لتوصيل المياة مثلا تحت طريق او فى قنوات ٠
١٤ — انتاج انواع معينة من الطوب وهو قالب الطوب الدائرى الذى يستعمل للاعمدة المستديرة فى المساجد والدواوين ٠ وطريقة بناء مثل هذا العامود ان ترص سبع قطع من هذا الطوب على شكل دائرة ٠

وهناك بعض الاوانى التى تصنع من الهمر الخالص ولا تخلط وهى تستعمل لحفظ السمن حتى لا يتسرب السمن الى الخارج او ينضح ٠

اما الماجور فيستخدمون فى صناعة رماد الفرن حيث يضاف الى العجينة العادية للفخار لكى يصبح اكثر صلابة ٠

ولكى يستعمل الماجور لحلب اللبن لابد ان يحص اولا فى الفرن ٠ ويوجد ايضا ماجور صغير تخمر فيه الخميرة ٠

ويصنع حسب الطلب اطباق " قوارب " تقسم من الداخل الى

اجزاء حيث يوضع فى كل جزء صنف من الطعام (أرز ، لحم ، خضار ، وهكذا) ، كما تصنع صحون للسلطة وافران للخبيز .

ويقوم بتسويق هذا الانتاج الرئيس الذى يجلس على الدولاب ، ثم انه هو الذى يقوم بعملية الحرق .

٢ — الفن فى افريقيا (*) :

تتميز افريقيا بتعدد اجناسها ولغاتها وحضاراتها ، وكذلك الفن فيها ، مما يتيح تسجيل ثروة هائلة للفنون الافريقية ويتحدث لويزنجر E. Leuzinger (١) عن مايقرب من الف من الانماط التى طورها الافريقيون . ومن هنا يمكن تصنيف الفن الافريقى فى عدد من الانماط اقليميا كمحاولة تجعل المادة الحالية والتاريخية القديمة المعروفة لنا اليوم عن الفن الافريقى منظمة لحد ما . والانماط التى وصفها Leuzinger هى :

١ — السودان الغربى : بمبارا Bambara ، دوجون Dogon ، موسى Mossi ، بوبو Bobo ، زنوفو Senufo .

٢ — البلاد الساحلية الغربية على الاطلنطى : بدجوجو Bidjogo ، مندى Mendi ، كيسى Kissi ، دان Dan ، كران Kran (٢) .

٣ — بلاد شرق الاطلنطى الساحلية : ساحل العاج مع بولى Baule

(*) دراسة فى الانثروبولوجيا الجمالية للدكتورة سعاد شعبان ، منشور بمجلة الدراسات الافريقية ، العدد التاسع ، ١٩٨٠ .

(١) Leuzinger, E.: Kunst der Negervölker. In: Kunst der Welt, Baden-Baden 1959.

(٢) الخرائط فى كتاب Hirschberg, W.: Volkerkunde Afrikas, 1965, p. 83, 84.

جورو Guro ، ابرى Ebri ،وايفى Efe ، بنـين Benin ، ازى Esie ، نيجيريا منذ مئات السنين مع يوروبـا ابيجى Ibegi ، قبائل الغابات شرق نيجيريا مع اجـــو Ijo ،ابو Ibo ، ابيبو Ibibo ، اكواى Ekoi شمال نيجيريا الجوجون ، كامبا Chamba ، تيف Tiv ، افو Afo ، ماما Mama ، كورو Koro وقبائـــل اخرى .

٤ ـ الكمرون : حضارة ساو Sao ، اداماوا Adamaua ، واباتجى - شارى Ubangi-Schari ارض الحشائش بالكمرون مع الباميليكى Bamileke ، وباموم Bamum ارض الغابات بغرب الكمرون مع الدوالا Duala ، بانجوى Pangwe ، امبتى Ambete ، قبائل الجابون ، كوجـــو Kuju وبمبى Bembe .

٥ ـ الكنغو والكنغو السفلى : جنوب غرب الكنغو (جاك Jake ، سوكو Suku ، مبالا Mbala ، موانا Muana) الكنغو الوسطى ((كوبا Kuba ، سلامباسو Salampasu) جنوب شرق الكنغو (سنجى Songe ، تشوكوى لونـــدا Tschokwe Lunda ، لوبا Luba) شمال الكنغـــو (مبولى Mbole ، بابوا Babua) ، مجموعـــة شمال غرب او كنغو ـ اوبانجى Kongo-Ubangi .

٦ ـ شرق افريقيا مع جنوب شرق السودان (النيليون ، شمال شـــرق البانتو) ، منطقة مابين البحار (دول الحما) ، كينيـــــا وتنجانيقا ، اثيوبيا ، منطقة ساحل شرق افريقيا (سواحيلـى) ، جماعة الكندى Conde .

٧ ـ جنوب شرق افريقيا (زمبابوى Simbabwe ، روتســـى Rotse) .

٨ ـ مدغشـــقر Madagasker .

ورغم تعدد الانماط الحضارية التى ذهب اليها لويزنجر الا ان تصنيفة لم يكن شاملا ، فقد اغفل الانماط الفنية التى اشتهرت بها بعض المناطق مثل مناطق البشمن والهوتنتوت فى جنوب افريقيا ، والتى تعرف بثقافة الخواسان [١] وكذلك هناك مناطق ثقافية اخرى فى شمال ووسط القارة لم تدرج فى هذا التصنيف مثل ثقافات الحاميين الشماليين والاقزام .

ان الطبيعة بما تحوية من انهار وبحار وسهول وهضاب واشجار وورود وغابات وطيور وحيوانات كل هذا جعلها معشوقا جميلا ، فهى تقدم لعشاقها عوامل اعجابهم بها مما جعل الانسان منذ القدم يحاكيها ويسجل مباهجها .

ففى معظم المناطق الجبلية للصحراء يظهر نحت الصخور ، ولقد عرف حتى اليوم مايزيد على ثلاثين الفا من القطع المنحوتة ، ويوجد فى تاسيلى [٢] وحدها حوالى خمسة عشر الفا من النقوش [٣] . ويرجع اصل هذا النحت وهذه النقوش الى فترات زمنية مختلفة ، كما يظهر ميل شديد فى العرض الفنى والموضوعى للحيوانات والناس . وكلما كان العمل قديما كلما كان اجود . ويمكن ملاحظة تخلف مستمر للفن . كما ان الادوات التى صنع بها هذا الانتاج الفنى غير معروفة فى الواقع . وتشير الاشكال المرسومة بالتأكيد الى الفترة الزمنية التى صاحبتها ، فالعروض التى تظهر حيوانات معروفة تدل على ارتباطها بعصور معينة مثل الجمل (حوالى بداية العصر المسيحى) والفيل (العصر الحجرى الحديث) ، والبوبالوس Bubalus او غزال الغاب والابقار والخيل وغيرها واخيرا الانسان مع اسلحته كل هذا يظهر حقيقة واقعة لتأكيد الفترة

---

(١) اشار اليها كارلتون كون Carlton Coon بثقافة الكيوانية ، راجع فى ذلك كتابه The Living races of: Man, 1965.

(٢) مرتفعات تاسيلى فى جنوب شرق الجزائر .

(٣) Hirschberg, W.: Volkerkunde Afrikas, 1965, p. 204.

الزمنية . وعلى ذلك يمكن التمييز بين المراحل الاتية :

١ ــ فترة البوبالوس او الصيادين واسلحتهم المستخدمة وهى عبارة عن حلقة او عصا الرمى وفأس العصر الحجرى القديم (حوالى القرن التاسع الى القرن الخامس قبل الميلاد) .

٢ ــ فترة رعاة البقر ، واسلحتهم عبارة عن اقواس وبعض اسهم الرمى (اربعة الاف سنة قبل الميلاد) .

٣ ــ فترة المحاربين بالعربات وركوب الخيل واسلحتهم عبارة عن اسهم ودرقات مستديرة ووصول عربات الحرب فى بداية عصر التاريخ (الف ومائتى سنة قبل الميلاد) .

٤ ــ فترة الجمل والاسلحة هى السيوف والبنادق (وتصل حتى العصر الحديث) [١] .

اما نقش الصخور فحدودة الطبيعية نجدها فقط فى الاماكن التى فى حماية من تقلبات الجو ، وهذا يعنى فى الكهوف وتحت الممرات الصخرية . وتوجد نقوش على الصخور فى اندى Ennedi وفى جبل عوينات Gabal Uwainat وايضا فى جنوب وشرق مرتفعات تبستى Tibesti فى تاسيلى Tassili .

وعندما يتحدث المرء عن فن جنوب افريقيا فيكون المقصود به فن " البشمن " وهى منطقة فن هائلة وعلى اى حال فان البشمن الحاليين فى عصرهم المتأخر لهم نصيب فى هذا الفن حتى ولو كان بسيطا . ولقد قدم هذا الفن فى ذروة تطوره فى المقام الاول حيوانات ، وثانيا اشخاصا ونباتات واشكالا هندسية . وتتميز احسن العروض الفنية بانها تمثل حقائق الطبيعة العظيمة . كما هو الحال فى اعمال فن الصحراء . وتتوافر مثل

---

(١) Hirschberg, W.: Volkerkunde Afrikas, Koln, 1965, p. 204.

هذه الرسوم الصخرية فى المنطقة من مدينة الكاب شمالا الى زمبيزى Sambesi ، ومن الجبال المحيطة فى جنوب غرب افريقيا الى الحدود الشرقية لروديسيا . ولكن يختلف هنا ايضا الطراز والعمر . ولقد وصل فن البشمن فى جنوب افريقيا الذروة بدون شك فيما يسمى عصر ولتون " Wilton " ولقد سميت حضارة ولتون تبعا للمكان الهام الذى اكتشفه ولتون عند مدينة جراهام Graham town . وكان حاملو هذه الحضارة — قريبى الشبه بالبشمن — جامعى طعام وصيادين وصيادى اسماك . ولقد استخدموا ادوات حجرية وعظمية مثل الكابسين القدامى Capsien [1] (فى العصر الحجرى القديم) وعندما اتى الاوروبيون الاوائل الى جنوب افريقية فى القرن السادس عشر الميلادى ، كان البشمن ما زالوا يعيشون فى مرحلة ولتون هذه ، وحاملو هذه الحضارة — تبعا للهياكل العظمية المكتشفة — عبارة عن اشخاص كبار الحجم اقوياء البنية ذوى جماجم كبيرة جدا . وهناك مكتشفات اخرى مثل اكتشاف عام ١٩١٣ عند بوسكوب Boskop فى ترانزفال Transvaal مثلا ، اذ يرجع هذا الكشف الى اشخاص كبار اقوياء البنية . كل هذه المكتشفات البشرية تشير الى قرابة اكيدة بالبشمن ولقد اصبح من الضرورى ان نبحث لدى هذه الشعوب التاريخية الاصلية عن اسلاف البشمن الحاليين . وعلى اى حال لابد ان يكون نمو البشمن النحيف حاليا ناتج عن تطور حديث .

ولقد اشتهر البشمن الذين يمارسون الصيد بفن الرسم والنحت والتصوير ، ولكن يبدو انه منذ بداية القرن العشرين ، قد توقف هذا النوع من الفن ، فقد ظهرت اشكال هندسية مكررة فى المنطقة الشمالية الغربية لجماعات البشمن على الحجارة وعلى المزامير المصنوعة

---

(١) Capsien مرحلة حضارية للعصر الحجرى القديم والمتوسط *

* Der Keline Brockhaus, Erster Band A.K., 1961, p. 200.

من العظام ، وكذلك على الغلاف الخارجي لبيض النعام الذى كان يستعمل لحفظ الماء وكانت اكياس الجلد تزين ايضا بانماط مماثلة ، وفى بعض الاحيان كانت الادوات الخشبية والعصى تزخرف بتشكيلات من الخطوط تثبت عليها بطريقة الكى .

اما افريقيا الشرقية التى تعتمد على الرعى وعلى الزراعة فان الاشكال الفنية فى الرسم والتصوير والنحت لديها ضئيلة جدا بالمقارنة مع ما انتج فى الكنغو وساحل غينيا ، ويذكر من انتاجها ماوجد لدى قبائل التوتسى فى رواندا ـ اورندى التى تعرضت لتأثيرات من الكنغو ، فقد صنعت هذه القبائل بعض الاشكال المنحوتة من الخشب ، وقد اقتصر الفن التشكيلى على انتاج اشكال صغيرة من قوالب طينية ترمز الى الحيوانات والبشر ، وكذلك اقنعة من الاعشاب تستعمل فى حفلات التكريس لانتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ ، وكانت قبيلة الماكوندى تصنع اقنعة خشبية لنفس الغرض ، واشكالا خشبية صغيرة ترمز الى النساء الى جانب اوانى خزفية مزخرفة واخرى خشبية ذات اغطية عليها نماذج ترمز الى الفيل والكركدن وغيرها من الحيوانات .

بيد ان كل هذا لايبرز الجانب الفنى الجمالى فى هذه المنطقة وانما يظهر ذلك فى صنع الخرز ، والضفائر وخواتم النحاس الاصفر وتسريحات الشعر المختلفة ، والملابس الجلدية والدروع المزينة بزخارف بسيطة وكذلك الرماح المصنوعة من الحديد والخشب والتى تكتسب جمالا خاصا بسبب ماتمتاز به من تناسق وانسجام بين اجزائها . ونجد ان الازياء التى تصمم للمناسبات الخاصة والاحتفالات الرسمية تنم عن وسائلهم فى التعبير الجمالى ولذلك يمكن ان تعتبر شكلا متميزا من اشكال الفن . كل هذا يثبت ان وسائل التعبير عن النفس بالنسبة لسكان افريقيا فى الجهات الشرقية والجنوبية لاتقتصر على النحت والصب ولاتدخل ضمن اطار الفن التشكيلى او التصويرى ، ولكنها تجد دائما مجالا للنشاط الخلاق ومصدرا للاستمتاع الجمالى حتى فى تزيين بيوتهم بالودع والخرز والجلود والحصر والاوانى الخزفية وفى الطريقة

التى يتبعونها فى ترتيب هذه الاشياء ٠

وتظهر الدراسات ان الصفات الجمالية لاشكال الفن الافريقى الموجودة فى المتاحف والمجموعات الخاصة تستحوز على اعجاب وخيال الفنانين والطلاب ٠ حيث يوجد بمتاحف اوروبا (*) وامريكا العديد من القطع الفنية الافريقية ٠ ولقد شاهدت الباحثة منها الكثير فى معاهد المانيا الغربية المتخصصة فى دراسات الشعوب ومنها معهد بون وفيه بعض قطع الموازين الذهبية الصغيرة ذات الاشكال الفنية الجميلة التى تقدم صورا من فن الاشانتى واقنعة برونزية مختلفة الاشكال من بنين وصورا وقطعا نحاسية للزينة ٠ وتدل كلها على انها ليست حديثة العهد لانها تتفق تماما مع ما ذكره الرحالة الذين جالوا القارة الافريقية من القرون الخامس عشر حتى السابع عشر ٠

وكما هو الحال بالنسبة للفن كله فى افريقيا ٠ فان فن الزنوج ايضا له هدف اكيد ٠ فالعصى الثمينة كانت تخدم الاغراض الدينية ولكن اهتزاز الاسس الدينية والسياسية للافريقيين افقدهم بطبيعة الحال فنهم كما ان الصناعة الاجنبية الوافدة كان لها اثر كبير فى ذلك ٠

ولقد اشتهر العالم الحالى لجامعى الطعام من الزنوج بفنهم المثمر عن المانا (عبادة السلف والارواح) ٠

فبينما يقتصر فن تشكيل الصخور فى الحقيقة على ما كان يسمى بمناطق الصيد لصيادى السافانا والصحراء وفزان والصحراء النوبية وشرق وجنوب افريقيا ٠ نجد فن الزنوج الذى يتمثل فى اشكال صناعة

(*) بعض اسماء المتاحف المتخصصة فى دراسات الشعوب :

Bonn : Institut fur Volkerkunde
Wien : Museum fur Volkerkunde
Leipzig: Museum fur Volkerkunde
Berlin : Museum fur Volkerkunde
Dresden: Museum fur Volkerkunde
London : Britische Museum.

تحت الاعمدة والدوائر ينتشر فى مجال غابات غرب افريقيا وفى اجزاء معروفة فى شرق افريقيا والتى تعرف بمناطق تخلف • ومع ذلك يمكن ان نتوقع انتشارا اكثر لهذا الفن • ولقد ساعد انهيار البدو والرعاة المحاربين ، وكذلك التأثير الاسلامى والمسيحى كثيرا على فناء الفن الزنجى •

هذا ويجب ان نعرف الحقيقة بان الفن الافريقى يوجد فى المقام الاول لخدمة المانا [1] او تقديس الارواح والاسلاف ، وهناك تقام النصب المتشعبة لذكرى الموتى ، وتجسيد صور الاسلاف والاقنعة ، كما ان هناك اماكن معروفة كمكان لارواح الموتى وكل هذا يخدم المانا • ولقد انضمت الطقوس الدينية السحرية (الاشكال السحرية) المتعددة الجوانب لمجال التفكير السحرى ويتبعها سحر المرآه والمسمار [2] ، وكلما كانت صناعتها اقل فنية كلما زادت هيبتها ، وقليلا مايفكر الانسان لدى الزنوج فى شكل الحيوان ، مهما كان من الطين او الخشب ولكنهم يجسدون الحيوانات فى الاقنعة لغرضين اما للقسم او للتخويف ولديهم فى الفن حيوانات ترمز للسلطة منها الجاموس والتمساح والفيل وفرس النهر ، والاسد والنمر وهى تربط مظاهر القوة مع السلطة ، وهناك اشكال فى الفن محببة للاسلاف والاخصاب ، كما ان اشكال الالهة تظهر فى هيئة حيوانات •

ولقد ذكر البعض الاقنعة كحاملة للقوة ، ولكن لم يظهر بوضوح ما اذا كانت هذه القوة فى المجال الروحى ام السحرى وهى تستخدم اساسا فى الاعمال الطقسية للجماعات السرية وفى الحفلات التى كانت تقام وسط الادغال وفى حفلات التكريس وطقوس الموتى وفى حفلات الاخصاب كما كانت تستخدم ايضا لتخويف السيدات او الاطفال • اما الان فانه ينظر

---

(١) المانا كلمة بولونيزية وتعنى القوى السحرية التى بداخل حيوان او انسان او جماد : Der Kleine Brockhaus, Zweiter Band L-Z, 1962, p. 63.

(٢) Spiegel-und Nagelfetische.

الى تلك الاقنعة كشىء عادى غير مقدس فى افريقيا .

وينطبق نفس الشىء على الاعمال اليدوية الفنية ومهنة الفن عموما ، مما ادى الى فقدان الاحساس الفني عند الافريقيين .

وبالنسبة لجامعى الطعام والرعاة فان الخشب* يعتبر هو المادة الصناعية الطبيعية المتاحة . ويصنع الفرد منه ومن جلد البقر ، ومن الخيوط النباتية جدرانا لتلك الاقنعة . ويرمز للاسلاف باشكال من الخشب اما الادوات التى تستخدم فى التصنيع فهى الفأس المحورى والسكين والمنقش (الة النقش) والازميل (الة النحت) . ومن الاشياء التى يستخدمها الانسان ايضا لزخرفة الخشب — والتى احضرها البيض — هى الصقل بشظايا الحجر ورقائق من الزلط ، والمسحل (فارة النجار) والمبرد ، بالاضافة الى التلميع والتطعيم بالخشب الاحمر المعالج بالدخان وعصير الاوراق للدهان .

ومن تلك الوسائل ايضا التغطية بالجلد او الشغل بالخرز واستخدام رقائق الذهب او الواح الفضة ورقائق الصفيح او القصدير . وهكذا حافظ الانسان على اعمال الخشب . وفى جنوب شرق منطقة البانتو صنعت اوعية اللبن الجميلة من الخشب ، ومنها نماذج فى المتاحف الانثروبولوجية المختلفة (*) وكذلك كراسى خشبية منخفضة بدون مساند ومساند للرقبة ، وطبول واكواب خشبية واوعية باغطية وعصى للمشى وملاعق وصحون وغير ذلك كثير . ويمكن للمرء ان يجد من الاوعية المزينة ، ذات اللمحات الفنية الخالصة التى تشير الى مغزى دينى الى جانب اوعية اخرى من مثل تلك اللمحات وتتمثل الاولى فى اعمال الفخار والثانية فى اوعية القرع العسلى واوعية اللبن التى تولع بها شعوب مثل الماساى والفلبا وشعوب رعوية اخرى .

(*) مثل ما شاهدته الباحثة فى المتحف الموجود بجامعة بون قسم دراسات الشعوب وغيرها .

ومن المواد المفضلة والتي توجد فقط في الساحات الملكية وترمز الى القوة سن الفيل ، ففي بنين القديمة واليوروبا انتاج فني رفيع في مجال نحت سن الفيل منها الملاعق المصنوعة من سن الفيل وحلقات الاذرع المزدوجة المفتوحة والنمور العظيمة ذات القواعد النحاسية والاقنعة المعلقة واسنان الفيل والاجراس والابواق التي تستعمل للنداء .

يضاف الى العاج اعمال العظام والاسنان والقواقع وقشر البيض . ويستخدم الصياد ون الكبار والملوك والامراء للزينة اسنان القطط البرية والاسود والنمور ولكنها تستخدم ايضا كرمز للقوة والسلطة . كما تستخدم عظام وفقرات الثعابين والاسماك والافيال . ونفس الشيء بالنسبة لشعر الفيل والزراف في الزينة . ويستخرج من جسم بعض القواقع شرائح بيضاء مصقولة . تعتبر في رود يسيا والكنغو وانجولا وشرق افريقيا رمز للزعامة . ويعد الصدف عنصرا هاما كأداة للزينة وكوسيلة نقدية في افريقيا السوداء ومن الاشياء التي كانت تستعمل ايضا في التبادل سلاسل مصنوعة من بيض النعام المصقول والمشغول مع الخرز وكذلك سلاسل من قطع القواقع . ولقد ظن الرحالة الاوائل انها سمة مميزة مقصورة على البشمن والهوتنتوت .

اما تصنيع الحجر فكان نادرا لدى الزنوج . ومع ذلك فقد وجدت مكتشفات حجرية تستحق الذكر في ايفي Efe ، والاشكال الحجرية في سيراليون والكنغو السفلى وشرائح الاحجار الكريمة والاحجار العادية في زمبابوى وحلقات اليد الحجرية عند الطوارق والاواني الحجرية لدى البشاريين والعبابدة في شمال شرق افريقيا .

اما صناعة نحت التماثيل الطينية فهي عكس ذلك ، تنتشر بكثرة في القارة ، ومنها مكتشفات نوك Nok[1] في نيجيريا ، فقد وجد هناك ضمن ما وجد رؤوس وتماثيل نصفية عديدة من الفخار ومكتشفات الساو Sao[2]

---

(١) Hirschberg, W.: Volkerkunde Afrikas, 1965, p. 208.

(٢) Ibid. p. 208.

فى منطقة بحيرة تشاد (رؤوس كباش فخارية كثيرة) ، ومنها ايضا اشكال فخارية فى القصور الملكية (فى داهومى) ، واشكال حيوانية مختلفة واقنعة فخارية بالكمرون . اما فى الاشانتى واليوروبا وماتاكام فى جبال المندارا وغيرها فانهم يصنعون اوعية لحفظ ادوات السلف وتقوم النساء بصناعة نحت التماثيل والادوات الفخارية ـ وصفة خاصة الاخيرة ـ وغالبا ماتكون زوجة الحداد " قابلة " وصانعة للاوانى الفخارية فى نفس الوقت . وتخرج من تحت اصابعها الماهرة ـ كماهو الحال مثلا عند المتاكام Matakam فى جبال مندارا ـ جرار الارواح المشكلة فى شكل بشر (فراى Vray) وكذلك الاوانى المقدسة . وتتكون هذه القطع الفخارية من قطع الفخار الصغيرة البسيطة ونشارة الخشب . اما فى شمال افريقيا ومصر والهوسا والباكونجو فتوجد قطع الاوانى الفخارية الحقيقية . وتصنع الصحون والاوانى الفخارية عندهم بطريقتين : فاما ان يصنع الاناء من قطعة واحدة من كومة الفخار المكدسة ويدهن الجدار من الداخل والخارج بنعومة ، واما ان يصنع جدار الوعاء من حلقات فى شكل حلزونى ثم ينعم بعد ذلك . ويتم حرق الفخار فى حقل مفتوح او مع حرق الحشائش ويمكن ان تستعمل صانعة الفخار للحرق قطع الغاب وقوالح الذرة والزلط المسطح وبعض قطع القرع العسلى الجافة .

ولقد كان للمعدن معنى عظيم بالنسبة للافريقيين ، وخاصة الحديد . وقد استخرج الحديد من نباتا Nabata ومروى Meroe (منطقة اعالى النيل) وانتقل الى الغرب (حوالى اربعمائة سنة قبل الميلاد) وكذلك ايضا جاء الى نوك Nok (نيجيريا) ، وربما يكون الحديد قد وصل فى هذا الوقت من شمال افريقيا (ليبيا) الى السودان الغربى[1] . وبمعرفة الحديد دخل الزنوج التاريخ . وربما كانت معرفة تصنيع الحديد وقفا على الملوك والقساوسة وسرا يحتفظون به وما زال يعتبر الحداد الى اليوم شخصية مرموقة بين الزنوج ومن هنا يلعب الحديد فى طقوس الزنوج دورا كبيرا ، ومع ذلك فان الحداد

1. Hirschberg, W.: 1965, p. 209.

محتقر عند الحاميين كما هو الحال مثلا عند الماساى ، ولذلك فان طبقة الحدادين تتزاوج داخليا ولايسمح لهم بالزواج من خارج تلك الطبقة . وقد ظهر الاهتمام بالحديد ايضا باستخدامه فى ادوات الزينة المتعددة كالسلاسل وفى المآزر المصنوعة من الشرائط وفى تصنيعه فى شكل حبات كما هو عند الماساى ، جنوب شرق السودان وعند التوجو والبهررو .

ان اطراف الرماح والسهام والفئوس والسكاكين المشكلة بطريقة فنية رائعة والسيوف والمطارق وغير ذلك من الادوات الحديدية والتماثيل التى تحمل معنى معينا والمصنوعة من الحديد فى داهومى (١) مثلا والتماثيل الحديدية التى تشتهر بها شعوب افريقية كثيرة . يشير كل ذلك الى المعنى العظيم الذى اكسبه الحديد فى مجالات فنية واعمال يدوية مختلفة فى افريقيا .ويعد نحت اشكال كبيرة من الخشب على هيئة طيور وحيوانات مختلفة ، وتغطيتها بالواح حديدية ، احد الاساليب الفنية التى ترمز الى العائلات الملكية (٢) . وهناك حالات كان الطائر الخشبى يغطى فيها بالواح رقيقة من النحاس الاصفر وترفق به اجنحة من الحديد المطاوع .

ويبدو ان معادن النحاس والفضة والذهب قد بدىء باستعمالها فى افريقيا مبكرا . ومما ذكر فى هذا المجال ان العامة فى بنين استعملوا ادوات الزينة النحاسية فى شكل اساور وخلاخيل فى اواخر القرن الرابع عشر (٣) .

---

(١) هرسكوفتز ملفيل ، وليم باسكوب : الثقافة الافريقية ، ترجمة عبد الملك الناشف ، المكتبة العصرية ١٩٦٦ ، ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٧ .

راجع ايضا : Dapper, O., : Umbestandliche und Eigentliche Beschreibung von Afrika Amsterdam 1670.

وكانت بدا Bida تعد مركزا لصناعة متقدمة فى صب القصدير والبرونز وفى النقش وانتاج اسلاك الفضة وتصنيع الخرز ويذكر لويزنجر Leuzinger [1] ان زمبابوى واثيوبيا والقرن الشرقى وبلاد الهوسا كانت مراكز لانتاج القصدير .

وتستخدم الفضة اساسا فى الزينة ، وبصفة خاصة لدى الدول الاسلامية وكذلك البلاد التى تقع تحت التأثير العربى ، وخاصة على الساحل الشرقى لافريقيا ، حيث اشتهرت باضافة بعض المواد الى الفضة ، منها شرائح ذهبية وورود صغيرة ونقط على شكل خطوط وعناقيد وكذلك ادوات الزينة الفضية المخرمة والحلقات التى تلبس فى الاذرع وحلقات الارجل الفضية على النمط العربى . ولكن نمط تزيين الانف والاذن فيرجع الى تأثيرات هندية . وكانت المادة الخام لاعمال الفضة تأتى غالبا من ديان ماريا تريزا [2] . حيث تصهر ثم تدق وتسحب الى ان تصبح اسلاكا ونجد سحب الاسلاك الفضية منتشرا من شرق ليبيريا الى شمال اداوما Adauma ، وكانت تعد من بضائع التصدير المرغوبة مع الذهب والعبيد والعاج وفلفل الملاجيتا Malagetta حيث تصل هذه البضائع من جنوب القارة الى السودان ومن هناك الى الشمال . وهكذا اتخذت بعض مناطق التصدير اسماءها تبعا للسلع التى اشتهرت بها مثل "ساحل العاج" ، "وساحل الذهب" و "ساحل الفلفل" واخيرا "ساحل العبيد" ولقد اصبحت تجارة الذهب والملح محور التعامل القوى لقوافل التجارة المارة بالصحراء . وتتحدث روايات الرحالة والمؤرخين عن قبيلة الاشانتى والواح الذهب الرقيقة التى استعملت لتصفيح الكرسى الملكى وكذلك عن حلى ذهبية يتزين بها اعضاء العائلة الملكية [3] . حتى ان الثروة الذهبية لملك الاشانتى فاقت كل تصور .

---

(١) Leuzinger, E.: 1959.

(٢) Hirschberg, W.: 1965
Der Kleine Brockhaus, Zweiter Band L-Z, p. 69.

(٣) هرسكوفتز ملفيل ، وليم باسكوب : الثقافة الافريقية ١٩٦٦ ص٦٧ .

وكذلك المينوموتابا Monomotaba فقد لقب بملك مناجــــم زمبابوى (١) . وكان الملك منساموسى (٢) ، احد ملوك دولة مالى الكبيرة فى السودان الغربى ويعتبر شخصية مرموقة نظرا لما حمله معه فى رحلتة الى مكة للحج من كميات هائلة من الذهب التى وزعها بسخاء كصدقات خلال مروره عن طريق اولاتا وواحة توات والقاهرة . وكذلك اشتهـــرت الاشانتى باعمالها الذهبية ، فهناك " اقنعة " صغيرة من الذهب ربما استعملت كحلى متدلية ووصلت باسلاك ذهبية ، وهذه الاقنعة على شكل وجوه بشرية او رؤوس كباش ناطحة . ومن اشهر هذه الاعمال هو القنـــاع الذى يزن حوالى كيلو ونصف من الذهب الخالص من كنز ملك الاشانـــتى كوفى كلكالى Kofi Kalkalli وتشتهر هناك كذلك القطـع الذهبية الكبيرة المطروقة والمنقوشة والتى تستعمل كازرار . وكان الصياغ يكونون طبقة فى قصر الملك ولم يكن يسمح لاحد غيرهم باستعمـــال المجوهرات خارج الساحة الملكية للاشانتى .

ان استخدام الذهب على الملابس وعلى مقابض واعمدة الاسلحة وزخرفة التيجان بازرار ذهبية وورود صغيرة من الذهب ونجوم ذهبيـــة يدل على مقدرة اخرى للعمل اليدوى العظيم .

وهناك تقارير تشير ايضا الى استعمال البرونز عند الاشانـــتى والمناطق المجاورة لها . وقد انتشر استعمال الصب بطريقة القوالـــب الشمعية فى السودان الاعلى . واغلب الظن ان معرفتة قد جاءت عـــن طريق مشابه لصناعة الحديد ، فمرة جاء عبر الصحراء ، ومرة اخرى عـــن طريق وادى النيل خلال السودان على بحيرة تشاد الى يوروبا وبنـــين حيث استخدم فى ساحات قصور الملوك والسلاطين . اما عند الاشانـتى فكان النحاس الاصفر او البرونز اكثر شيوعا من المعادن الاخرى واستعمل

---

(١) Hirschberg W.,: 1965, p. 211.

(٢) الملك منساموسى حوالى ١٣١١ — ١٣٣١ م .
Seligman;: Races of Africa, 1956, p. 35.

فى صنع موازين صغيرة للذهب وفق تصميمات دقيقة ، وكذلك فى صنع اقنعة صغيرة وجرار مزخرفة من النحاس العادى والنحاس الاصفر . وكان للزنوج ولع شديد باستخدام النحاس والحديد اكثر من المعادن الاخرى.

ويعتبر الجلد مادة تصنيع اخرى بنفس المستوى الفنى العالى . وهو المادة الخام عند الرعاة والصيادين . وابسط طريقة للدبغ هى المعاملة بالدهن ، واما الدبغ بعصير النباتات فيرجع الى حضارة عالية . وعند الحاميين الشرقيين توضع قطع الفرو والجلد مع بعضها (على طريقة المزايكو Moasaic work) ، وعند الماساى نرى دروعا من الجلد مرسومة بطريقة فنية رائعة وتزين المعاطف المصنوعة من الجلد باهداف مزخرفة بالخرز والقواقع . اما الماندنجو والهوسا والفلبا فقد بلغ عندهم تصنيع الجلد الذروة . ويحتل تجار الجلد منهم فى السودان مكانة عالية . وكذلك وصل تصنيع الجلد لدى الطوارق الى درجة مرموقة من التطور ، اذ ان الرسم والتشقيق والنقش والضغط والتجديل (عمل الضفائر) والقشط والاضافة والتطريز كلها تعتبر من فنون زخرفة الجلد ، ويحصل صانعو الجلود على الالوان من البذور واكسيد الحديد . ولقد اشتهرت تقنية صناعة الجلود بصفة خاصة فى السودان ودول غينيا بتصنيع الشنط والوسائد ومعدات اللجام ومقابض السيوف والخناجر المزخرفة والابواق والاغماد التى توضع فيها الخناجر وكذلك القبعات والاحذية والصنادل .

وقد ادخلت الصناعة الاجنبية الحديثة على صناعة الجلد القديمة تعديلات مناسبة ذكية ، وذلك عن طريق التطور المستمر للاشياء التقليدية وجعلها فى وضع يقارب القديم بهدف الكسب . ولقد اشار ليوزنجر Leuzinger الى عملية التجديل كعمل لشغل وقت فراغ الرجال . وهم يستخدمون فى ذلك اسنانهم واصابعهم الى جانب السكاكين والامشاط . وفى الادغال والسافانا يستخدم فى عملية التجديل خيوط الاوراق وفتائل من جذوع نخيل البلح ونخيل الرافيا واوراق البردى Papyrus والذرة وانواع اخرى مختلفة من الحشائش .

وتمثل الملابس لونا اخر من الفن ، وبصفة خاصة مايرسم على القماش وقطع لحاء الشجر والطبع عن طريق الختم (اشانتى وباجندا ومنجبوتو) بالاضافة الى طريقة اخرى هى الكى .وفى البامبارا والماندجو يصبغ النسيج القطنى بعصير جذور صفراء ، ترسم فوقة المرأة - التى تقوم بعملية الصبغ او التلوين - زخارف ونقوشا وتدهنها بمادة محلية كاوية ، وبعد ذلك تغطى القطعة كلها بطبقة من الطين وتنفض بعد ان تجف . وبعد غسلها عدة مرات او بعد وضعها فى مجرى مائى تصبح نظيفة تماما من الطين . وهناك طريقة ثانية وهى طى قطعة القماش وربطها فى شكل لفائف ، كما تحاك عليها ايضا قطع حجرية صغيرة ومواسير (فى ساحل العاج والهوسا والجيكون واليوروبا وكوبا) ، ثم توضع فى محلول ملون (النيلة) ، وبعد ذلك تفرد وتترك لكى تجف . ثم تفك بروز القطعة ولفائفها وتفصل القطع عن بعضها وتبعد الاحجار وقطع المواسير . ويبدو ان فن الطباعة على القماش حاليا مأخوذ من هذه الطرق القديمة ولكن بطريقة ماهرة مناسبة . وتستخدم بعض الشعوب ، مثل الطوارق ، حتى الان ملابس مصبوغة باللون الازرق الغامق شديد الزرقة . وينقع القماش المنسوج يدويا لمدة يومين كاملين فيما يسمى بآبار التلوين وفيها يذاب لون النيلة ثم يخرج القماش ويضرب بلوح خشبى عريض الى ان يجف[1] . والاماكن الهامة المشهورة بانتاج هذا القماش هى كانو وكورا Kano, Kora [2] .

---

(١) ويخبرنا Zohrer * بانه يوضع مسحوق معين يذاب فى الماء بين قطع القماش الملفوف ليحصل المرء على اللمعان المطلوب .

(*) Zohrer, L.: Studien uber die Tuareg (Imohag) der Sahara. Zeitschrift fur Ethnologie LXXII, 1940, p. 124-152.

(٢) ان اصناف هذه الاقمشة تعرف فى السودان تحت اسماء تامزكانو وتانكورا Tamskano, Tankora اى التى من " كانو " والتى من " كورا " .

وتنتج المصانع الانجليزية انواعا من الاقمشة تلقى رواجا لدى الطوارق لانها تتضمن المزايا المفضلة لديهم وهى اللمعان الجميل والتلوين القوى والاشكال المخططة التى تتكون من حياكة الاطراف الضيقة مع بعضها ويمكن نسج شرائط ضيقة على انوال الاهالى ثم تحاك هذه الشرائط معا • وكخاصية رابعة نذكر رائحة النيلة النموذجية [1] •

هذا مايتعلق بالفن عموما فى افريقيا ، اما فيما يختص بالفنان الافريقى ذاته فمعرفتنا به تعد قليلة ولانتوقع ان يقابلنا فن لمجرد الفن فالفنان الافريقى يعمل كعامل اكثر منه فنان نحن نتعامل فى " الفن الافريقى " مع فن فردى او فن شخصى ، ومع ذلك فغالبا مانجد تعبيرا فنيا رائعا ويكون فى العادة فى صورة تقليدية ، وهذا معناه تتبع اغراض دينية ودنيوية •وينغمس الفنان الافريقى فى روحه المثالية ، سواء رغب ام لم يرغب فيحلق فى جو مقدس اثناء عمله اليدوى ، وكأن نشاطه محاط بمظهر ملىء بالاسرار يضفى عليه هيبة واحتراما • ومن يريد من الناس ان يتتلمذ على يد فنان فانه يدفع نفقات لايستهان بها نظير التعليم ، وخاصة اذا اراد ان يقف على سر المهارة فى الفن • وغالبا ماتتعدى شهرة الفنان الناجح حدود منطقته القبلية الضيقة ، كاستاذ لاقنعة او اشكال معينة وهكذا • ويتهافت الملوك على جذب امثال هؤلاء الفنانين الماهرين الى قصورهم • وهناك يغمرونهم بالاحترام والتقدير لان وجود هؤلاء الفنانين يضفى على القصر رونقا • ويستأثر كثير من الملوك بانواع معينة من العمل الفنى لانفسهم • فقد امتلك الملك نجوجا Njoja مثلا فى فومبان Foumban (الكمرون) منسجا ملكيا خاصا ذا ثلاثة الاف نول وبيارات تلوين خاصة ، وكان هو نفسه مكتشف الـوان خاصة •فقد وجدت فى قصره مشغولات من الخرز وكان لايسمح بانتاجها الا فى قصره فقط ، كما كان يحتفظ فى قصره بجيش من الذين يرسمون

---

(١) وهذه الرائحة ايضا تقلد عن طريق المعاملة الكيماوية • وهم يضعون هذه الخواص الاربع فى الاعتبار عند بيع القماش •

الصور • ومازال هناك حتى الان اثر لذلك يتمثل فيما يسمى بشارع الفن وهو من قبيل المحافظة على القديم • ولقد انتشرت ابعد من ذلك انواع واساليب الفن المختلفة من خلال توظيف الفنانين فى القصور الملكية • وتقدم بنين ويوروبا فى نيجيريا واحدا من الامثلة المعبرة للفن الملكى فى افريقيا •

* * *

الموسيقى :

ان الموسيقى تشترك مع المظاهر الجمالية الاخرى فى الثقافة ، فالنشاط الموسيقى له اهمية عظيمة ويلعب دورا كبيرا فى المجتمع ويعتبر عنصرا متكاملا ووظيفيا من عناصر الثقافة •

ففى التنظيم السياسى تظهر وظائف الموسيقى فى الاغانى التى تمدح الزعماء وحتى الادوات التى تستخدم لها معان ووظائف مثل الطبل حيث يرمز الى القوة السياسية عند كثير من شعوب افريقيا لدرجة انه لايسمح باقتناء مثل هذه الطبول لغير عائلة الزعيم او الملك •

وفى مجال التنظيم الاجتماعى تظهر بوضوح وظائف الموسيقى فى مراسيم الميلاد والزواج والموت •

ومن اظهر وظائفها فى مجال الضبط الاجتماعى نجد الاغانى ومايصاحبها من موسيقى ورقص تندد باولئك الذين يهملون واجباتهم واخرى تستنكر حوادث الظلم الاجتماعى وغيرها من عوامل الضبط الاجتماعى •

كما تؤدى الاغانى وظيفتها ايضا فى الحياة الاقتصادية حيث تستخدم لتشجيع العمل التعاونى •

وهكذا فى المجال الدينى فدورها معروف ، وكذلك تعتبر وسيلة لنقل الحقائق التاريخية ، ولقد كانت الاغانى ولاتزال الوسيلة

الاولى لنقل المعلومات التاريخية للفئات غير المتعلمة .

علاوة على ذلك تلعب نصوص الاغانى فى ذاتها ادوارا متنوعة فهى كثيرا ماتتيح الفرصة للتعبير عن آراء مكبوتة لايسمح بالتعبير عنها فى الاحوال العادية ، وقد تعبر فى الوقت نفسه عن موضوعات او تشكيلات اساسية فى الثقافة القائمة . ومن هنا نجد ان للموسيقى الافريقية قيمة وظيفية من ناحيتين : الناحية الاولى انها تندمج اندماجا متكاملا مع ضروب النشاط الاخرى فى الحياة اليومية ، والناحية الثانية انها تمارسها اعداد كبيرة من الناس فى المجتمع ويستمتعون بها . فالموسيقى نشاط يسهم فيه الجمهور الى جانب الممارسين لها . ويكاد كل فرد يحسن الغناء ويمارسه فعلا .

ان الحديث عن الفن فى افريقيا يقودنا الى الاشارة الى فن غرب افريقيا ولقد شهدت افريقيا الغربية قيام عدد من الممالك الكبيرة مثل ممالك مالى وغانا وايفى وبنين وغيرها ثم سقطت بعض هذه الممالك ، ولاتزال بعض هذه الدول قائمة ومنها ايفى التى توجد داخل اقليم يوروبا وبنين التى لاتضم الآن الا مدينة بنين والمناطق المحيطة بها مباشرة ، وداهومى واشانتى التى تشكل جزءا من دولة غانا الحديثة .

وفى هذه المنطقة نشأت مجتمعات زراعية بسيطة انحصر نشاطها الاقتصادى فى تأمين الحاجات الاساسية واقتصرت منتجاتها الفنية على عدد قليل من الاقنعة التى كانت تستعمل فى الطقوس الاجتماعية الخفية وعلى بعض الاشكال التى ترمز الى الارواح والآلهه .

ويمكن القول ان البؤرة التى تمركزت فيها ثقافات افريقيا الغربية هى الدين مع ان اشكال الدين تختلف من جماعة لاخرى ، فبعض الجماعات تعتقد فى قوة آلهة الطبيعة ، وبعضها يمارس عبادة الاسلاف عموما ، واخرى تؤكد عبادة الاسلاف من السلالة الملكية ، وأما آلهة الطبيعة فيكون لها اهمية ثانوية ، والبعض يرفع من شأن الارواح المحلية الفرعية وتمنحها منزلة اعلى من آلهه الطبيعة . ومن هذه الناحية نجد

جماعة تركز على الاقنعة التى تعتبر مقر قوة الهـــه الطبيعـة والارواح المحلية والاموات ، وبعضها تصور الاعضاء البارزين فى العائلة الملكيـة مع حاشيتهم او تركز على انتاج اشكال كاملة من البرونز او الطين ترمز الى الآلـهة مع عائلاتها ورسلها . فللاقنعة فى غرب افريقيا وظيفة دينيـــة وجمالية منذ اقدم العصور . والى جانب الاقنعة فهناك ازياء من القماش تغطى الجسم كله ، كما ان هناك ايضا اشياء اخرى توضع على الـرأس غير الاقنعة مثل صحون من نوع معين تغطى ايضا بالقماش لتهبط عليهـا الروح اذا ما احضرت خلال اقامة احدى الشعائر الدينية ، وكذلك ايضا اغطية للراس من الريش المزخرف ترمز الى قوى خفية . وهناك الى جانب الطقوس الدينية طقوس اخرى تقام للاحتفال بانتقال الاطفال الى مرحلـة البلوغ ولها اقنعتها الخاصة .

مما تقدم تظهر الاقنعة فى غرب افريقيا متفاوتة فى مـــدى الاغراض التى تمثلها ، فمنها مايمثل آلهة او اشخاصا اظهروا قـــوى خارقة للطبيعة فى حياتهم ومنها مايمثل خدم الآلهة ورسلها وقد يكون هؤلاء حيوانات او اشخاصا يحملون رموزا ويعكفون على عبادة الآلهة . وقد يظهر الافراد المقنعون فرادى او فى جماعات ، هذا اذا كان دورهم علنيا وليس مقصورا على الطقوس الاولية التى تشكل جزءا من شعائـــر الاحتفال بالوصول الى سن البلوغ . اما وظيفة الاقنعة فهى طرد الارواح الشريرة والامراض وكذلك الابتهال الى الآلهة والاسلاف الذين قدمت لهم الاضحيات لجلب البركة والخير والحظ السعيد . وعند عدم استخدام الاقنعة تحفظ فى صناديق خاصة وتوضع فى غابة صغيرة مقدسة قـــرب القرية او فى منزل زعيم القبيلة . وفى بعض الاوقات من السنة تقـــدم القرابين لاسترضاء الكثير من تلك الاقنعة ابتغاء الحصول على خدمات خاصة منها ، وكذلك ايضا بالنسبة للادوات المودعة الاخرى ، مثـــل اشكال الآلهة التى ترمز الى قوى خارقة للطبيعة .

وتعتبر الاوانى الخزفية والمنسوجات من الاشكال الجمالية عنـــد اليوروبا والاشانتى ، اللذين ينتجان قدورا محكمة الصنع لاستخدامهـا

فى الاغراض الدينية ، وتزين باشكال ترمز الى رسل الآلهة التى تكرس لها هذه القدور . حتى جرار الماء واوانى الطبخ تزين لاغراض جمالية عند هذه القبائل .

ان ما ذكر سابقا يوضح الفن فى افريقيا عامة وفى غرب افريقيا بصفة خاصة وكذلك اشكال الفنون وطريقة انتشارها وارتباطها بالنواحى الدينية والطقوسية والسحرية والاجتماعية . واشير الى فن الاشانتى كمثال للفن فى غرب افريقيا . ان الاشانتى احدى الممالك[1] التى قامت فى غرب افريقيا فى القرن السابع عشر وظلت قائمة الى وقت الاستعمار البريطانى سنة ١٨٩٦ . ولقد اعجب الكثير من الدارسين الاوروبيين بفن الاشانتى ، الذى انتجته على مر العصور ، واهتموا بدراسته فى ضوء ارتباطه بالدين والنظم العقائدية والقوى الخفية التى يعتقد فيها هذا الشعب وعندما نتحدث عن الاشانتى فلابد من الاشارة الى الكرسى الذهبى Golden stool ، وفيه تتمثل روح الشعب والزعامة . وقد ظهر الكرسى لاول مرة فى عهد الملك اوساى — توتو Osai - Tutu الذى تولى الملك من عام ١٧٠٠ الى عام ١٧٣٠م وهو الملك الرابع بعد تأسيس الدولة . وهذا الكرسى له قصة تنتشر بين الاهالى[2] ، والتى على اساسها اصبح رمزا مقدسا وشعار عز الدولة ووحدتها ، فهم يعتقدون ان هذا الكرسى لاينبغى ان يمس او يوضع على الارض ويجب ان ينقل بعناية فائقة . وقد تفننوا فى صنعة على مر الزمن مما جعله ذا اشكال مختلفة لفتت نظر المهتمين بالفنون البدائية ويوضح لنا Rattray الكثير عن الفن والعقيدة عند الاشانتى فى كتابة Religion and Art in Ashanty وتبعا لهذا الكتاب نستطيع ان نقرر ان فن حفر الخشب عند الاشانتى كان يخدم المطالب التى فرضها الدين مما اضطرهم الى انشاء مزارات

(١) Rattray, R.S.,: Religion and Art in Ashanti, 1959, pp. 269-298.

(٢) محمد عوض ، ١٩٦٥ ، ص ٦١ ،
Seligman: Races of Africa 1966, p. 43.

مقدسة باشكال متعددة وذلك لكى تستقر فيها الارواح المختلفة ، فهم يفترضون ان ارواح الاجداد قد وجدت مكانا مريحا اثناء حياتها وايضا بعد مماتها فى نفس الاماكن التى كانت تعيش فيها وهى حية ومن هنا نبعت فكرة عمل مقاعد باشكال فنية مختلفة ، ولقد وجدت عبقرية الناس منفذا للموهبة الفنية الخفية ايضا فى انتاج الالات والملاعق والامشاط والاطباق الخشبية والاوانى الفارغة والابواب والعصى والالواح والزوارق والسكاكين والطبل والقدور والانابيب والموازين واشغال المعادن الخاصة بجدران المعابد والمساكن وكذلك المنسوجات بجميع اصنافها .

وتوجد عند الاشانتى ايضا الصناعات الفضية المتقنة الصنع ، كما يقوم الاشانتى بصنع المراوح الخاصة بالملكة الام ، والمظلات التى يستظل بها الملك وكذلك الحلى التى يلبسها فى رقبته فى الجنازات والتى تصنع من الحديد والنحاس والفضة والذهب .

وهم ايضا يشتهرون بصناعة النسيج المزخرف بدقة وجمال ، والعصى الدقيقة الصنع والمزينة ذات الرؤوس الفضية والذهبية فللملك عصا خاصة به وكذلك للحكام ، وكل منها تختلف عن الاخرى .

كما انهم يصنعون الطبول الدقيقة الصنع ذات الاشكال الجميلة المختلفة والتى يستخدمونها فى شتى الاحتفالات والاغراض العقائدية والطقوسية والاجتماعية . وتبرهن القطع الفنية الخزفية ذات الالوان الزاهية على مهارة الاشانتى فى هذا العمل الفنى .

ومن كل هذا يتبين لنا ان شعب الاشانتى قد انتج الكثير من القطع الفنية كالحفر على الخشب والكراسى ذات الاشكال الهندسية والفنية والرسومات الجميلة متقنة الصنع وكذلك المراوح والطبول بالاضافة الى صناعة القطع الفنية من الخزف والفخار والتماثيل الخشبية والنقش على الجدران باشكال هندسية وزخرفية جميلة وايضا النسيج وما الى ذلك .

مما سبق يتبين اهمية دراسة فنون المجتمعات البسيطة والتقليدية بصفة عامة والفنون الافريقية بصفة خاصة • كما يستنتج ان هناك مجالات كبيرة قد تفوقت فيها شعوب افريقيا مثل : فن المعمار Architecture والفن التخطيطي Plastic art وفن الرسم والتصوير Graphic art والفن الزخرفي Ornamental art .

وقد ظهر ان للفن معنى ووظيفة وان البيئة التى يعيش فيها الانسان هى التى توحى اليه بوسيلة التعبير المناسبة ، فهو يرتبط بالاحوال البيئية والاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع •

وقد وجد ان اقدم فن هو فن البشمن Bushmen الذى يتمثل فى الرسم والنحت كما تشير الصور والرسومات ايضا الى العصر الذى انتجت فيه تلك الاعمال •

ان عملية الانتاج الفنى نشأت من محاولة الانسان فهم الحياة ولمعرفة هذا الانتاج الفنى والدوافع والمؤثرات التى تدفع الفنان الى مثل هذا العمل لابد اولا من معرفة تاريخ الشعوب وتقاليدها وعقائدها وانظمتها الاجتماعية • فكل ما وجد من فن يحكى تاريخ وتقاليد الشعوب وانظمتها الاقتصادية والاجتماعية • وظهر فن الانسان الاول فى محاولته اولا تزيين وتجميل جسده ثم بعد ان سكن الكهوف والاكواخ انتقل الى تجميل مقر سكنه • ويبدو فى كل هذا الصفاء والبساطة وصدق التعبير والتلقائية •

كما تدل الدراسة على ان الانسان يفكر ويطور تفكيره دائما وهو يتأمل الطبيعة المحيطة به ، فلا يقف جامدا امام هذا العالم الجبار ، بل هو مكتشف ومخترع ، فديناميه التغير تكمن ضمنا فى العملية الخلاقة وتبين من الدراسة ايضا ان افريقيا مليئة بالعوامل والدوافع التى ساعدت على مر العصور على انتاج فن رائع ، وتشير الدلائل الى انه كلما كان العمل قديما كلما كان اجود وهذه نقطة هامة تثبت ان عوامل

التطور والتقدم وتداخل الثقافات مع بعضها يفسد خيال وابداع الفنان . ويظهر في شرق افريقيا انواع من الفن مخالفة لما وجد في جنوبها ـ لدى البشمن ـ فنجد ان الفن هناك يتمثل في انتاج الخرز والنحاس وتزيين الشعر والملابس والدروع وكذلك في صنع الخشب . ويوضح كل هذا وسائلهم في التعبير الجمالي . ولقد ظهر من الدراسة ان للفن في افريقيا عامة وفن الزنوج خاصة هدفاً اكيدا اذ يخدم الانتاج الفني الاغراض الدينية .

ولكن هناك عوامل ساعدت على انهيار واندثار هذا الفن الزنجي منها اهتزاز الاسس الدينية والسياسية ودخول الصناعة الاجنبية ودخول معتقدات دينية تخالف عقائد هذه الشعوب .

ورغم كل هذا فقد ظهر الفن الافريقي لخدمة وتقديس الارواح والاسلاف وعلى هذا الاساس ظهرت الاقنعة والنصب وتفننت هذه الشعوب في انتاجها .

ومن المواد التي ظهر فيها فن شعوب افريقيا الخشب وهو مادة مفضلة لدى جامعي الطعام والرعاة وهم يتقنون فن صناعته وزخرفته وتظهر هناك مواد لاتستخدمها سوى فئات معينة من الشعب كسن الفيل في بنين ويوروبا حيث لايستعملها الا الملوك . ويوجد ايضا بعض المواد التي ترمز الى القوة والسلطة مثل اسنان القطط البرية والاسود والنمو وهي تعتبر ايضا من ادوات الزينة .

وهم يستعملون بعض المواد كوسيلة نقدية مثل الصدف الى جانب استخدامه للزينة ايضا . ونفس الشيء بالنسبة لبعض السلاسل المصنوعة من بيض النعام وقطع القواقع المزودة بالخرز فهي تستخدم للغرضين السابقين . اما الحجر فكان نادرا لدى الزنوج بعكس فن نحت التماثيل الطينية المنتشرة بكثرة في القارة . ومما هو جدير بالذكر ان النساء هن اللاتي يقمن بصناعة الفخار بصفة خاصة وتقوم بصناعته غالبا زوجة الحداد . اما الحديد فله هيبة واحترام خاصين في غرب افريقيا وايضا الحداد

ويعكس الحال عند الحاميين ، فالحداد فى الماساى وغيرها من شعوب شرق افريقيا يحتل مرتبة دنيا بين فئات المجتمع . وفيما يخص النحاس والفضة والذهب فهى من المعادن التى استعملت وما زالت تستعمل لليوم كأدوات زينة راقية . فاشتهرت بنين منذ القدم باستعمال ادوات الزينة النحاسية واشتهر العرب كذلك باستخدام الفضة فى الزينة ، اما الذهب فقد اشتهرت باستعماله — كأدوات زينة ومجوهرات — معظم شعوب افريقيا كما استخدمتة بجانب ذلك كوسيلة نقدية ، وكذلك البرونز استخدم عند الاشانتى كموازين صغيرة للذهب وفى بنين عملت منه الاقنعة . اما صناعة الجلد فقد اشتهرت وتفننت فى صناعتة جميع شعوب افريقيا التى تمارس القنص والرعى .

ويجب ان نذكر صناعة الملابس بجميع اصنافها فى جميع انحاء القارة فمنها ما هو مصنوع من لحاء الشجر او من خيوط نباتية واخرى مطعمة بالخرز والفضة والذهب ، ومنها الملابس الجلدية الفاخرة وكذلك الملابس المنسوجة على الانوال اليدوية ، وقد برعوا فى صبغها ونقشها لدرجة ان الصناعة الحديثة اصبحت تحاكيها وتقلدها ولكن باستخدام وسائل عصرية .

ومع كل هذا فقد بينت الدراسة الاهمية المتزايدة للدراسات الانثروبولوجية المركزة لاظهار الدور الذى يقوم به الفن فى تدعيم الابنية الاجتماعية والثقافية فى مجتمعات افريقيا . والى اى حد يستمد الفن مقوماته واشكاله ووسائل تعبيره من نفس المشاعر والاحاسيس التى يشعر بها افراد المجتمع ، ومن ثم يستجيب الفنان الافريقى ويترجم ويعبر بوسيلته عن هذه المشاعر بشكل او بآخر من اشكال التعبير سواء كانت رسما او نحتا او موسيقى .

ولكى تكون الدراسة متكاملة فلابد من الاهتمام بالجانب الانسانى " الفنان فى حد ذاته " ومحيطة الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، ولايجب ان نهمل هذا الجانب الحيوى الفعال وهذه الاصابع الماهرة

والعقل الجبار الذى استطاع ، رغم كل الظروف القاسية التى مر بها عبر العصور ، ان ينتج هذا الانتاج الرائع .

ولايفوتنى وانا اتحدث عن الفن ان اشير الى ان الموسيقى والشعر واللغة تعتبر من العوامل الاساسية للتعبير عما يجول فى نفس الانسان من فكر وذوق وفن واحاسيس . ومازال المجال الموسيقى الافريقى يحتاج الى دراسات كثيرة وافية ، كما ان دراسة الموسيقى نفسه ودوره فى المجتمع والمستويات الاجتماعية التى يخرج منها الموسيقيون وموقف الموسيقى من الاخرين ، وملكية الموسيقى والطرق المتبعة فى تدريب الموسيقيين ، كل هذا سيلقى الضوء على ركن هام من اركان الثقافة فى المجتمع .

وبجانب هذا ظهر عامل ثقافى هام فى غرب افريقيا بصفة خاصة وهو الاقنعة التى لها معنى ووظيفة خاصة وهى طرد الارواح الشريرة والامراض والابتهال الى الآلهة والاسلاف ، ولهذا فهم يبرزونها فى فن جميل ويحفظونها فى حالة عدم استعمالها بكل عناية بعيدا عن المساكن ونفس الشىء بالنسبة للادوات المقدسة الاخرى .

هذا الى جانب الكرسى الذهبى الذى تحكى عنه معظم كتب تاريخ غرب افريقيا والذى دفع شعب الاشانتى الى ان يبدع فى اخراجه . كما يشتهر الاشانتى بصنع الاشكال الخشبية المختلفة لجميع الاغراض الدينية والدنيوية واشغال المعادن والحلى وصناعة النسيج . وتعتبر الطبول من الاعمال الفنية الجميلة التى تستخدم اساسا فى الاغراض العقائدية والطقوسية والاجتماعية ايضا .

ولذلك فان فن الاشانتى يستحق ان تخصص له دراسة خاصة ، ينبغى على الانثروبولوجيين الاهتمام به ودراسة النواحى التى ما زالت تعانى من نقص شديد وخاصة من جانب الافارقة انفسهم بحيث اذا اجريت مثل هذه الدراسات ستظهر صورة للفن الافريقى على ايديهم مخالفة تماما لما شاهدناه من كتابات الاوروبيين . وليس هناك من شك فى ان

الاوروبى له نظرة وذوق وطريقة فى الاستنتاج تخالف الذوق والمفهوم الافريقى ، علما بانه لايجب ان نغفل عامل اللغة ، ففقدانها يجعل الدراسة تفقد الكثير من الحقائق والمعانى الافريقية .

مدارس الانثروبولوجيا الثقافية :

مبدأ التطور الحضارى :

بدأ علم الانثروبولوجيا يأخذ مظهره العلمى حوالى منتصف القرن التاسع عشر حينما بدأ العلماء يهتمون بدراسة الحضارات وتطورها ولقد شجع على هذا الاتجاه العلمى عدد من العوامل التى يمكن ان نذكر منها : تقدم الدراسات الخاصة بعصور ماقبل التاريخ فى اوربا وفى عدد من اجزاء العالم الاخرى وقد جاء هذا التقدم نتيجة طبيعية لتقدم الاكتشافات والدراسات الاثرية كما شجع على هذا الاتجاه ايضا زيادة المعرفة عن المجتمعات البدائية وذلك عن طريق الرحالة والمبشرين والجنود الذين كانوا يعودون الى بلادهم فيحكون عما رأوه فى تلك البلاد من عادات وعقائد وفنون هذا علاوة على ماكان يسجله بعضهم من بيانات وملاحظات عن هذه المجتمعات مما خلق الرغبة عند بعض العلماء فى دراسة هذه المجتمعات بطريقة مقصودة ومنظمة . هذا ويمكن ان نضيف الى هذين العاملين عاملا اخر شجع بدوره على هذه الدراسات الانثروبولوجية وهذا العامل يتمثل فى ظهور مشكلة هامة بين الباحثين شجعت الرغبة فى حلها على القيام بدراسات تدور حول المجتمعات البدائية .

اما هذه المشكلة فهى تحديد العلاقة بين حضارة المجتمعات البدائية وبين الحضارات المتقدمة فى اوربا وامريكا وهل هذه الحضارات المتقدمة امتداد للحضارات البدائية او تطور لها . بمعنى هل تمثل المجتمعات البدائية بوضعها الحاضر المراحل الاولى التى اجتازها المجتمع الانسانى وهل تكشف دراستها عن الظروف والاوضاع التى كان عليها المجتمع الانسانى فى اول الامر .. ؟ .

لقد كانت هذه المشكلة بالذات بداية التفكير الانثروبولوجي العلمي وبداية لظهور مايعرف بمبادئ التطور الحضارى والتى ظهرت واضحة فيما كتبه عدد من العلماء الذين يعتبرون اصحاب هذا المبدأ التقليديين وعلى رأسهم من الانجليز تايلور ومن الامريكان (مورجان) وقد شجع العلماء الانجليز على القيام بمثل هذه الدراسات خضوع الجزء الاكبر من المجتمعات البدائية فى القرن التاسع عشر للنفوذ الانجليزى وكان هذا بالذات عاملا فعالا على تسهيل مهمة العلماء الانجليز لارتياد هذه المناطق ومحاولة دراستها ولاعجب والامر كذلك ان نجد ان الجانب الاكبر من الدراسات الانثروبولوجية الاولى قد قام اساسا على ايدى هؤلاء العلماء الانجليز اما عن العلماء الامريكيين فقد شجعهم على القيام بمثل هذه الدراسات ماكان يخضع لهم من مجتمعات بدائية تتمثل فى المجتمعات الهندية التى تسكن الولايات المتحدة والتى كانت بدورها مجالا غنيا للتدريب الانثروبولوجى العلمى وقد وجد فيها (مورجان) فرصته لذلك وعلى الرغم من ان مبدأ التطور عامة كان معروفا من قبل فى الدراسات البيولوجية وخاصة بعد ان نشر تشارلز داروين فى سنة ١٨٥٩ كتابة (اصل الانواع) فان مبدأ التطور البيولوجى هذا لم يكن هو المحرك الاساسى لمبدأ التطور الحضارى مما يمكن ان نقول معه بان التطور الحضارى لم يكن امتدادا للتطور البيولوجى وانما يعتبر مستقلا فى تكوينة مما يتفق وتطور الحضارات هذا علاوة على استخدام معنى التطور فى علم الاجتماع او الانثروبولوجيا لم يكن تقليدا لنظرية داروين لان الواقع يشهد بغير ذلك اذا علمنا ان فكرة التطور كانت موجودة عند علماء الاجتماع قبل ظهور مبدأ داروين بعدة سنوات .

فقد اشار اليها سنبسر فى دراستة لتطور المجتمع الانسانى من الشكل البسيط الى الشكل المعقد[1] .

---

(١) الانثروبولوجيا الاجتماعية ، د . عبدالحميد لطفى ، ١٩٧٥ ، ص ١١٩ _ ١٢١ .

رواد المدرسة التطورية :

ينتمى الى المدرسة التطورية عدد كبير من العلماء الذين قاموا بجهود متفاوتة فى دراساتهم من هؤلاء :

١ ـ لويس مورجان : Lowis Morgan (١٨١٨ـ١٨٨٠)

هو احد العلماء الامريكيين الذين ساهموا بنصيب كبير فى الدراسات الانثروبولوجية وخاصة برأيه فى تطور التاريخ البشرى ـ وقد اوضح ان تاريخ الجنس البشرى واحد فى مصدره وفى خبرته وتقدمه فهو بهذا قد اخضع كل المجتمعات الانسانية فى تطورها لقانون واحد . ووجهة نظره فى هذا ان الانسان فى مجتمعاته المختلفة قد وجد فى الماضى ويوجد فى الحاضر وهو يجتاز درجات مختلفة من الحضارة وقد بنى مورجان على هذا الاساس مبدأه فى تتابع المراحل الحضارية واطلق عليها اصطلاح درجات الحضارة وهذه الدرجات هى :

(١) المرحلة الوحشية الدنيا : وفيها لم يكن الانسان اكثر تقدما من الحيوان فقد عاش فى الغابة وسكن الاشجار وغذاؤه كان قاصرا على الجذور والفواكه او اية ثمار اخرى .

(٢) المرحلة الوحشية الوسطى : وفى هذه المرحلة تقدم بعض الشىء عن المرحلة الاولى فقد بدأ فى الاهتداء الى انواع جديدة من الاطعمة كالاسماك وعلى هذا الاساس بدأ يخرج من الغابة وانتشر على طول الانهار والسواحل وفى هذه المرحلة ايضا اكتشف النار .

(٣) المرحلة الوحشية العليا : وقد اخترع فى هذه المرحلة القوس وعلى هذا الاساس اصبح الحيوان الغذاء الرئيسى للانسان واصبح الصيد عمله الاساسى وقد تقدم الانسان فى هذه المرحلة تقدما بسيطا فى بعض الفنون وفى بعض الاشكال من التنظيم الاجتماعى والدينى .

(٤) المرحلة البربرية الدنيا : وتبدأ هذه المرحلة بمعرفة الصناعات الفخارية وتمتاز هذه المرحلة ببداية التمييز بين الانسان من مكان لاخر بعد ان كنا نتكلم عن الانسان عامة فى زمن معين دون ان نتعرض للمكان • والصفة العامة للمرحلة البربرية هى استئناس وتربية الحيوان والزراعة •

(٥) المرحلة البربرية الوسطى : وهى مرحلة ازدهار للمرحلة السابقة من ناحية استئناس الحيوان والزراعة ، ومعرفة الانسان لعملية الرى وبناء المساكن من الاحجار وغير ذلك من المظاهر الحضارية •

(٦) المرحلة البربرية العليا : وتبدأ بمعرفة صهر الحديد واستخدامه كما تتميز هذه المرحلة بظاهرة حضارية هامة وهى اختراع الانسان للكتابة واستخدامها كما تتميز ايضا بازدياد عدد السكان فى العالم كثيرا عما كان عليه من قبل •

ويقول مورجان انه ليس من الضرورى ان تجتاز حضارة كل مجتمع هذه المراحل جميعا وانما قد يحدث ان تنتقل الحضارة الى مرحلة اكثر تقدما دون ان تمر بالمراحل التى قبلها ويحدث هذا نتيجة الاتصال بحضارة ارقى كما يرى ان هذه المراحل لاتنطبق على الحضارة ككل وانما على كل مظهر حضارى على حده كأن تمر العقيدة الدينية مثلا بهذه المراحل او(ان تمر بها الاسرة او الزواج او اى مظهر حضارى آخر •

وقد قام مورجان بدراسة لتطور الزواج والاسرة وقد رأى ان هاتين الظاهرتين مرتا بعدد كبير من المراحل التى بدأت بمرحلة الاباحية الجنسية حتى وصلنا الى المرحلة الاخيرة التى تتمثل فى الزواج المونوجامى Monogamy وبالاسرة كما هى معروفة فى اغلب المجتمعات الانسانية فى الوقت الحاضر وهذا يعنى ان هاتين الظاهرتين قد اجتازتا فى تطورهما عددا من المراحل الوسطى مثل مرحلة الزواج الجمعى Group marriage ومرحلة الاسرة

الاموية Matriarchal family ثم مرحلة الاسرة الابوية Patriarchal family .

٢ ـ ادوارد تايلور : Edward Tylor (١٨٣٢ـ١٩١٧)

يتفق هذا العالم الانجليزى مع مورجان الامريكى فى مبدأ التتابع الحضارى وكما درس مورجان ظاهرتى الزواج والاسرة درس تايلور تطور ظاهرة الدين او العقيدة .

وقد خرج من دراسته بعدد من النتائج منها ان كل العقائد الدينية ظهرت نتيجة للتفسير الخاطئ لعدد من الظواهر التى كان يقابلها الانسان كالاحلام والامراض والنوم والاستيقاظ والحياة والموت.

ويرى تايلور ان فكرة الروح التى اهتدى اليها الانسان هى الاساس الذى قامت علية الاديان فالانسان كان يعتقد ان الروح تفارق جسده اثناء النوم ثم تعود اليه عند اليقظة وان الموت ليس الا نوما طويلا فارقت الروح فيه الجسد ولم تعد اليه وقد ارتبطت هذه الافكار الدينية الاولى بعدد من الطقوس كما ارتبطت بظاهرة تقديم القرابين لارواح الاسلاف التى تنتسب اليها الجماعة او القبيلة جلبا لرضاهم وهكذا بدأت العقائد الدينية تظهر وتتطور من وجهة نظرهم وتكلم فى هذه النظرية ايضا كل من جيمس فريزر (١٨٥٤ ـ ١٩٤١) وريفرز (١٨٦٤ ـ ١٩٢١) ولكن قوبلت اراء هذه المدرسة التطورية بكثير من النقد نظرا للبساطة وعدم الدقة التى حاولت بهما هذه المدرسة ان تعمم النتائج التى كانت تصل اليها فيما يتعلق بالتتابع الحضارى واخضاع المجتمعات على اختلافها فى كل زمان ومكان لقانون واحد تتطور تبعا له حضاراتها .

والواقع ان دراسات المدرسة التطورية لم تكن تقوم على اساس علمى تجريبى واهم مايعيبها انها لم تقم على اساس متين من الدراسة الميدانية المباشرة علاوة ان تخصصاتهم جميعهم كانت تتجه اتجاها

آخر غير الدراسات الانثروبولوجية فبعضهم كان يعمل بالمحاماة والبعض الاخر كان مترجما او اديبا او شاعرا او عالما نفسيا .

ورغم النقد الذى وجه اليها فيمكن القول فى نفس الوقت بان هذه المدرسة كان لها نصيب كبير من التقدير والفضل على الدراسات الانثروبولوجية .

فكان التطوريون اول من وجه الاذهان الى ضرورة وجود علم للحضارة وذلك بعد ان اعلنوا ان الظواهر الحضارية ليست ظواهر عشوائية او ظواهر بدون نظام .

وعلى الرغم مما وجه الى محاولات التطوريين الخاصة بالتعميم الحضارى من نقد فانهم ادخلوا بهذه المحاولات طريقة منظمة فى دراسة الحضارة والطرق المنظمة هى اولى خطوات البحث العلمى المنظم وقد وضع التطوريون بذلك اساس علم الانثروبولوجيا الحضارية ، ويمكننا ان نقرر ان الدراسات الانثروبولوجية الميدانية قد بدأت بهذه المدرسة على يد بعض روادها من امثال مورجان وتايلور وفريزر .

مبدأ الانتشار الحضارى :

من الاراء السابقة لعلماء القرن التاسع عشر فى التطور نجد ان وجهة نظر هؤلاء العلماء تسير فى اتجاه واحد وقد تجاهلت هذه الاراء بذلك اهمية الانتشار كعامل فى بناء الحضارة .

ووجهة نظر انصار مبدأ الانتشار الحضارى ان نماذج الحضارة غالبا ما تستعار وان تشابه النماذج الحضارية فى المجتمعات المختلفة لايكون نتيجة لتطور تلقائى او مستقل وانما نتيجة لظهور النموذج الحضارى لاول مرة عند شعب معين فى مكان معين وزمان معين ثم انتقاله بعد ذلك الى المجتمعات الاخرى وهذه هى نقطة الاختلاف الرئيسية بين كل من التفكير التطور والتفكير الانتشارى .

ولم تكن الدراسات الخاصة بمبدأ الانتشار الحضارى قاصرة على بلاد بالذات وانما وجدناها ممثلة فى كثير من البلاد ولكن مع ذلك كان للولايات المتحدة الامريكية نصيب كبير من هذه الدراسات بينما لم تزدهر هذه الدراسات فى انجلترا على عكس ما كان عليه الامر فيما يتعلق بالدراسات التطورية التى وجدناها مزدهرة فى انجلترا .

وفيما يخص هذا المبدأ قامت عدة مدارس منها المدرسة الامريكية والمدرسة الانجليزية والمدرسة الالمانية .

المدرسة الامريكية :

يعتبر كلارك ويسلر Clark Wissler من اهم العلماء الامريكيين الذين درسوا الانتشار الحضارى وقد قام ويسلر بدراسة بين القبائل الهندية الامريكية وخرج منها بمبدئه الذى اطلق عليه مبدأ المساحة الحضارية والمساحة الزمنية وقد اتخذ من هذا المبدأ وسيلة لتصنيف الحضارات او بمعنى ادق لتصنيف التجمعات الحضارية بالنسبة للمناطق الجغرافية وعلى هذا الاساس قسم ويسلر كلا من الامريكيتين (الشمالية والجنوبية) الى مساحات حضارية وتنظر المدرسة الانتشارية الى الثقافة على انها ظاهرة سيالة تنشأ وحداتها فى بيئة معينة ثم ما تلبث ان تتسرب وتنتشر من موطنها الاصلى الى مواطن اخرى كما تنتقل من الجيل المبدع الى الجيل المقلد وهى نتيجة لهذه السيولة تنتشر بالاستعارة او بالتقليد او ما شابه ذلك ولذا فان تشابه الانماط الثقافية على ما يرى الانتشاريون — فى المجتمعات المختلفة لاينشأ على النمو التلقائى الناتج عن تشابه الامكانيات الاجتماعية والطبيعية الانسانية ولو امكننا تتبع تاريخ الاختراعات فى التكنولوجيا او الفن او العرف لرأينا انها لم تظهر تلقائيا عند كل شعب على حده وانما توصل اليها اولا شعب واحد فى مكان معين من تاريخه ثم انتقل بعد ذلك كله او بعضه من ذلك المجتمع الى المجتمعات الاخرى . وكان هؤلاء العلماء يتبعون فى بحثهم المنهج التحليلى المقارن وينظرون الى الثقافة ككل مترابط ويحاولون تتبع نشأة العناصر الرئيسية وانتشارها

وتداخلها فى العناصر الاخرى ويدرسون الظروف الطبيعية والاجتماعية التى تساعد او تعوق انتشار الثقافة ويحللون مختلف الثقافات ليردوا عناصرها الى اصولها الاولى وقد كانت وسائل الانتشار فى العصور القديمة عن طريق اختلاط السلالات او التزاوج بينهما . فيما يعرف بالاستعارة فان الانتشار قد اتخذ حديثا وسائل مختلفة ولا يستدعى اتصال الاجناس اتصالا دمويا او سلاليا ذلك ان وسائل الاتصال الحديثة مثل المواصلات السلكية واللاسلكية واجهزة الراديو والتليفزيون وكذا الصحافة والاذاعة والسينما كل ذلك قد جعل انتشار حضارة او ثقافة ما اسهل بكثير مما كان عليه الحال من قبل .

فقد اصبح مثلا انتشار اللهجة المصرية فى الاقاليم العربية سهلا بواسطة الافلام التى تصدر الى هناك واصبحت عادات الاكل والحياة الاجتماعية الاوربية تنتشر عن طريق الافلام الغربية واصبحت الافكار تنتشر عن طريق الكتب وعن طريق وسائل الطباعة الحديثة[1] . فهذه المدرسة التى يراسها ويسلر تاخذ بفكرة الانتشار ولكن فى حدود معينة تقتصر على منطقة او مناطق بعينها .

المدرسة الانجليزيـة :

وعلى راسها اليوت سميث Elliott Smith وبرى W. Perry[2] ، وبرى سميث يتفق معه برى ان المدنية الحقة لم تحدث سوى مرة واحدة فى التاريخ الانسانى وان مصر بالذات كانت مركزا لهذا الحدوث ثم انتشرت هذه المدنية من مركزها هذا الى انحاء العالم الاخرى حتى ما كان منها بعيدا عن هذا المركز كالمكسيك وامريكا الوسطى ولقد امكن تتبع انتشار النماذج الحضارية الهامة التى نشأت فى مصر ومنها على سبيل المثال عبادة الشمس واقامة التماثيل الكبيرة وبناء الاهرامات وتحنيط الموتى ووضع اهمية كبرى للذهب والجواهر وخلاف ذلك من مظاهر حضارية تميزت بها مصر قديما ويرى سميث ايضا انه قبل نشاة وانتشار هذه الصفات المعقدة لم تكن شعوب العالم تعرف سوى الضرورى من المظاهر الحضارية مثل ما هو معروف حاليا بين

---

(١) دراسات انثروبولوجية . د . أحمد الخشاب ، ص ٢٨١ .

(٢) الانثروبولوجيا الاجتماعية . د . عبدالحميد لطفى ، ص ١٤٣ .

سكان استراليا الاصليين وان انتشار هذه الصفات الحضارية المعقدة قد حدث عن طريق الغزوات المصرية فى كل الاتجاهات وما كان يصاحبها من ادخال مظاهر المدنية المصرية بصورة جزئية او بصورة كاملة فى جميع الاماكن التى تميزت بهذه الصفات الحضارية المعقدة وهذا لم يمنع طبعا ان يكون هناك من الشعوب مالم تصلها مظاهر المدنية المصرية اطلاقا او تكون قد وصلتها ثم اندثرت فيما بعد .

واذن فحسب رأى سميث يعتبر العالم كله منطقة او مساحة حضارية واحدة توضع مصر مركزها كحضارة اساسية فاذا ماوجد تشابه بين المناطق المختلفة كان هذا عن طريق الهجرة والانتشار مهما كان بعد المسافة بينها . ويبدو هذا التشابه واضحا بنوع خاص بين الاهرامات المصرية واهرامات المايا والازتك Aztecs, Mayas فى (المكسيك) مما جعل سميث يرى ان حضارة المايا والازتك قد تأثرت قطعا بالحضارة المصرية عن طريق الهجرة والانتشار على الرغم من طول المسافة التى تفصل بين مصر والمكسيك وبنوع خاص فى العصور القديمة وحيث يضاف الى طول المسافة صعوبة الاتصال بينهما لعدم وجود وسائل النقل والاتصال المتوفرة فى ذلك الوقت .

واليوت سميث برأيه هذا يستبعد امكان قيام مظهر حضارى واحد او شبيه بالاخر فى مكانين مستقلين بطريقة تلقائية فى كل منهما اى دون ان يكون احدهما معتمدا على الاخر فى قيامه وهذا الرأى يعتبر تطرفا واضحا لان الانسان بطبيعتة حيوان مفكر وليس غريبا ان يتحد فى تفكيره مع انسان آخر اما موقف معين او مشكلة بذاتها ففكرة الشادوف مثلا كوسيلة لرفع الماء من مكان منخفض الى مكان اكثر ارتفاعا قد تخطر على بال اى انسان تواجهه مشكلة رفع المياه وهو فى هذه الحالة ليس فى حاجة الى ان يستعير هذه الفكرة فاذا ظهر الشادوف فى اكثر من مكان لايمكن الجزم بانه قد ظهر اولا فى مكان بالذات ثم انتشر منه الى باقى الامكنة الاخرى لان نشأة هذا الاختراع تلقائيا فى اكثر من مكان ممكنة ومايقال عن الشادوف يمكن ان يقال على كثير من الاختراعات الاخرى

كاستعمال الاسلحة المختلفة واستخدام القوس مثلا ٠

ولرالف بيلز Ralph Beals رأى فى مسألة التشابة الموجود بين الاهرامات فى المناطق الثلاث التى مثل بها اليوتسميث لتوضيح مبدئه فى الانتشار الحضارى، فيقول بيلز ان التشابه الموجود بين هذه الاهرامات فى مصر والمكسيك يعتبر سطحيا اذ قيس بالاختلافات الجوهرية الاخرى كطريقة البناء مثلا وحيث نجد ان الاهرامات المصرية مدببة الشكل كما تتميز باحتوائها فى داخلها عددا من الحجرات التى كانت تستخدم مقابر للملوك اما الاهرامات المكسيكية عند المايا والازتك فلم تكن مدببة القمة وانما مسطحتها كما كانت هذه القمة المسطحة تستخدم فى اقامة المعابد الصغيرة عليها او لوضع موائد القرابين هذا وتختلف الاهرامات المكسيكية ايضا فى ناحية اخرى هى بناء سلالم خارجية ضخمة للصعود عليها الى قمة الهرم ثم يضاف الى ذلك ان بناء الاهرامات المكسيكية كان يتم على اساس تشكيل احد الجبال لكى يأخذ شكلا هرميا ثم تغطية هذا الجبل بعد ذلك بالاحجار وهذا يخالف طريقة بناء الاهرامات المصرية ٠ ويرى بيلز ان هذا الاختلاف فى الشكل والوظيفة يفوق كثيرا مايمكن ان يكون بين الاهرامات المصرية والاهرامات المكسيكية من تشابه سطحى كما توحى بان الاهرامات المكسيكية ربما تكون قد اخترعت مستقلة عن الاهرامات المصرية ٠

المدرسة الالمانية :[1]

تتفق المدرسة الالمانية فى تطرفها مع المدرسة الانجليزية وان كانت اكثر منها اعتدالا ومن ابرز علمائها وليم شميدت Welhelm Schmidt وفرتيزجرابنر Fritz Graebner ويطلق [illegible] عليها المدرسة (المدرسة الحضارية التاريخية) ٠

ويرى شميدت ان الانتشار عملية ميكانيكية فهذه المدرسة تختلف عن المدرسة الانجليزية فى انها تضع فى الانتشار عملية تقويم التشابه بين بعض الصفات المتناثرة والتى يفصل بعضها عن البعض الاخر المسافات الطويلة ٠

(١) الانثروبولوجيا الاجتماعية ٠ د ٠ عبدالحميد لطفى ، ص ١٥٣ ٠

ويعتبر رأى المدرسة الحضارية التاريخية رأيا وسطا بين المدرستين السابقتين الامريكية والانجليزية لانها ترى ان اغلب مظاهر الحضارة الحديثة ان لم تكن كلها ترجع الى عدد محدود من المصادر الاصلية الموزعة فى اماكن مختلفة من العالم القديم وفى ازمنة مختلفة من العصور القديمة ثم يتم انتشارها بعد ذلك من مراكز النشأة هذه وكانت بذلك سببا بطريقة او باخرى فى نشأة الحضارات المتأخرة ويقال أن رأى هذه المدرسة رأى وسط لان المدرسة الامريكية ترى ان المظاهر الحضارية قد نشأت تلقائيا فى مناطق عديدة من العالم هى ما اطلقت عليه المساحات الحضارية بينما ترى المدرسة الانجليزية ان النشأة التلقائية لم تحدث سوى مرة واحدة فى الوقت الذى ترى فيه المدرسة الالمانية ان هناك عددا محددا من المصادر الاصلية . هذا وتربط المدرسة الانتشارية الالمانية بين وحدة الانتشار ووحدة التاريخ بمعنى ان وجود نموذج معين فى مكانيين مختلفين يدل على تعاصر هذين المكانيين تاريخيا وقد اتخذت المدرسة الانتشارية فى المانيا وجهة نظر اخرى هى النظرة التجريدية فى دراستها للثقافات فتحاول تجميع قوائم الصفات الحضارية لعدة ثقافات وتطلق على اشتراك بعض الحضارات فى مجموعة من السمات الاساسية المتجانسة اسم (المناطق الثقافية أو الدوائر الحضارية) ومن ثم يدرس علماؤها تتابع الهجرات والانتشار الاثنولوجى طبقا لانتشار هذه السمات الاساسية .[1]

والنقد الموجه الى هذه المدرسة فى انها تركز على عملية الانتشار كعملية ميكانيكية دون ان تراعى ما يمكن ان يكون هناك من تعديل مظهرى او وظيفى للنماذج المستعارة هذا علاوة على ان اية بيانات تاريخية يمكن الحصول عليها لا يمكن لها الا ان تزيد معلوماتنا عن الحضارة ولكنها لا تفسر بالضرورة نشأتها او تحدد الظروف التى تتسبب فى التغير الحضارى .

وبهذا نكون قد استعرضنا اراء مدارس الانتشار الحضارى الثلاث — الامريكية ، الانجليزية والالمانية — وواضح من هذا العرض

(١) دراسات انثروبولوجية . د. احمد الخشاب ، ص ٢٨٥ .

انه على الرغم من اختلاف اراء هذه المدارس حول طريقة الانتشار الا انها تتفق كلها فى التركيز على الانتشار كعامل فى بناء الحضارة كما انها تتفق ايضا فى معارضتها لمدرسة التطور الحضارى فى انها تعتبر التاريخ هو العامل الاساسى بتفسير المظاهر الحضارية ، وان اى حضارة لايمكن فهمها الا اذا عرف تاريخها او امكن تخيلة على الاقل .

ـ ـ ـ

المراجـــع

اولا : المراجع العربية :

١ ـ احمد ابو زيد (دكتور) : تايلور ، سلسلة نوابغ الفكر العربى دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٥٧ .

٢ ـ احمد ابو زيد (دكتور) : البناء الاجتماعى ـ الجزء الثانى ، الانساق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ .

٣ ـ احمد ابو زيد (دكتور) : دراسات فى الفلكلور بالاشتراك مع د . محمد الجوهرى ، د . احمد مرسى ، د . نبيلة ابراهيم ، د . علياء شكرى ، عبد الحميد حواس ، مطبعة دار نشر الثقافة ، ١٩٧٢ .

٤ ـ احمد الخشاب (دكتور) : دراسات انثروبولوجية ، دار المعارف المصرية ، ١٩٧٠ .

٥ ـ احمد الخشاب (دكتور) : دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .

٦ ـ احمد صوار : الصومال الكبير .

٧ ـ الثقافة والفنون الشعبية فى الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ ، طبع فى انجلترا باسم وزارة الاعلام والارشاد القومى (بالصومال) .

٨ ـ آشلى مونتاجيو: الوراثة البشرية ، ترجمة زكريا فهمى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٩ ـ آشلى مونتاجيو: البدائية ، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة مايو ١٩٨٢ .

١٠_ الصومال الجميلة : نشر لحساب وزارة الاعلام والارشاد القومى ، مقديشيو ، الصومال ١٩٧٨ من تصميم " ديزاين فوريرنست ليمتد ، انتاج ديفد جاسبون اند أسوشيتس ليمتد ، سافرون والد ن _ اسيكس _ انجلترا .

١١_ العالم العربى : الناس ، وزارة الاعلام والارشاد القومى لجمهورية الصومال الديمقراطية ، اكتوبر ١٩٧٥ .

١٢_ ايفانز بريتشارد : الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ترجمة د . احمد ابو زيد ، دار المعارف ، ١٩٦٠ .

١٣_ بيج ، ج . ، و . : الشعوب البدائية فى وقتنا الحاضر ، ترجمة محمود مرسى .

١٤_ سيلجمان ، س ، ج ، السلالات البشرية فى افريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، مكتبة العالم العربى ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٥_ صوماليا اليوم : حقائق ومعلومات ، نشرة وزارة الاعلام والارشاد القومى ، جمهورية الصومال الديمقراطية ، مقديشيو ، ١٩٧٥ .

١٦_ عاطف وصفى (دكتور) ، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

١٧_ عبد الحميد لطفى (دكتور) ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، ١٩٧٥ .

١٨_ عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية ونظم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم وعلاقتهم باقليم مصر فى مختلف العصور .

١٩ــ عبد الملك الناشف : الثقافة الافريقية (مترجم) تأليف هيرسكوفيتز وباسكوم ، المكتبة العصرية ، صيدا ببيروت ، ١٩٦٦ .

٢٠ــ على محمود اسلام الفار : الانثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

٢١ــ كون كارلتون : السلالات البشرية الحالية ، ترجمة د . محمد السيد غلاب ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢٢ــ محمد الجوهرى (دكتور) ، حسن الشامى (دكتور) : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور ، مترجم عن ايكة هولتكرانس ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

٢٣ــ محمد الجوهرى ، الحسينى : مقدمة فى الانثروبولوجيا ، الجزء الاول مترجم عن رالف بيلز هارى هويجر ، نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٦ .

٢٤ــ محمد السيد غلاب (دكتور) تطور الجنس البشرى ــ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٢٥ــ محمد رياض (دكتور) : الانسان دراسة فى النوع والحضارة ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ .

٢٦ــ محمد عبد المنعم (دكتور) : الحضارة والتحضر ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ .

٢٧ــ محمد عوض محمد (دكتور) : الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥ .

٢٨— محمد طلعت عيسى (دكتور) : علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، ترجمة عن مارسل موس ، بحث في الهبات والهدايا الملزمة ، ١٩٧١ .

٢٩— مصطفى سليم (دكتور) : المدخل الى الانثروبولوجيا ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٥ .

———

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1. Adam, Leonhard: Bildende Kunst. In: Lehrbuch der Völkerkunde Hg. Von L. Adam and H. Trimborn. Stuttgart 1958.

2. Baumann, H.: Vaterrecht und Mutterrecht in Afrika. In: Zeitschrift Für Ethnologie. 1926.

3. Baumann, H.u. Thurnwald, R.u. Westermann, D., : Völkerkunde von Afrika. Essen. 1940.

4. Beals, R. and Hoijer, H.: An Introduction to Anthropology. 3ed. Mac Millan, N.Y., 1967, p. 645.

5. Bernatzik H.A.: Afrika, Handbuch der angewandten Völkerkunde Bd. I.

6. Bernatzik H.A.: Neue Grosse Völkerkunde. Buch und Zeit Verlaggesellschaft M.B.H., Köln 1968.

7. Cameron, Donald A.: On the Tribes of the Eastern Sudan. In: Journal of the Royal Anthrop. Inst, Bd. 16. London 1887.

8. Cerulli, Enrico: Zar, Engyklopaedie des Islam Bd. 4. Leipzig. 1934.

9. Clark W.T.: Customs and Beliefs of the Northern Beja. In Sudan Notes and Records. Bd. 21 Khartum 1938.

10. Crowfard, Osbert G.S.: The Ashraf of the Sudan, In: Sudan Notes and Records. Bd. 35-36. Khartum 1955.

11. Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland: Notes and Queries on Anthropology sixth Edition, Routledge and Kegan Paul LTD., Broadway Hause 68-74. Carter Lane, London, F.C.4, 1964.

12. Coon, CS.: Origin of Races, London 1963.

13. Coon, CS. and Hunt, E.E.: The living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965.

14. Dapper, O., Umständliche und Eigentliche Beschreibung von Afrika. Amsterdam 1970.

15. Der Kleine Brockhaus in Zwei Bänden. F.A. Brockhaus Wiesbaden, Erster Band A-K, 1961.

16. Der Kleine Brockhaus: in Zwei Bänden. F.A. Brockhaus Wiesbaden Zweiter Band L-Z, 1962.

17. Drysdale John Gardon Stewart: The Somali dispute 1964.

18. Encyclopedia Brittanica: Art. Somalia.

19. Evans-Pritchard, E.E.: "The nuer "O.U.P. London 1940.

20. Firth, Raymond: Elements of Social Organization, 3ed, Tavistok Pub. London, 1971.

21. Frobenius, L.: Kulturgeschichte Afrikas. Zürich 1933.

22. Greenberg, Joseph, H.: Studies in African Linguistic Classification, South westestern Journal of Anthropology. Albaquerque, V, 79-100, 190-198, 309-317, VI, 47-63, 143-160, 223-237, 288-398, X 405-415. In Buchform: New Haven 1955.

23. Greenberg, Joseph, H.: The Languages of Africa. Part II. International Journal of American Linguistics. Vol. XXIX. Nr. 1. January 1963, Bloomingtc

24. Gusinde, M.: Die Kongo-Pygmaen in Geschicht und Gegenvart, Halle 1965.

25. Hammond, Peter, B.: Cultural and Social Anthropology, second Edition, Macmillan Publishing Co., Inc. New York Collier Macmillan Publishers London 1975. The Art. p. 329-356 and Music p. 357-386.

26. Herskovitz, M.J.: Backgrounds to African Art, Denever 1945.

27. Herskovitz, M.J.: Cultural Anthropology, New York 1958 Chapter Thirteen, The Aesthetic Drive: Graphic and Plastic Arts, p. 234-266.

28. Hirschberg, W.: Völkerkunde Afrikas (B.I) Bibliographisches, Institut. Mannheim 1965.

29. Huga A. Bernatzik: Neue Gresse Võlkerkunde Köln 1968, p. 211-212.

30. Leopold, A., Starker and Editors of Time-life Books: The Desert, Life nature library Books, New York, 1967.

31. Leuzinger, E.: Kunst der Negervölker. In: Kunst der Welt, Baden-Baden 1959.

32. Lewis I.M.: A pastaral democracy,a study of pastoralism and politics among the northern Somali of the Horn of Africa. Oxfor University Press 1960.

33. Meyers Handbuch über Afrika, Mannheim 1962 p. 182, 183.

34. Murdock, George, Peter: Africa, Its peoples and their culture History, New York 1959.

35. Radcliff-Brown, A.R.: Structure and Function in Primitive society, cohen and west London 1952.

36. Rattray, R.S.: Religion and Art in Aschanty. Oxford 1927, O.V.P. London 1959.

37. Redfield, R.: The little Community, Checago, U.P.

38. Obermaier-Kühn: Buschmannkunst. Berlin 1930.

39. Owen, T.R.H.: The Hadandoa, In: Sudan Notes and Records, Bd. 20, Khartum, 1937.

40. Schapera, I.: The Khoisan Peoples of South Africa. London 1930. p. 51-64.

41. Schebesta, P.: Bambuti. Leipzik 1932.

42. Schebesta, P.: Die Bambuti-Pygmäen Von Ituri, 3 Vols. Brussels, 1938-50.

43. Schebesta, P.: Revisting my Pygmäen Hosts, p. 141. 1939.

44. Schmidt, P.W.: Die Stellung der Pygmäenvölker in der Entwicklungs-geschichte des Menschen, Stuttgart 1910.

45. Schneider., W.: Die Religion der afrikanisc Naturvölker. Münster (Westf.), 1891.

46. Seligman, Brenda Z.: Notes and Queries on Anthropology, Bd. 6. London 1951.

47. Seligman, C.G.: Races of Africa, London, Fourth Edition, 1978.

48. UNCTD NATIONAL BAPBER: Somalia 1979, P. 2.

49. Walter Hirschberg : Völkerkunde Afrikas, B.I. Hochschulenbücher, 333/333a/ 333b. Mannheim, 1965.

50. Weniger, M.: Zwergwuchs und Zwergvölker. In: Die Umschau. 56. Jg. 1956.

51. Werner, A.: The Language Families of Afric 2nd ed, 1925.

52. Westermann, D.: Sprache und Erziehung. In: Völkerkunde Von Afrika. Essen 1940.

53. Zöhrer, L.: Studien über die Tuareg (Imcha der Sahara. Ztschr. für Ethnologie LXXII, 1940, pp. 124-152.

---oOo---

الملاحـــــــــق

—

ملحق (١) – رســــوم بيانيـــــة

—

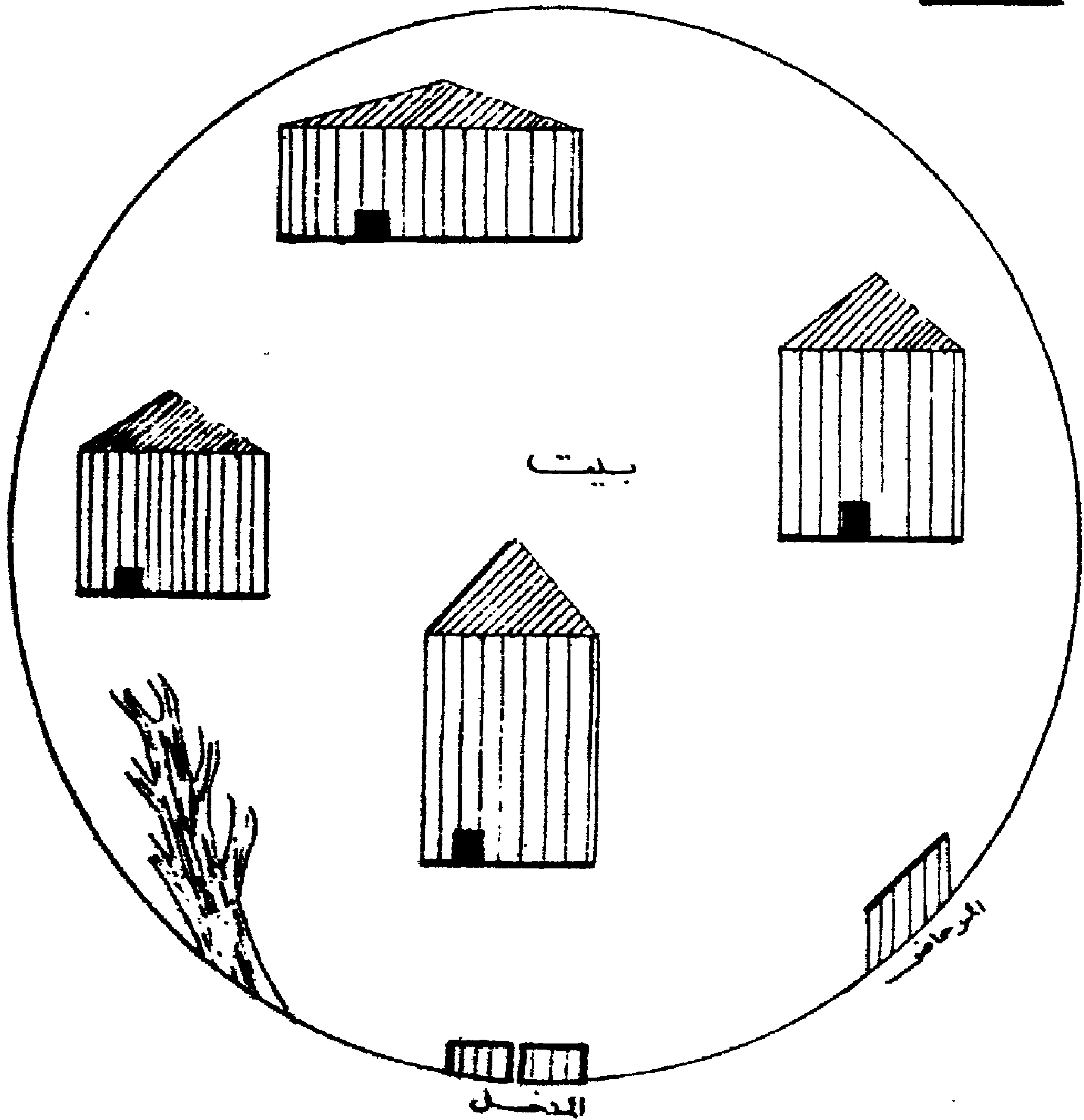
أ – رسوم بيانية عن الصومال

—

رسم يوضح الحي السكني ولابد أن يكون بجوار منبع مياه ومرعى



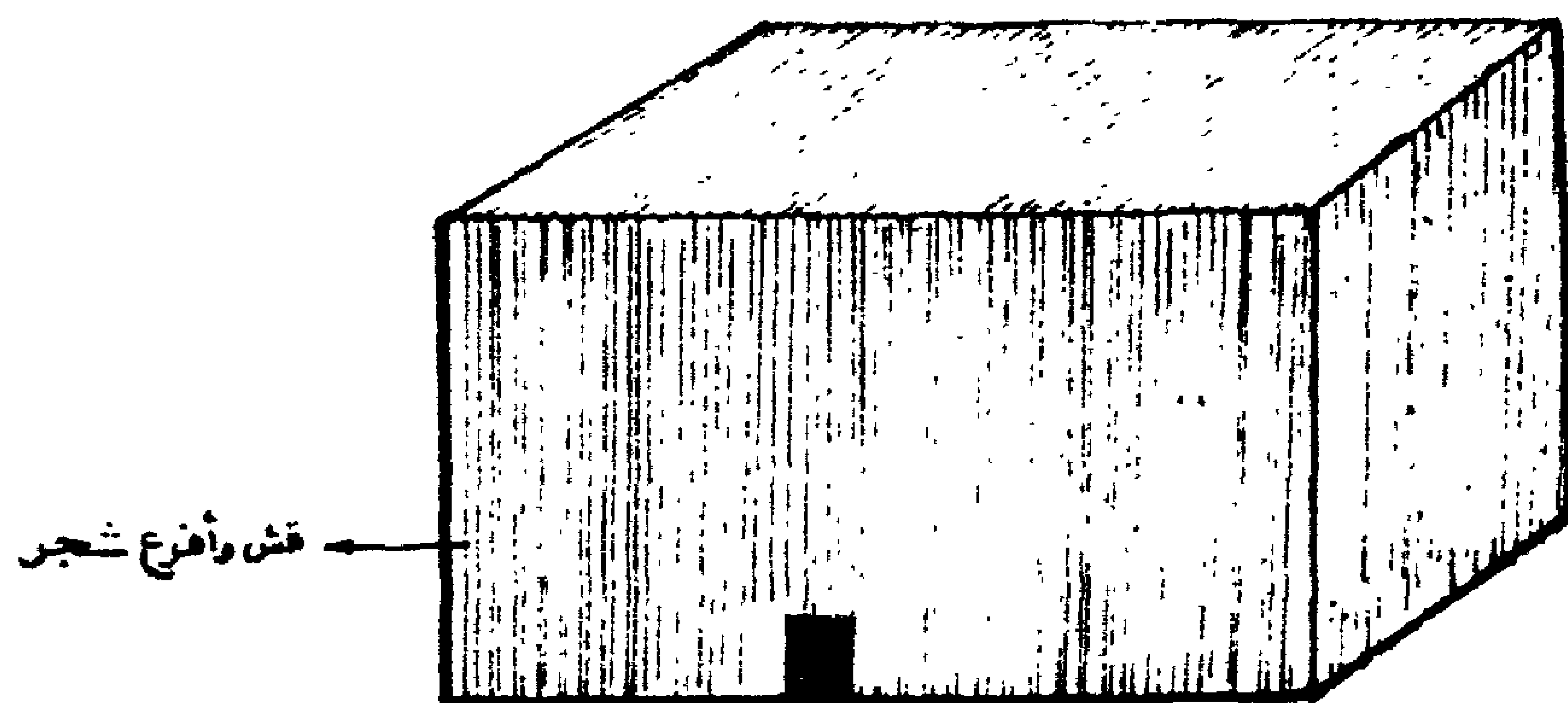
حي سكني



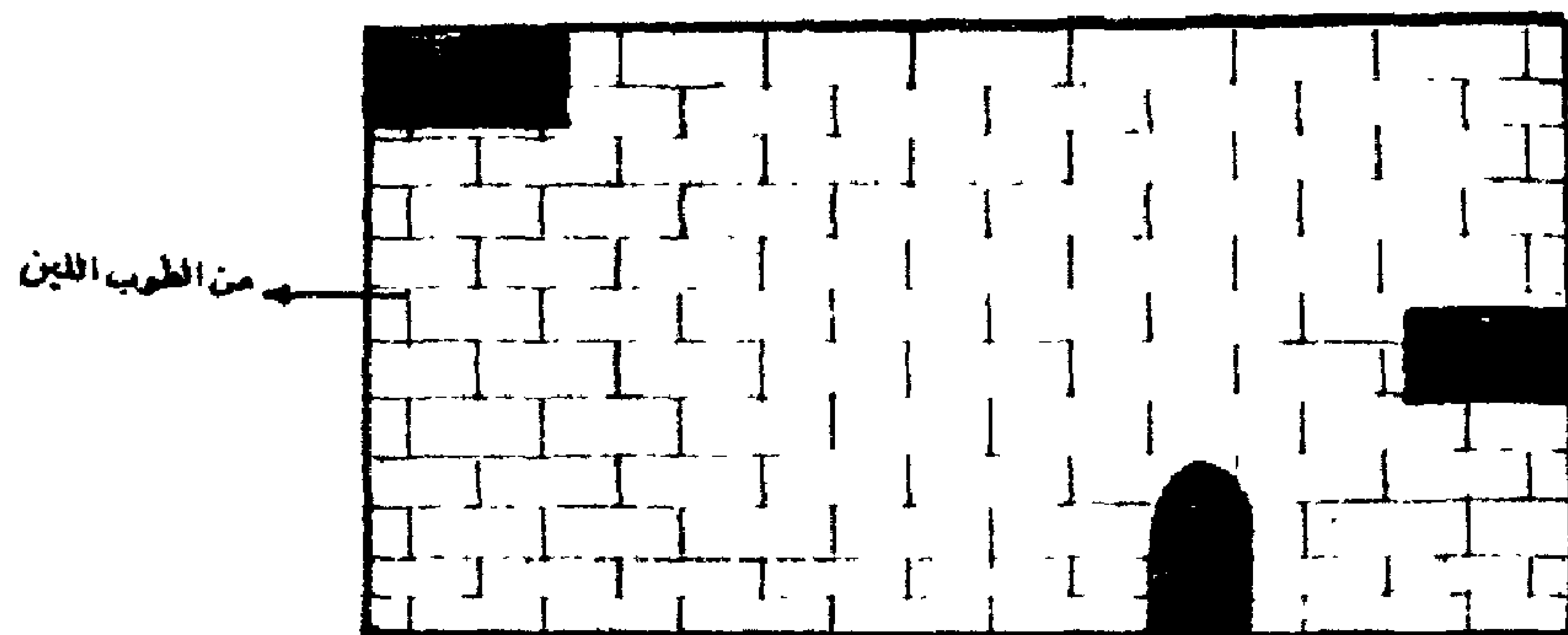
شكل رقم (١) .

شكل رقم (٢)

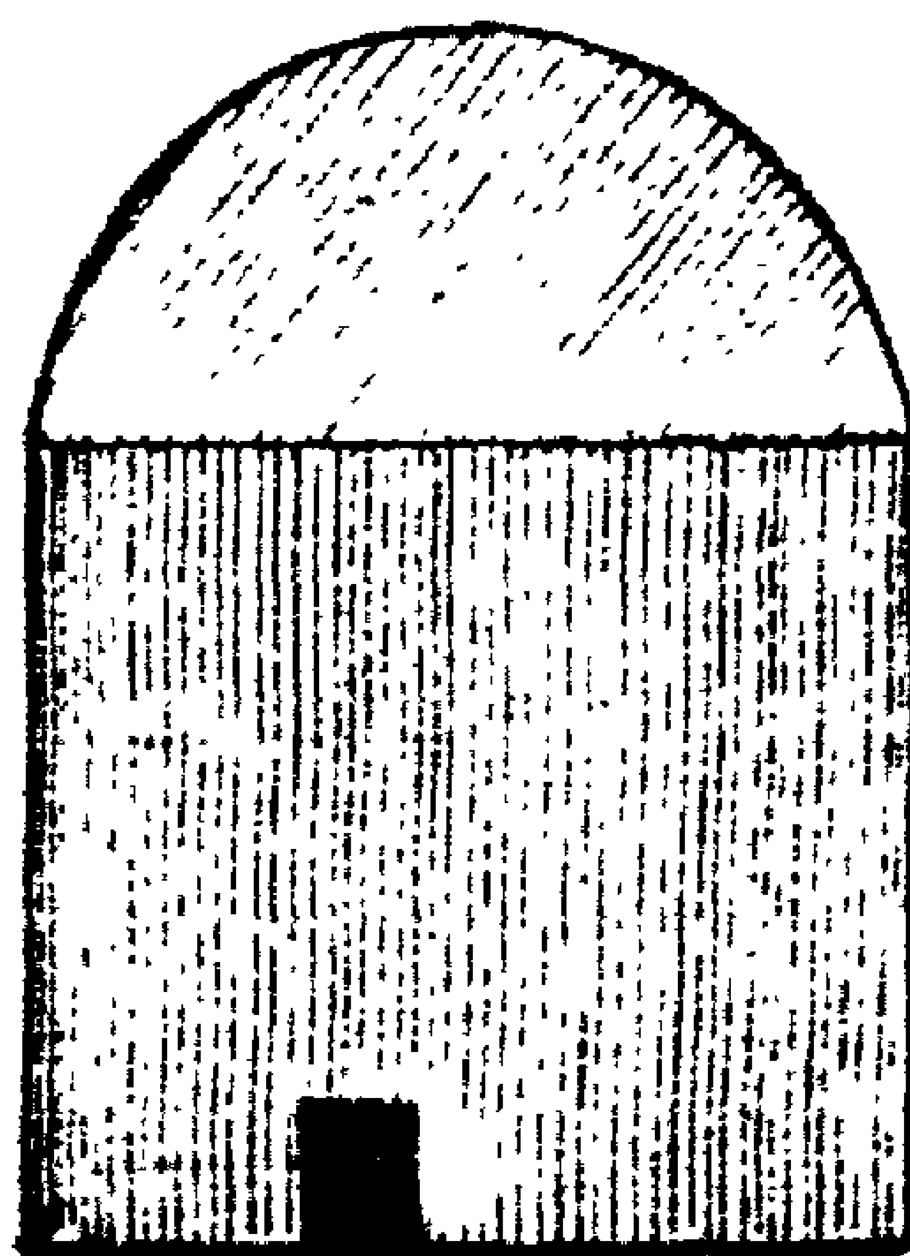
- العريش



٢- العريش

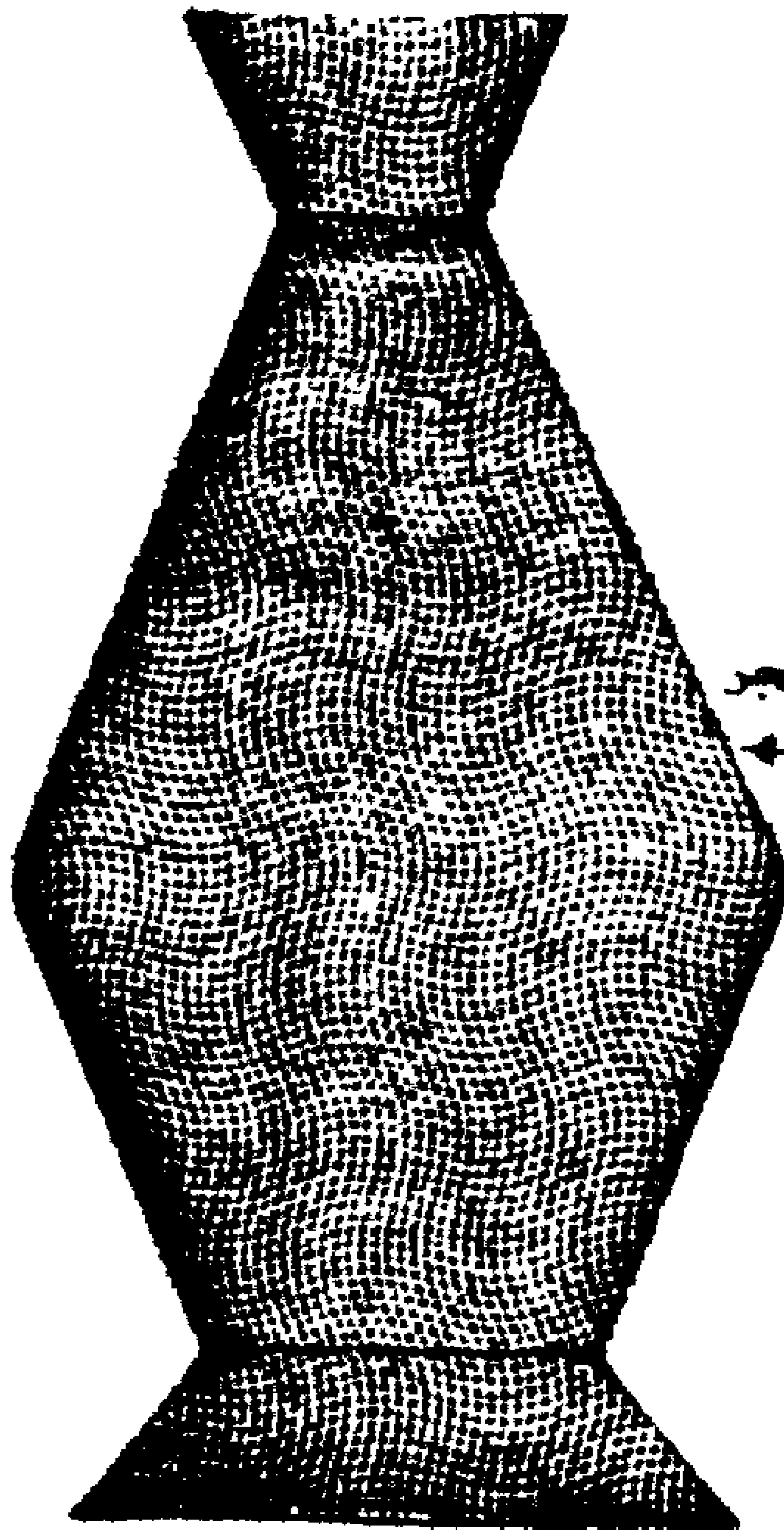


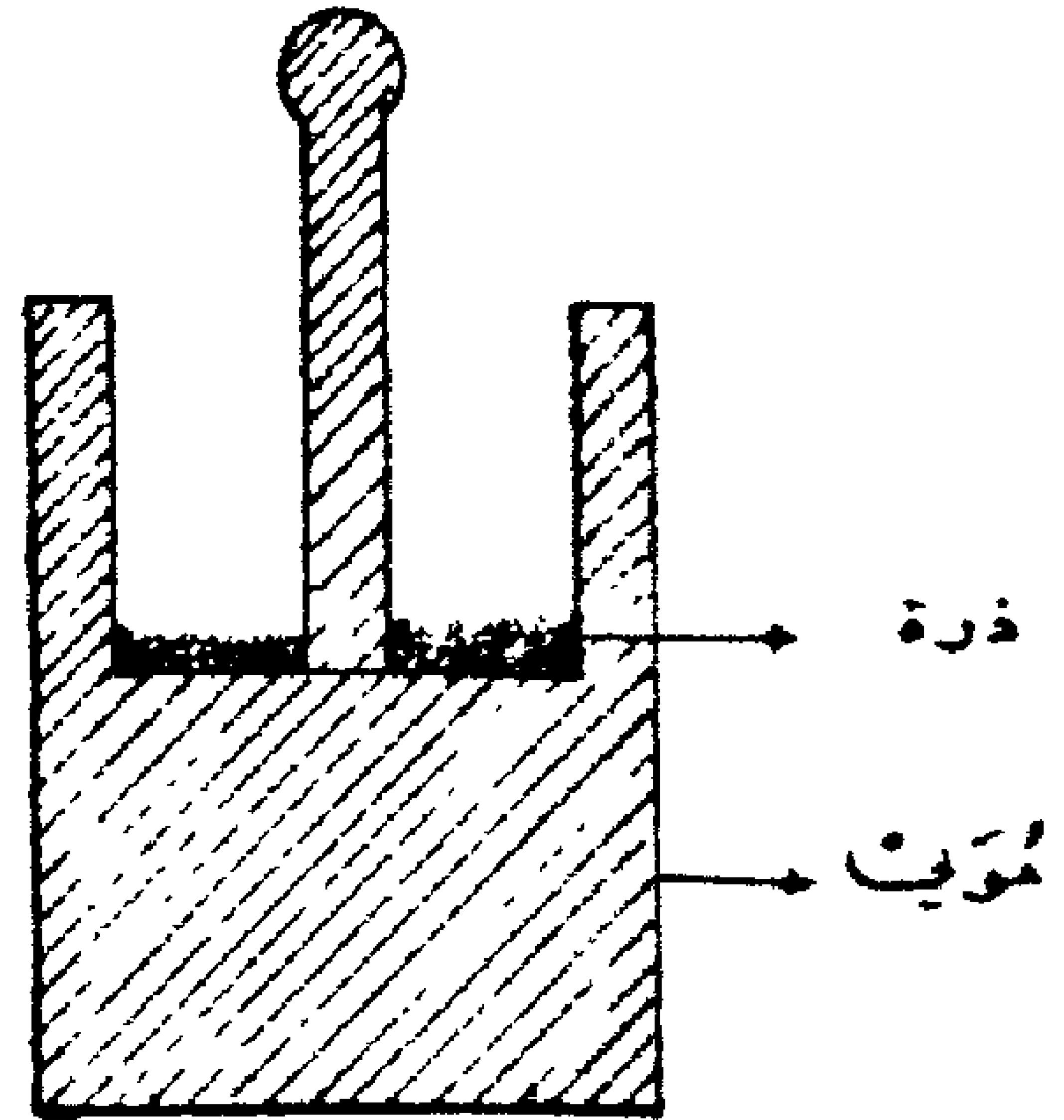
مُنْدَل



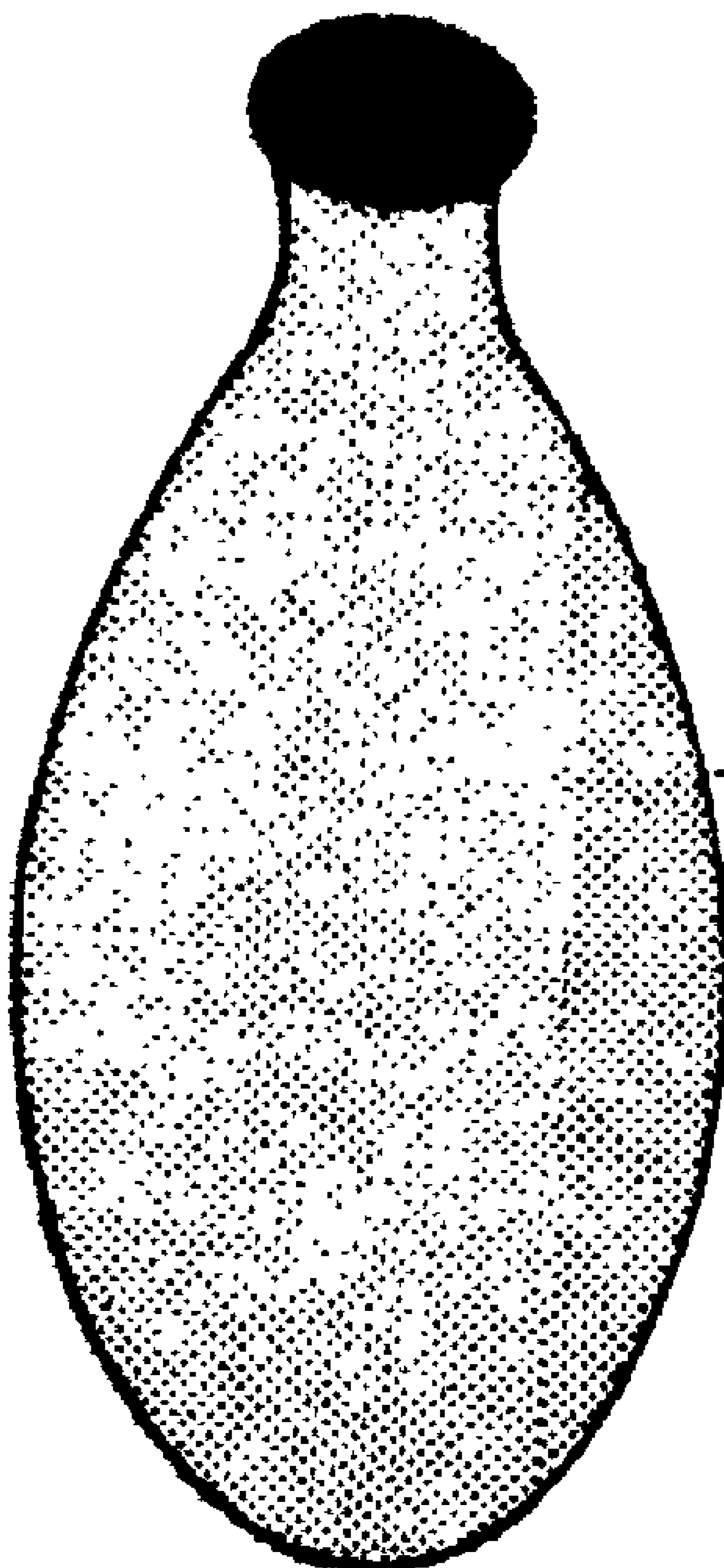
من أفرع الشجر

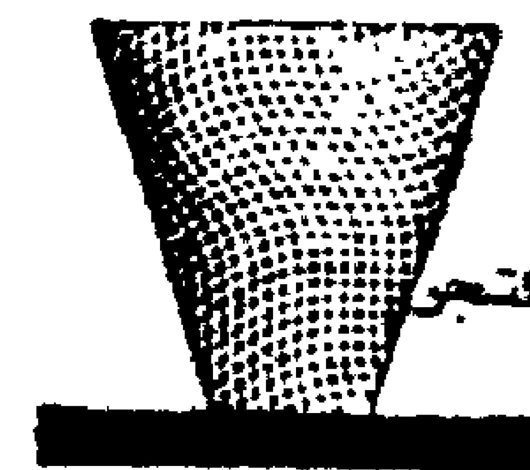
شكل رقم (٣)


وعاء اللبن
مصنوع من لحاء الشجر

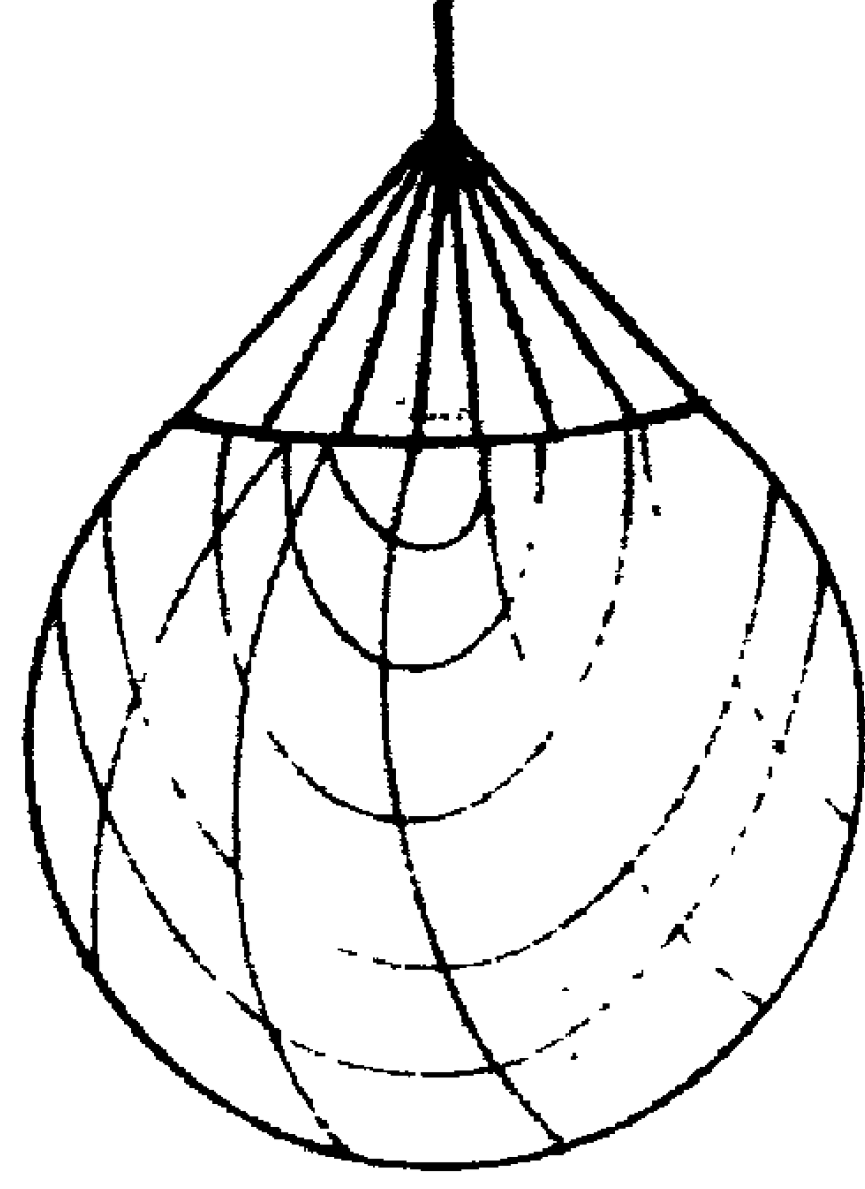

ذرة
مُوَين


ملعقة من الخشب

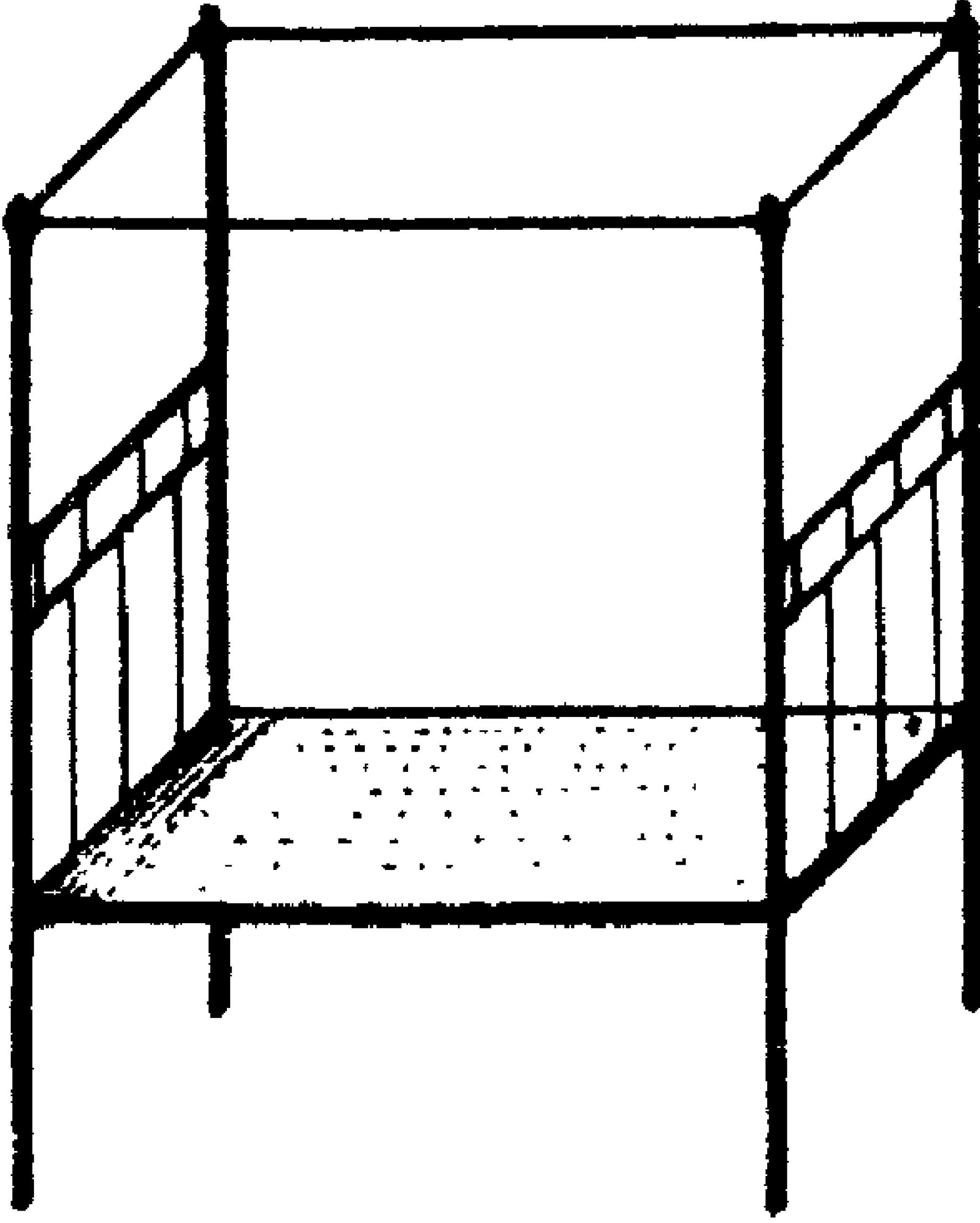

وعاء الماء
ويستعمل أيضا للبن
وهو مصنوع من الخشب


يشبه الكوب
ويسمى (طيل)
ويصنع من لحاء الشجر
وعاء لشرب اللبن

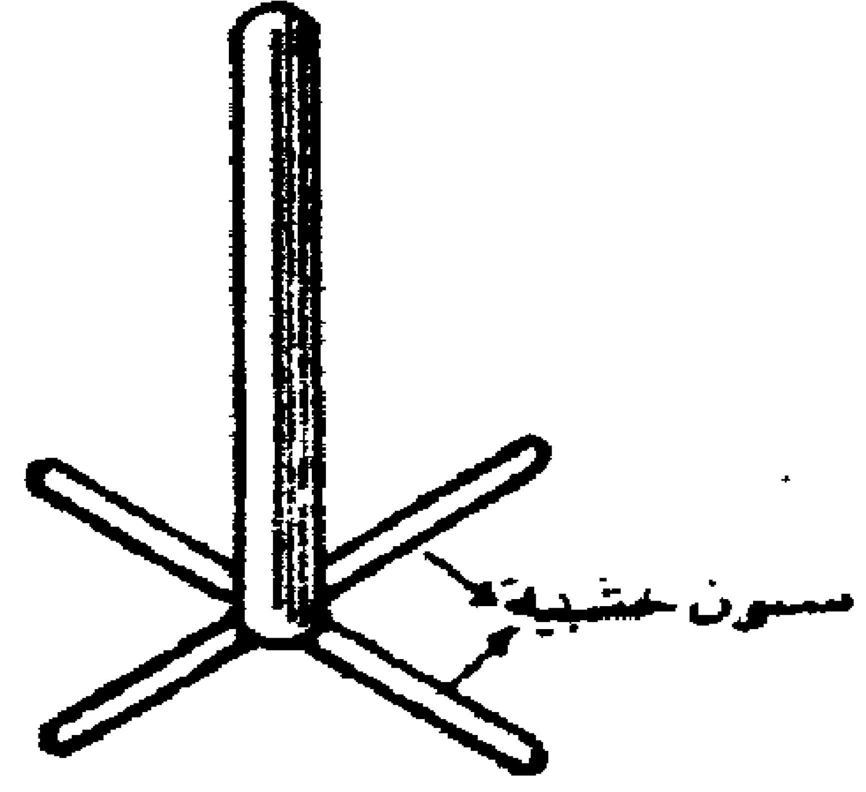
ب - رسوم بيانية خاصة بالعش



رسم يوضح المشعليجة التي يحط فيها الطعام



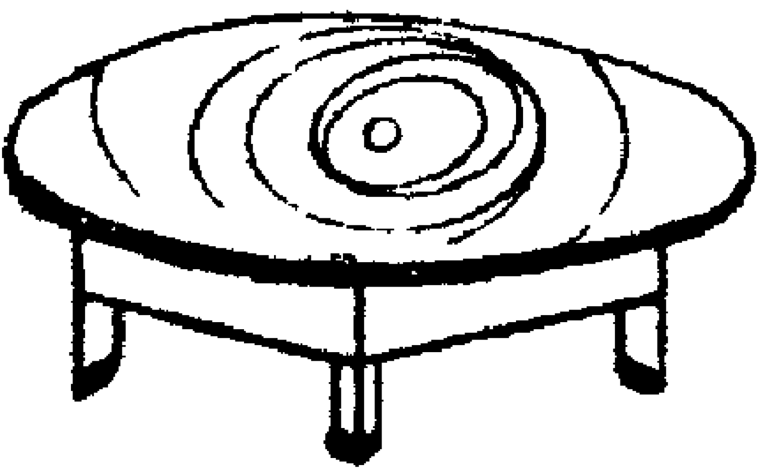
سرير بأعمدة



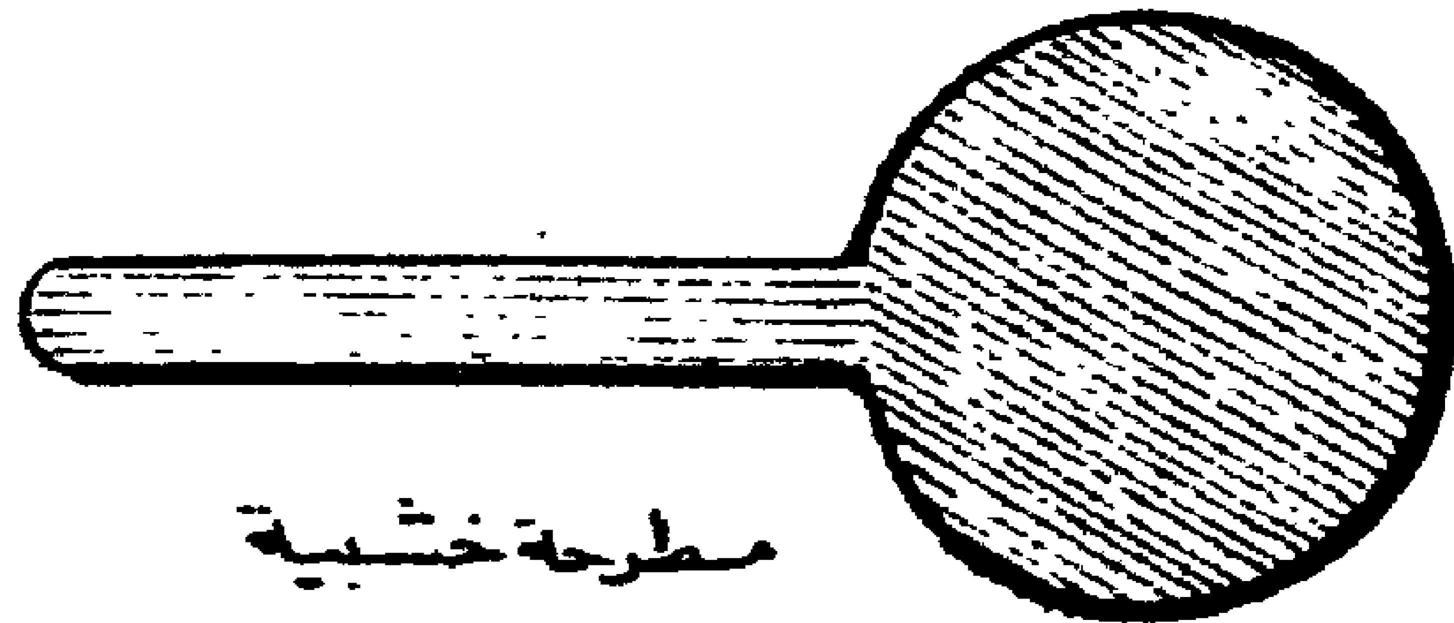
مفراك خشبي



محماس حديدي

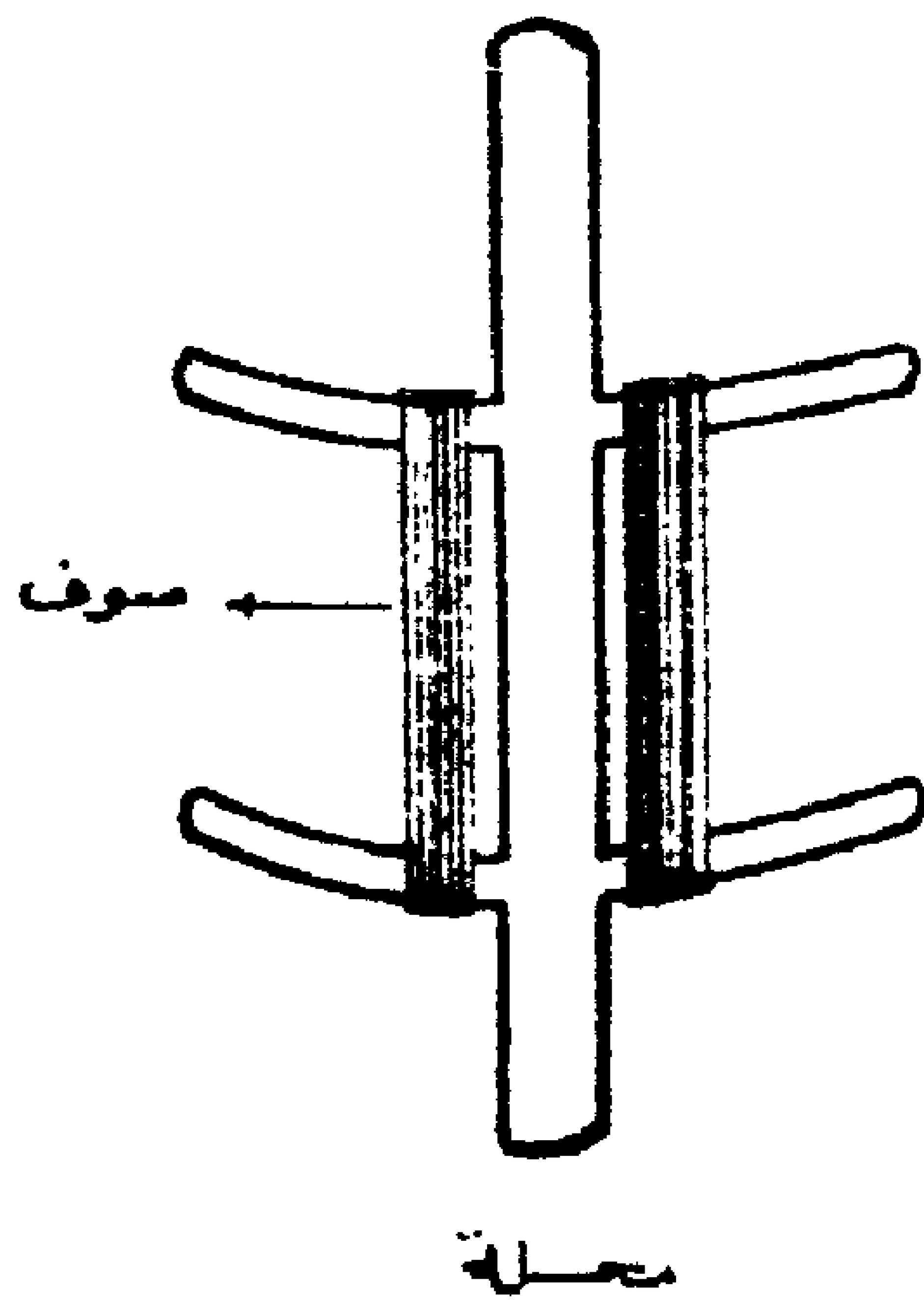


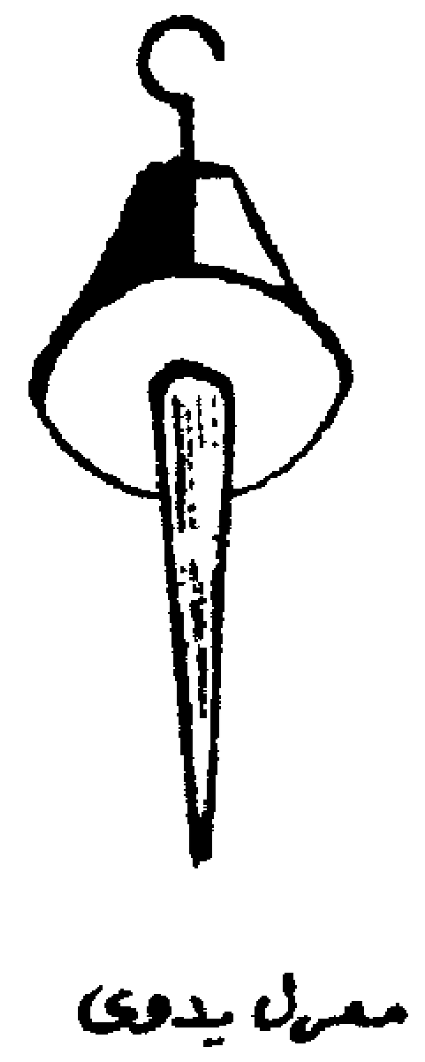
طباعة
(طبلية خشبية)



مطرحة خشبية

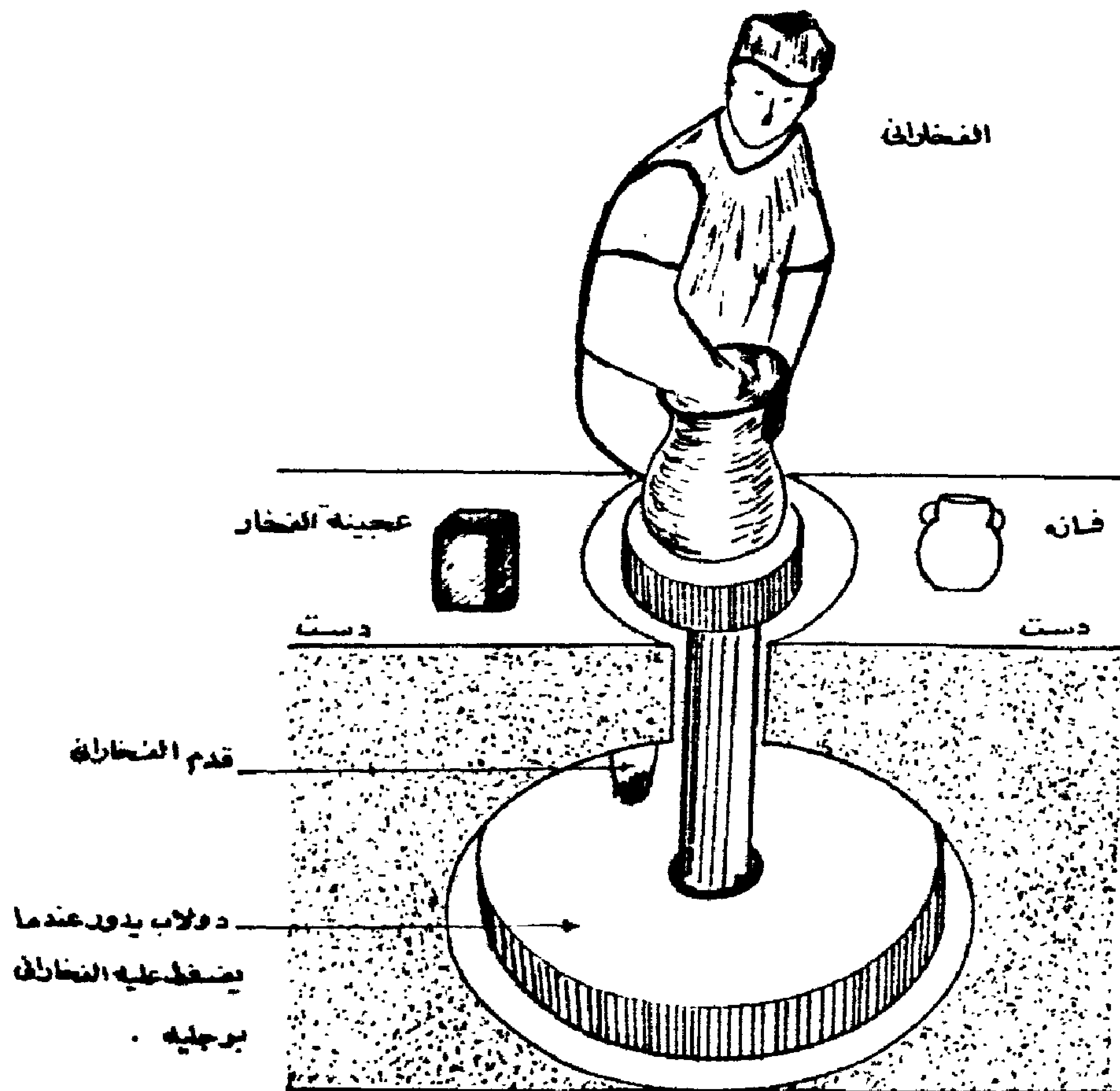
شكل رقم (٤)



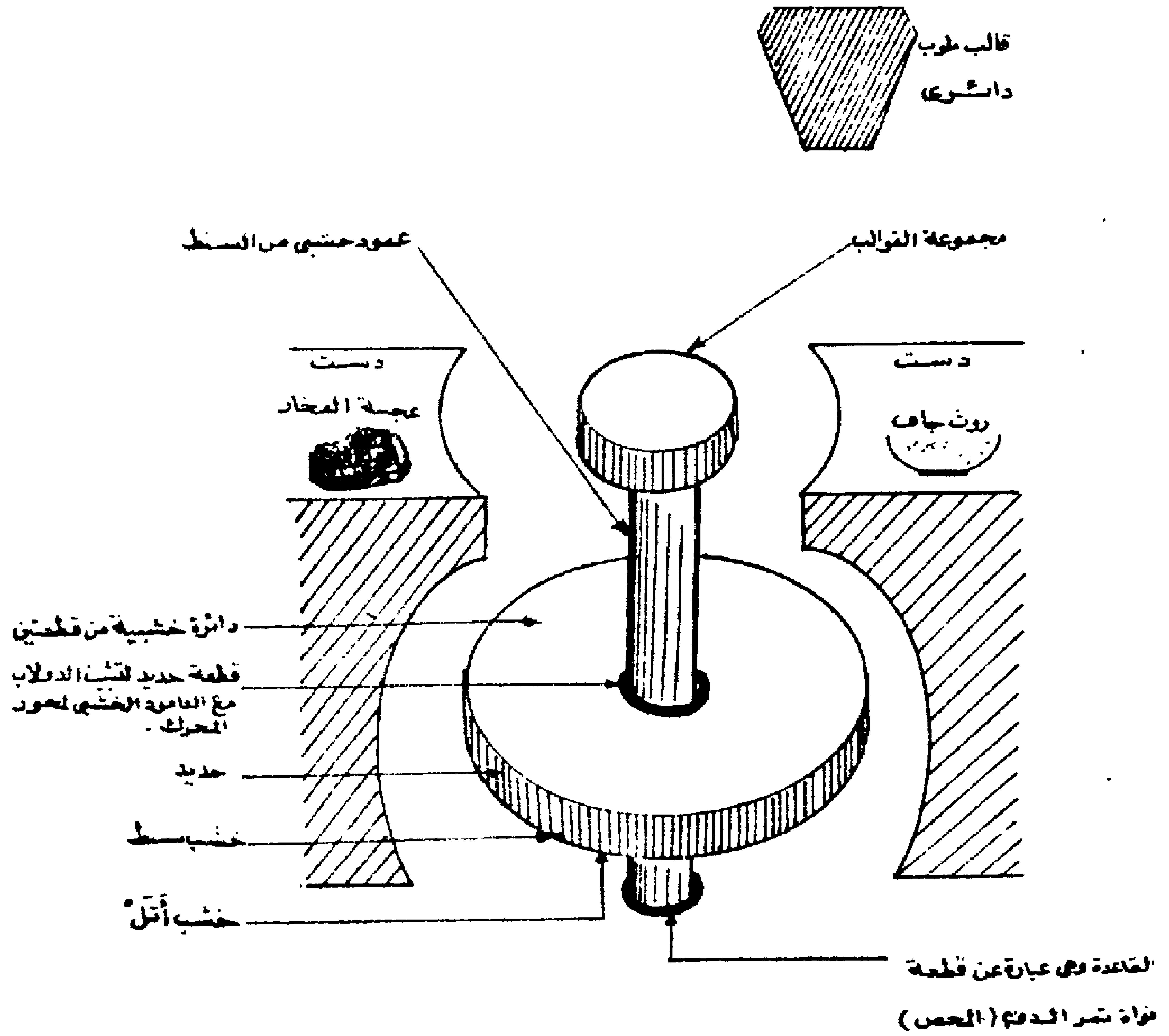


شكل رقم (٥)

جـ - رسوم بيانية خاصة بصناعة الفخـار


الفخرانى
عجينة الفخار
فازه
دستة
دست
قدم الفخرانى
دولاب يدور عندما
يضغط عليه الفخرانى
برجليه .

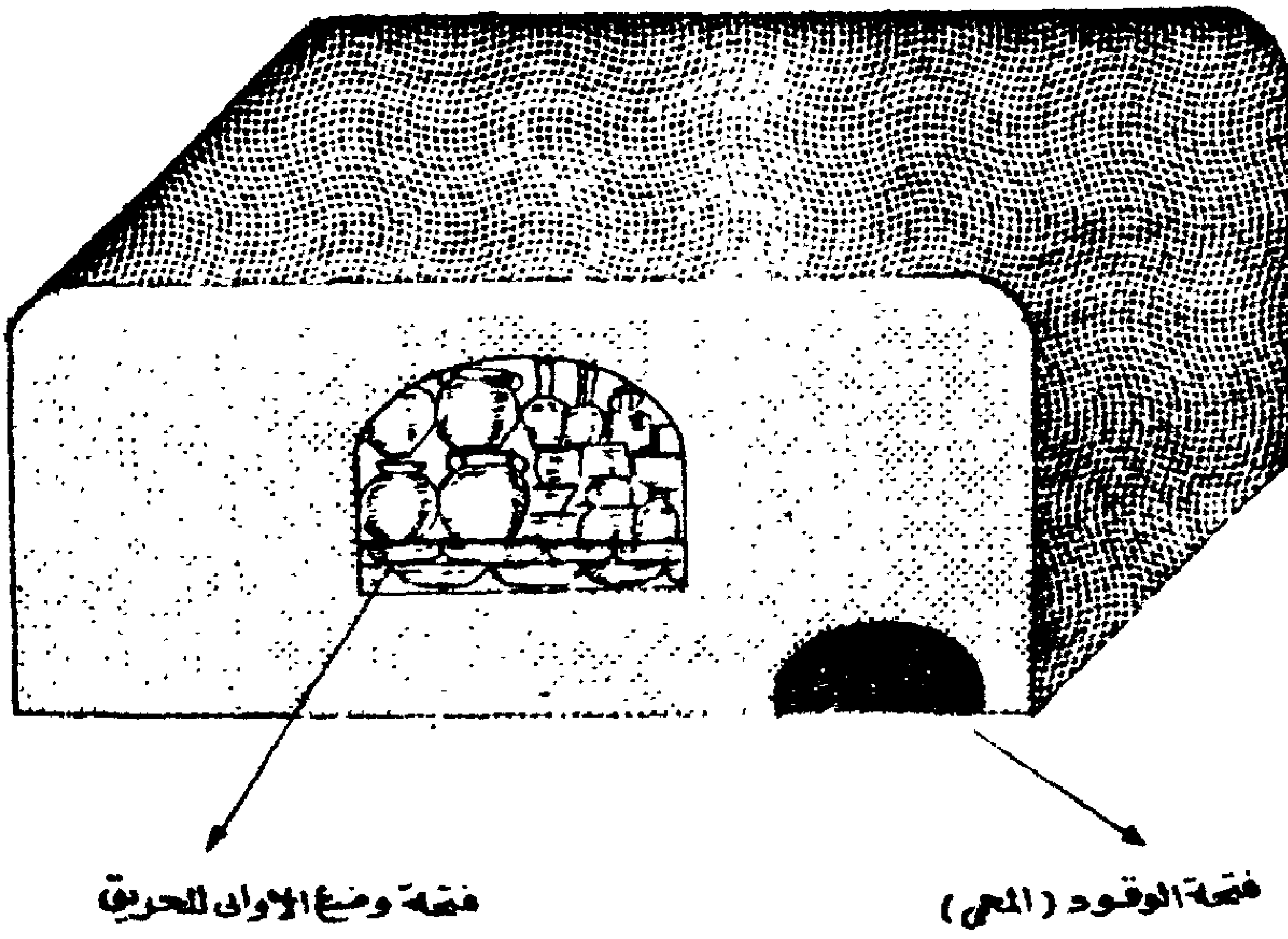
شكل رقم (٦)



الدولاب المستخدم فى صناعة الفخار

شكل رقم (٧)

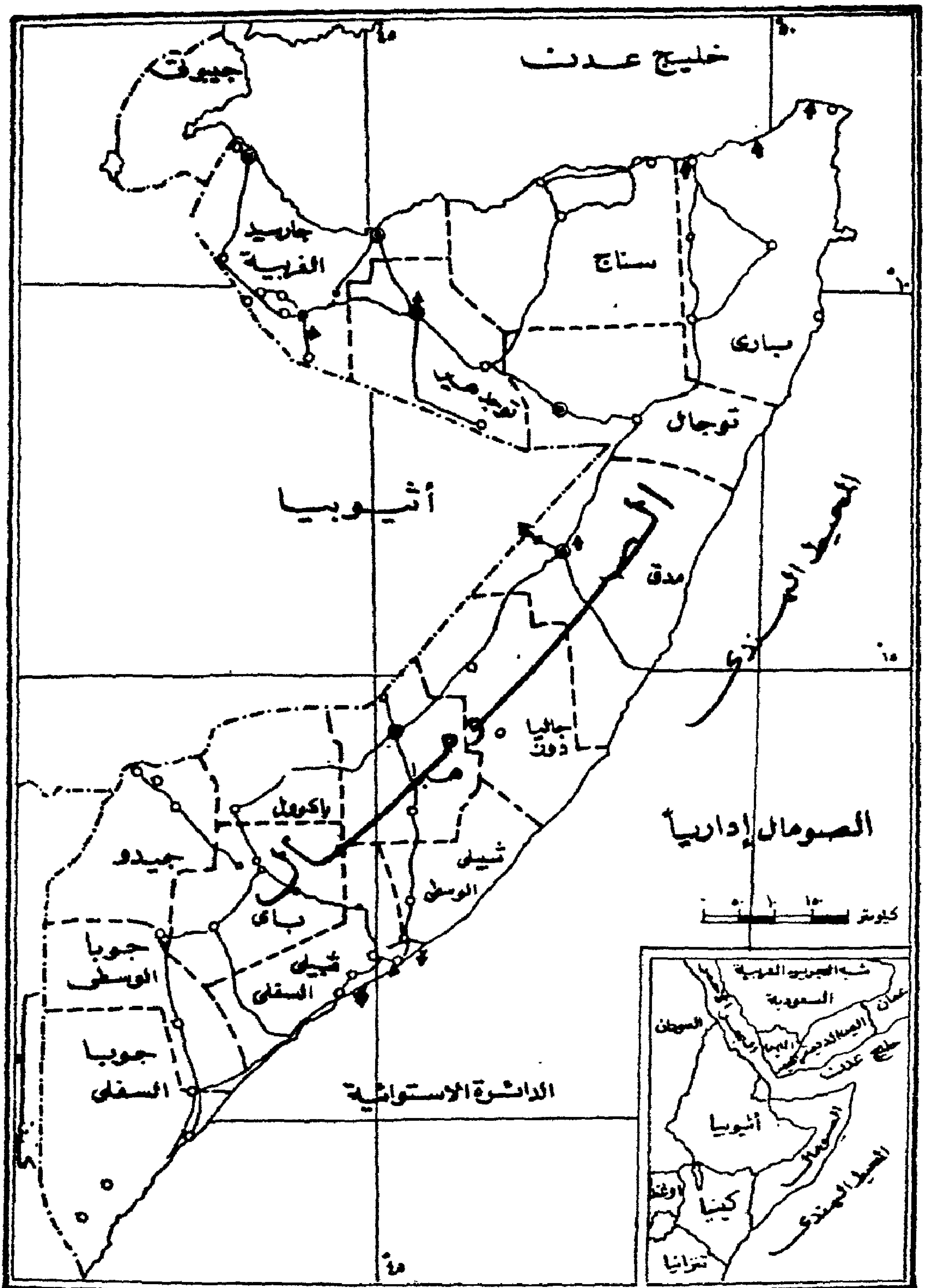
الفرن وبداخله الأوانى الفخارية



شكل رقم (٨)

ملحق (٢) - خرائط

(الصومال - هورين - الحبش)



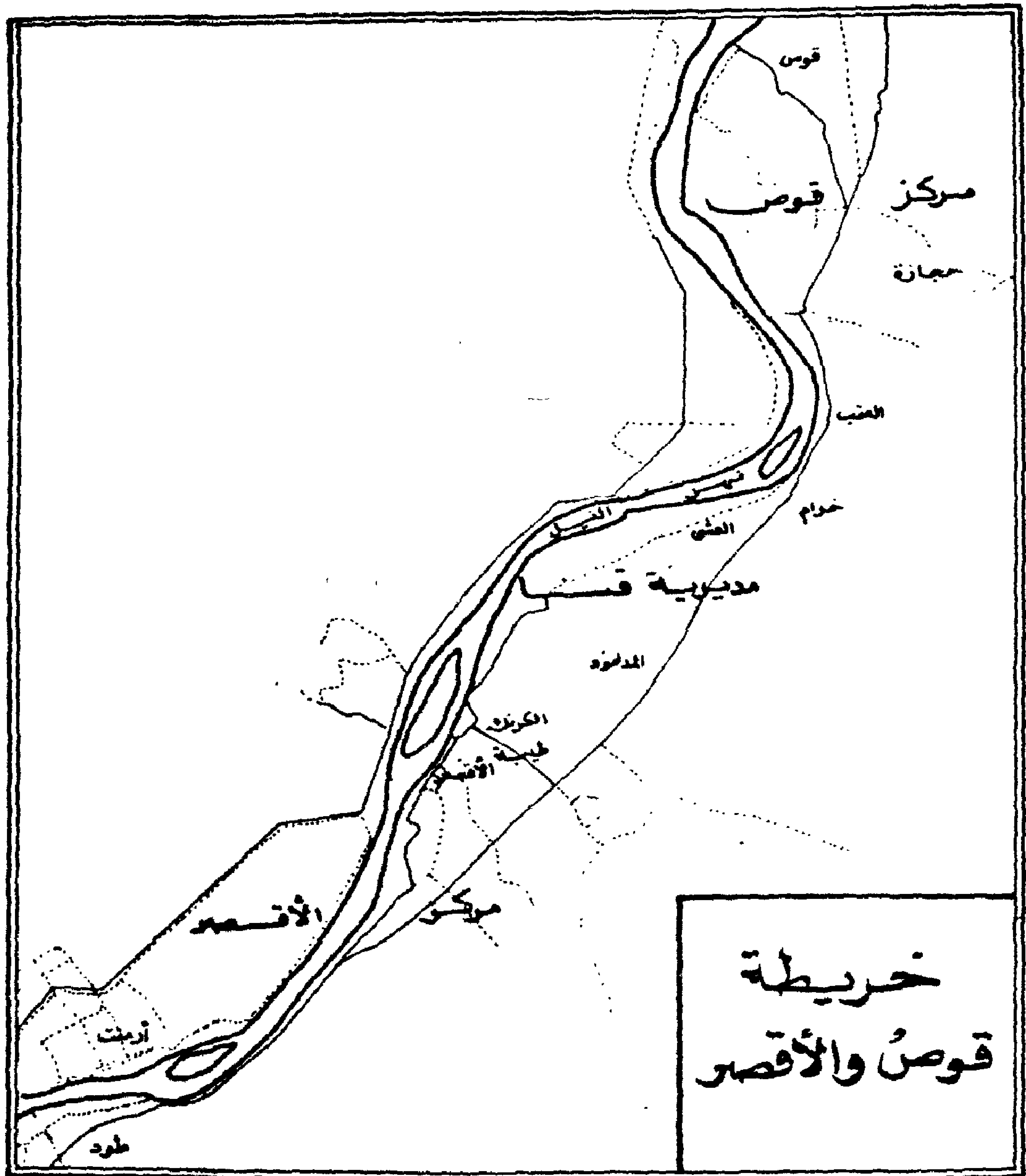
خليج عدن
جيبوتى
جاروبيد الغربية
سناج
بارى
توجال
أثيوبيا
مدق
جالبا ذوق
باكوول
جيدو
باى
شبيلى الوسطى
شبيلى السفلى
جوبا الوسطى
جوبا السفلى
الصومال إدارياً
المحيط الهندى
الدائرة الاستوائية
كيلومتر
أثيوبيا
كينيا
تنزانيا
السودان
خليج عدن
عمان

امتداد العمران في قرية هورين

خلال الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٧٢

موقع منطقة البحث

بين المركز والمحافظات المجاورة


قوص
مركز قوص
حجازة
العتب
نهر النيل
خوام
العشى
مديرية قنا
المدامود
الكرنك
طيبة
الأقصر
مركز الأقصر
أرمنت
طود
خريطة
قوص والأقصر

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

٨٦ / ٢٥٩٠

الترقيم الدولى ٨ ــ ٠٣٦ ــ ٢٥٣ ــ ٩٧٧




Bibliotheca Alexandrina
0208857